



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق



السنة الحادية والثلاثون

العدد ٧٢

كانون الثاني - حزيران ٢٠٠٧م

ذو الحجة ١٤٢٧هـ - جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس المجمع

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

الأعضاء

- الأستاذ الدكتور محمود السمره نائب رئيس المجمع
الأستاذ الدكتور سعيد النمل
الأستاذ الدكتور إسحق أحمد فرحان
الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني
الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري
الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت
الأستاذ الدكتور عبد الحميد الفلاح

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
البحوث	٩
نقد الأدبي في المراسلات بين نازك الملائكة وإبراهيم العريض	١١ د. أحمد مطلوب
نتج والأرض في الأندلس	٣٩ د. عبد العزيز الدوري و د. غيداء خزنة كاتبى
نتابعات الصوتية الهابطة وسلوكها في ة العربية، دراسة نطقية فيزيائية	٧٣ د. ابتسام جميل
سغة أفعال والتحويلات المختلفة لها في وء العربية واللغات السامية.	١١٧ د. صلاح أحمد سعيد
مع الكتب	١٦٣
أعة دلالية في كتاب "زكريا أوزون":	
اية سيويوه: الرفض التام لما في النحو ، أوهام" (القسم الأول)	١٦٥ د. ياسين أبو الهيجاء

٢٠٣ ثالثاً: تعليقات ومناقشات

٢٠٥ ١- تعليقات البقاعي على نسخة من كتاب
أسواق الأشواق د. محمد حسان الطيبان

٢٣١ ٢- استدراك من الأستاذ صبحي البصام

٢٣٣ رابعاً: أخبار جمعية

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

أولاً: البحوث

النقد الأدبي في المراسلات (بين نازك الملائكة وإبراهيم العريض)

الدكتور أحمد مطلوب

(١)

عرف العرب الرسائل منذ القديم، وكانت رسائل النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشي - التي دعاهم بها إلى الإسلام - من أشهر الرسائل بعد البعثة المحمدية.

وتوالفت رسائل الخلفاء والولاة، وبلغت أوج ازدهارها في العصر العباسي الذي أخذت فيه كلمة "الرسالة" عدة مناخ:

- ١- الرسائل اللغوية التي أصبحت فيما بعد أهم موارد المعاجم اللغوية.
- ٢- الرسائل التي كانت كُتباً موجزة، ومن أشهرها رسائل الجاحظ، وإخوان الصفا، وابن حزم الأندلسي.
- ٣- الرسائل الديوانية التي يصدرها الخلفاء والأمراء والولاة فيما يخص شؤون الدولة، وهي كالمراسيم والقرارات في العصر الحديث.
- ٤- الرسائل الإخوانية والأدبية التي يتداولها الأدباء والمحبون بينهم، ومنها رسائل الشريف الرضي وأبي إسحاق الصابي.

وعُرفت الرسائل في الأدب العربي الحديث، وتبادل الأدباء والمفكرون والعلماء الرسائل، ومنها الرسائل المتداولة بين: أحمد تيمور والأب أنستاس ماري الكرملي، ومي زيادة وجبران خليل جبران، ومحمود أبو رية ومصطفى صادق الرافعي، وفدوى طوقان وأنور المعداوي، وعبدالخالق فريد والأدباء، وغيرها من الرسائل المنشورة، أو التي ما تزال طي الكتمان.

وفي هذه الرسائل مساجلات لغوية وأدبية وفكرية تُلقي ضوءاً على كثير من القضايا التي كانت تشغل بال المتراسلين، وقد أصدر (نادي العروبة) في البحرين سنة ١٩٩٦م "مراسلات إبراهيم العريض الأدبية ١٩٤٣-١٩٩٦" في مجلد كبير احتوى على (٦١٨) صفحة من القطع الكبير، وفيه مئات الرسائل التي تبادلها مع الأدباء والأصدقاء.

في هذا المجلد خمس رسائل متبادلة بين نازك الملائكة (من العراق) وإبراهيم العريض (من البحرين) ففي الثاني عشر من كانون الأول سنة ١٩٥١م أرسلت نازك الملائكة برسالة إلى إبراهيم تشكره على إرساله "أرض الشهداء" إليها، وأجابها برسالة في الثاني والعشرين من كانون الأول، وردت عليه برسالته في السابع والعشرين من الشهر نفسه، وكتب إليها رسالة ثانية في الخامس عشر من كانون الثاني سنة ١٩٥٢، وأجابته نازك برسالته الثالثة في السابع والعشرين من الشهر نفسه والسنة نفسها.

وتعدّ هذه الرسائل الخمس ثروة نقدية، إذ أبدى الأدبيان الرأي في مسائل ما زال الخلاف عليها قائماً في ساحات النقد والبحث والتأليف.

(٢)

تتمثل المسائل التي تعرّض لها الأدبيان في أهمية النقد الأدبي؛ لأنه يكشف عن روعة الأدب أو زيفه، ويفتح الطريق ويمهده للدارس، ويبعث على التأمل والتفكير. وقد أوضحت نازك تلك الأهمية بقولها: "سرّتني رسالتك الممتعة، وشكراً جزيلاً على عنايتك بشعري ونقدائك التي وجهتها، وهو أمر زاد في قيمة الرسالة، وقربها إلى نفسي لسببين مهمين: (١)

(١) سيذكر كلام نازك وإبراهيم كما جاء في الرسائل، وكذلك النصوص التي ترد في البحث منقولة من المصادر الأخرى.

أولهما: أن نقدك لشعري يُعرّفني إليك، فأنا أؤمن بأن النقد الواعي إيجاب
فسي شخصية الناقد على عكس الإعجاب والمدح، فهما - غالباً - سلباً لا دلالة
لهما.

وثانيهما: أنني أحب أن أسمع آراء الإخوان النقاد في البلاد العربية في
شعري، فهذه الآراء هي الظل الوحيد للذي ألقيه، أو قل: هو الظل الأهم.

ولهذين السببين أشكرك، وأعلن استمتاعي^(٢). ولكنها على الرغم من
ذلك - كان لها رأيها الذي يخالف رأي إبراهيم، قالت: "ويبدو أن مذهبي في نقد
الشعر يُخالف مذهب الأستاذ كثيراً، فالشعر -عندي- قبل كل شيء عاطفة
موحدة منغمّة، ولا مانع من أن تحتوي على صور ذهنية ما دام الإطار غنياً
بالشعور، أما أن يكتب شاعر قصيدة عاشها بعقله فأمرٌ لا أستطيع أن أتخيل
نتيجته - والعياذ بالله".^(٣)

وسبب هذا الخلاف أنهما لا يتفقان على مدلول المصطلحات الأدبية والنقدية،
قالت: "الظاهر أننا لا نتفق على مدلول بعض الألفاظ كالموسيقى، والعقلية،
لذلك سأحتفظ برأيي، وأترك الأخ الكريم يحتفظ برأيه الذي أحترمه؛ لأنني أعتقد
أن الآراء الأدبية لا يمكن أن تكون خالية من الصحة كلياً، ولا صحيحة مطلقاً،
ثم أن تضارب الآراء دليل على حيوية الأمة وآدابها".^(٤) ولكنها اتفقت مع
إبراهيم على أن الموسيقى الشعرية "لا تتبع من الألفاظ وإنما من امتزاجها بسياق
المعاني وأصدائها وظلالها".^(٥) ثم قالت: "وقد سرّني رأيك حين عثرت عليه في

(٢) مراسلات إبراهيم العريض الأدبية من ٧٤، وسيشار إليها باسم (المراسلات) في هذا البحث.

(٣) المراسلات ص ٧٦، وتظر ص ٨٣.

(٤) المراسلات ص ٨٦.

(٥) المراسلات ص ٩١.

الكتاب،^(٦) حتى وضعت تحته خطأ، ووجدت في شعرك نماذج كثيرة من هذا الامتزاج الذي هو أعلى ما يصله التعبير الشعري".

وقد يشير هذا الرأي إلى أن إيقاع القصيدة مرتبط بمعناها وغرضها، وهو ما ذهب إليه اليونانيون والرومانيون حين ربطوا بين الوزن وغرض القصيدة، وما ذهب إليه الفلاسفة المسلمون كالفارابي وابن سينا، وما تعرّض له حازم القرطاجني من العرب القدماء، والدكتور عبد الله الطيب من العرب المعاصرين.^(٧)

وأبدي إبراهيم رأيته في المذهب الشعري الذي سلكته نازك وبشرت به في مقدمة ديوانها الثاني (شظايا ورماد) حين تحدثت عن أوزان الشعر، وقالت: إن ترتيب تفاعيل الخليل الجديد "يطلق جناح الشاعر من ألف قيد" وإن تغيير القافية يفتح الطريق للتعبير عن المشاعر والمعاني بحرية واسعة، مهما طالقت القصيدة واتسعت آفاقها.^(٨)

وأنكر بعض الأدباء والنقاد هذه الدعوة، وكتب إبراهيم إلى نازك ذاكراً ما تحدثت به في مجلس ألبير أديب ببيروت، وقائلاً: "تحدثنا عن أسلوبك وأسلوب أختك الشاعرة فدوى طوقان فقلت: إني غير مرتاح لهذا المذهب الجديد الذي أخذت تدعو إليه نازك - كما جاء في ديوانها الأخير-^(٩) وهو وجوب الانطلاق من كل قيد في الفن، بينما الفن - كل فن - لا يقوم - في رأيي أنا - إلا على القيود، وضربتُ مثلاً فقلت: هل يجوز لمصور - مثلاً - وقد شرع في رسم صورة كاملة أن يرسم على لوحته الصدر ونصف الوجه ولا يجد متسعاً في

(٦) نقصد كتاب إبراهيم (الأساليب الشعرية).

(٧) تنظر هذه الآراء في (فصول في الشعر) ص ٨٧ وما بعدها.

(٨) ديوان نازك الملائكة ج ١٢ ص ١١ وما بعدها، وسيطلق عليه اسم (الديوان).

(٩) يقصد شظايا ورماد الذي صدر سنة ١٩٤٩م.

اللوحة للنصف الثاني من الوجه، ويعتذر ويقول: إنَّ اللوحة ضاقت عن صورته ولذلك فالأحسن ألا تكون للوحة أمامه حدود حتى ينطلق تماماً في مجالي فنه. إنَّ لمثل هذا يقال: "ارسمها في حدودها يا أحمق" هذا إذا لم يكن هو فنانياً، أما إذا كان بطبيعته فنانياً فهو لا يحتاج إلى هذا القول؛ لأنه يدركه بفطرته. فقال بعض مَنْ حضر: إنَّ النماذج الجديدة هي التي تثبت هذه النظرية. فقلت: إنَّ النماذج الجديدة إنَّ تثبت شيئاً فإنما تثبت أنَّ الشعر يصح أن يكون في الوزن والقافية، كما يصح أن يكون بدون وزن وقافية - كما ألفها الناس - ولكنها لا تثبت، ولا تستطيع أن تثبت أن الشعر - أو أي فن جميل - يجب أن يأتي مطلقاً من كل قيد".^(١٠)

وأنكرت نازك أن تكون قد دعت إلى التحرر الكامل من الوزن والقافية في الشعر، كما جاء في رسالة إبراهيم - ولذلك كتبت إليه قائلة بعد أن ذكرت عبارته: "هذه عبارتك - يا أخي - ويؤسفني أن أقول: إنها مخالفة للحقيقة، ولن أطيل في الكلام وإنما سيصلك (شظايا ورماد) قريباً... وسترى حين تُعيد قراءة المقدمة أن هذا الحكم مبالغ فيه، ولن تجد في شعري قصيدة واحدة غير موزونة أو غير مقفاة على كل، وأنا معك في أن القيود تفيد الشاعر كثيراً إلا إذا ثقلت ثقلاً غير طبيعي. ^(١١) وأجابها بقوله: "أفلا يسرك أن تعلمي رأي أخيك في اتجاهك هذا الجديد؟".^(١٢)

(٣)

أعجب إبراهيم بشعر نازك، وقال في أول رسالة بعث بها إليها: "إني قرأت لك كثيراً وكثيراً، وأعجبت بروحك، ولم يفتني مؤخراً أن ألاحظ هذا الاتجاه

(١٠) المراسلات ص ٧٠.

(١١) المراسلات ص ٧٨.

(١٢) المراسلات ص ٨٤.

الجديد الذي نحوته في أدبك، فقد ذكرتي قصيدتك الأخيرتان المنشورتان في (الأديب) بعد عودتك من أميركا بأسلوب إدغار آلن بو، وبصورة خاصة ترجيعاتك في قصيدتك الأولى^(١٣)، فقد جاءت على غرار ترجيعاته في قصيدته (الغراب) فوددت لو ألقت نظرك أن هذا الشاعر - رغم كونه كاتباً مفكراً من الطراز الأول - كان يعيش لهزات روحه قبل أن يعيش بومضات عقله، وكان - دائماً - يؤمن بالموسيقى الشعرية أكثر من إيمانه بالرمزية. فأنشدك الله ألا تخمدي هذه الجذوة المتوقدة في نفسك وراء حجاب من دخان. وما كان أعظمك في قصيدتك "أنا":

الليل يسأل من أنا؟

أنا سرّه القلق العميق الأسود

أنا صمته المتمرد

قنعت كنهني بالسكون

ولففت قلبي بالظنون

وبقيت ساهمة هنا

أرنو وتسالني القرون

أنا من أكون؟^(١٤)

هذا رأي إبراهيم في شعر نازك، وذكر أنها متأثرة في قصيدتها (لعنة الزمن) بقصيدة (الغراب) -The Raven- لإدغار آلن بو - Edgar Allan Poe - وقال: "إن الشعراء إذا عارضوا بعضهم بعضاً في القصائد، أو قلدوا بعضهم بعضاً في الأوزان فإنما يفعلون ذلك لفرط إعجابهم بالآثر الذي يُعارضون. ولا أريد أن أزيد على هذا شيئاً فتفهمين منه ما أقصد إليه".^(١٥)

(١٣) يقصد قصيدة (لعنة الزمن)، تنظر في الديوان ج ٢ ص ٢٤٢ (قرارة الموجة).

(١٤) المراسلات ص ٧٠، والديوان ج ٢ ص ١١٢.

(١٥) المراسلات ص ٨١.

ووضّحت نازك ذلك بقولها: "أما حكمك على قصيدتي (لعنة الزمن) فلا أظنني أريد التعليق عليه، ذلك أنّ هذا حكمك، وأنا أحترمه وأحترم حريرتك في الحكم، ولا أظن أحكامي على شعري ذات قيمة في تقييم هذا الشعر على كل حال، على أنني أودّ أنّ ألفت نظرك إلى أنّ (لعنة الزمن) لا تحتوي على مجرد شبه بقصيدة بو (The Raven) وإنما هي في وزنها تتفق كلياً مع وزن (الغراب) وهي في الواقع إحدى محاولاتي في تطبيق الأوزان الإنكليزية على شعرنا العربي، ولا بدّ أنّ تكون لاحظت أنّ أسلوب القوافي الذي استعملته هو عين أسلوب التقفية في (الغراب) وقد استعملت أنا قافية (القاف) مكان (الراء) عند بو لسبب يتعلّق بكيان قصيدتي.

هذا كل ما لقصيدة (لعنة الزمن) من علاقة بـ (غراب) بو، وأرجو ألاّ يكون حكمك مخالفاً لحكمي، والحقيقة أنني أحب - جداً - أنّ أسمع حكمك - أيها الأخ النبيل - في هذا، وسأنتظر أنّ أسمعه إن أنت رأيت أنّ تكتب رسالة طويلة جواباً على رسالتي الطويلة. إن لاح لي أنني في (لعنة الزمن) أشبه بو، فأسأف على القصيدة؛ لأنني - كما قلت - لا أحبه كثيراً^(١٦). وقالت: إنّ إبداء رأيه في شعرها ليس تطاولاً عليها إذ "ما قيمة النقد - إذن - إن هو سمّي الرأي الأدبي تطاولاً؟". ثم قالت: "أنا - والله - على العكس شاكرة لك أجمل الشكر رأيك الصريح الذي اعترّ به، ولا شيء أطف وأنفع - عندي - من أنّ أسمع ملاحظتك المفصّلة على ديواني اللذين أرسلهما إليك مع هذا، وهما أقل ما ينبغي".^(١٧)

وكان إبراهيم قد انطلق في إبداء رأيه من إيمانه بالانتفاع بالأدب الأجنبية، وقد أوضح ذلك بقوله: "وأنا بعد من الذين يؤمنون بالتلقيح في الأدب لا التقليد أو المعارضة، والنفس الإنسانية عالم في ذاتها، وهي هنا غيرها هناك. ومع

(١٦) المراسلات ص ٧٧.

(١٧) المراسلات ص ٧٨، وتقصد ديوانها (عاشقة الليل) و(شظايا ورماد).

إيماني بحاجة أدبنا إلى هذا التلقيح فلا زلنا في دور التجارب، وما كل تجربة -
يا أختي- فرض عليها أن تكون ناجحة، والثمرة لا تأتي بدء اللقاح، وإنما تكون
غاية غاياته، وعلى الرائد ألا يكذب أهله".^(١٨)

(٤)

ذكرت نازك أن لقصيدتها (لعنة الزمن) شبيها بقصيدة بو، وأنها في وزنها،
وأسلوب تقفيتها.

بدأ بو قصيدته (الغراب) -The Raven- بقوله:

في منتصف ليلة موحشة
بينما كنت منهمكاً ومرهقاً
أتأمل العديد من كتب الحكايات القديمة الغريبة العجيبة
بينما كنت أنوس برأسي أكاد أغفو
فجأة إذ بنقرة
كان أحداً يطرق الباب بخفة
يطرق باب غرفتي
هممت: هذا زائر

ثم قال:

هكذا دفعت المصراع بقوة
وإذا بغراب مهيب الطلعة من عصور الورع الخالية
يندفع بكل خيلاء ورفرفة
لم يلق بأي تحية إجلال
ولم ينتظر أو يتوقف للحظة ما

(١٨) المراسلات ص ٨٤.

بل بجبروت السيد أو السيدة

جثم فوق الباب

ثم قال مخاطباً الغراب:

أيها الغراب المتجهم العتيق

القادم من شاطئ الليل

قل لي ما اسمك الكريم هناك في شاطئ الليل البلوتوني؟

ردّ الغراب: لم يعدّ لي اسم أبداً.

وختم بو القصيدة بقوله:

وما زال الغراب جالساً جالساً دون حراك

فوق تمثال (بالاس) الشاحب فوق باب غرفتي

عيناه عينا شيطان يحلم

والضوء: من فوقه يصب ظله فوق أرض الغرفة

وروحى الملقاة في الظلال

السابحة فوق أرض الغرفة

سوف تتنقذ: أبداً أبداً (١٩)

وبدأت نازك قصيدتها (لعنة الزمن) التي نظمتها سنة ١٩٥٠م بقولها:

كان المغرب لونَ ذبيح

والأفقُ كآبة مجروح

والأشباح الغامضة اللون تجوس الظلمة في الآفاق

واستمرت في رسم هذا الجو الكئيب، ثم قالت:

لكننا إذ كنا نحلم

أحسننا شبه صدى مبهم

(١٩) ينظر إدغار آلن بو ص ٣٢٠، و : Poe: Tales and Poems p,17

في الأمواج الداكنة الصمت سمعنا شبه صدى خفاق
الجنيات المنتقمات
يصعدن إلينا في عربات
فأجاب رفيفي: لا، هيهات
ذلك صوت الموج الرقراق
الريح الحاملة البيضاء تمرُّ على الموج الرقراق
وتخادع أسماع العشاق
لأين وتبيننا الحركة
ثمة وإذا جئة سمكة
طافية فوق الموج مية والشاطئ في إسفاق
وصرخت! رفيفي أين نسير؟
لنعد، فالجئة همس نذير
أرسلها عملاق شرير
إنذار أسي ودليل فراق؟

فأجاب رفيفي: نحن هنا: يحرسنا الحبُّ فأَيُّ فراق؟

وغرقت هي ورفيقها في (صمت براق) ومشيا، وظلت السمكة تتبعهما، وهي تكبر حتى عادت في حضان الموجة عملاقاً، وصرخت الشاعرة: "رفيفي أي طريق يحمينا من هذا المخلوق، والدرب يضيق ويضيق، والظلمة محكمة الإغلاق". وهربت هي ورفيقها، والسمكة تتبع أرجلهما المرتبكة، وزعانفها السود سدّت في وجهيهما الأرجاء، وأصبح كل شيء حولهما سمكة.

وانتهت القصيدة بهذا المقطع:

حتى الأغصان المشتبكة
عادت تُشبه عين السمكة

وتروع خُطانا المرتبكة
والأنجم عادت كأحداق
والغد والماضي والدنيا وهوانا في تلك الأحداق
رسبت وتوارت في الأعماق^(٢٠)

لقد اتفقت القصيدتان في:

١- رسم جو حزين بدأت به قصيدة بو: "في منتصف ليلة موحشة" وبدأت قصيدة نازك بعبارة "كان المغرب لون ذبيح". واستمر تصويرهما لهذا الجو الكئيب حتى ظهر (الغراب) الذي دق باب بو، وظهرت (السمة) في قصيدة نازك.

٢- اتخاذ (الغراب) رمزاً للشؤم في قصيدة بو، واتخاذ (السمة) دليلاً على الزمن الذي يطارد الإنسان ويفرق الأحباب، وهو ما أشارت إليه الشاعرة في مقدمة ديوانها (قرارة الموجة) حيث قالت محدثتها: "إن السمة في قصيدتك رمز للزمن، أي الفراق بين الصديقين، أليس كذلك؟". وأجابتها بقولها: "إنني أعتقد أن فراق عشرة أشهر بين الأصدقاء يجعل من المستحيل أن يعودا أصدقاء". وقالت الشاعرة عن (السمة): "إنها إنذار أسى ودليل فراق" وما كان للغد والماضي والدنيا إلا التواري في الأعماق.

٣- استعمال بو ونازك الألفاظ والقوافي التي توحى بالمعنى، إذ كرر الشاعر: nothing more ست مرات، و nevermore إحدى عشرة مرة، وكررت الشاعرة الكلمات: الاستغراق، الأوراق، الأشواق، الأعراق، الأنفاق، التواق، الألاق، الرقراق، الفراق، الإغلاق، المحاق، الأحداق.

(٢٠) الديوان ج ٢ ص ٢٤٢ (قرارة الموجة) وهو ديوانها الثالث.

وقد جاءت بهذه القافية لسبب يتعلق بكيان قصيدتها، أي التعبير عن المعنى الذي أرادت إظهاره في القصيدة. (٢١)

٤- الوزن الذي استعملته نازك هو بحر الخبيب، ولم تكن محتاجة إلى أن تطبق "الأوزان الإنجليزية على الشعر العربي" ما دامت بحور الشعر العربي تفي بالعرض. وتأثرها بقصيدة بو يبدو في عدد تفعيلات كل سطر، كما يلاحظ في القصيدتين.

(٥)

ويتصل بهذه المسألة الكلام على إدغار آلن بو، فقد قال إبراهيم في رسالته الأولى إلى نازك: "ذكرتني قصيدتك الأخيرتان المنشورتان في (الأديب) بعد عودتك من أميركا بأسلوب إدغار آلن بو، وبصورة خاصة ترجيعاتك في قصيدتك الأولى فقد جاءت على غرار ترجيعاته في قصيدته (الغراب) فوددت أن ألفت نظرك أن هذا الشاعر - رغم كونه كاتباً مفكراً من الطراز الأول - كان يعيش لهزات روحه قبل أن يعيش بومضات عقله، وكان يؤمن بالموسيقى الشعرية أكثر من إيمانه بالرمزية". (٢٢)

لقد اعترفت نازك بتأثرها بقصيدة (الغراب) ولكنها لم توافق إبراهيم على ما قاله عن بو، وناقشته في رسالتيها الأخيرتين، وقالت: "وأنا أستخلص من هذه الجملة بضع فكر مفروزة أودّ الوقوف عند كل منها لحظات، وسألخصها بأسلوب مدرسي بما يأتي:

(٢١) ينظر في الشعر العربي الحديث ص ٢٤٧.

(٢٢) المراسلات ص ٧٠.

- ١- أن إدغار بو كاتب مفكر من الطراز الأول.
- ٢- أن الشاعر ينبغي أن يعيش بعقله لا بروحه.
- ٣- أن إدغار بو كان لا يؤمن بالرمزية.
- ٤- ويبدو من علاقة هذه الفقرة بما قبلها أنك تعتقد أن قصيدتي (لعنة الزمن) موسيقية خالية من المعنى.

ورأيي فيما يتعلق بالنقطة الأولى أن إدغار بو ليس من الطراز الأول في أي شيء... حتى أن بعض الأدباء قد قال مرة: "الإعجاب العنيف بإدغار بو دليل على ذهن من الدرجة الثانية" وهذا لا يمكن دحضه بحقيقة مثل كون شاعر كبودلير قد أحب إدغار بو، وترجمه إلى الفرنسية، وعرف القراء الأوروبيين بشعره؛ لأنّ تعليل هذه الحقيقة واضح، فبودلير فرنسي على كل حال تشدهه موسيقى بسو العذبة وأجوائه المسحورة دونما داع لمعرفة عميقة باللغة الإنجليزية. هذا هو ملخص السر كله، وهو - أيضاً - يمكن أن يكون تعليلاً لحبنا نحن لإدغار بو - أعني بكلمة (نحن) العرب - فأنا كما تلاحظ لست مولعةً بالشاعر، وإن كنت أحب أجواءه وموسيقاه، وهو كل ما تعلمت منه حتى هذه اللحظة". (٢٣)

وقالت إن بو ليس كاتباً مفكراً من الدرجة الأولى فقصصه "مجموعة انطباعات منحرفة تنم عن مزاج شاذ، وملكة قصصية ضعيفة، تلتبس التأثير في القراء باستعمال المخوفات الصيبانية كنهوض امرأة ميتة من قبرها بعد دفنها بأسابيع، وكقط ينقلب إلى شبح - فيما أتذكر. أرجو مراجعة قصة (The blache cat)، (٢٤) وكغرفة لا باب لها ولا نوافذ، وأفق أصفر يجري فيه نهر من دم،

(٢٣) المراسلات ص ٧٤.

(٢٤) تنظر القصة في: Poe: Tales and Poems p296.

وتمرُّ الرياح على أزهار تعول كلما لامستها الريح، ومثل لايجيا Ligeia^(٢٥) ذات العينين اللتين كانتا غير بشريتين في سعتهما. وأظنك تُقرني على أن السبك في هذه القصص يقربها من المقالة essay - غالباً، وأنها بمجموعها أشبه بالقصص البوليسية لولا الأسلوب الشعري الذي صاغها به بو، أما أن بو مفكر فلا أظنني أملك دليلاً عليه، كل ما أعرف لبو بضع مقالات في النقد لا قيمة كبيرة لها".^(٢٦)

وقالت: إن بو لم يكن من شعراء المذهب الرمزي؛ لأنه لم يكن موجوداً عند ظهور الرمزية، إذ وُلِدَ سنة ١٨٠٩م ومات سنة ١٨٤٩م،^(٢٧) في حين أن نشأة المدرسة الرمزية مقترنة بطبع (أزهار الشر) لبودلير سنة ١٨٥٧م، أي أن بو مات قبل هذا التاريخ بثلاثين عاماً.

وقالت: "لا أدري كيف يمكن أن تقول إن إدغار بو "كان لا يؤمن بالرمزية" على أن الذي يمكن أن نقوله في تخريج هذه العبارة إنَّ الرمز كان موجوداً منذ القديم، وشعر بو يحتوي على عناصر رمزية كثيرة"،^(٢٨) وانتهت إلى:

١- أن بو مات قبل وجود المذهب الرمزي.

٢- أن الرمز غير الرمزية.

٣- أن شعر بو يحتوي على عناصر رمزية.

(٢٥) ينظر ثلاثة قرون من الأدب ج ١ ص ١٩٤، و: Poe: Tales and Poems P225.

(٢٦) المراسلات ص ٧٥.

(٢٧) ينظر ثلاثة قرون ج ١ ص ١٩٠، وإدغار ألن بو ص ٢٧، ٣٨٦ ومقدمة حكاياته

وقصائده: Poe: Tales and Poems.

(٢٨) المراسلات ص ٧٦.

وناقشت عبارة إبراهيم وهي أن بو "كان يعيش بومضات روحه قبل أن يعيش بعقله"، وقالت: "الذي يلوح لي من هذه العبارة التي جاءت في سياق تحذير الأخ لي من اتخاذ بو نموذجاً أنه يقصد أن يقول إن الشاعر ينبغي أن يعيش بعقله، وهنا -أيضاً- أقف مخالفة. ويبدو أن مذهبي في نقد الشعر يخالف مذهب الأستاذ كثيراً. فالشعر - عندي - قبل كل شيء عاطفة موحدة منغمة، ولا مانع من أن تحتوي صورة القصيدة على صور ذهنية ما دام الإطار غنياً بالشعور. أما أن يكتب شاعر قصيدة عاشها بعقله، فأمرٌ لا أستطيع أن أتخيل نتيجته والعياذ بالله". ثم قالت: "لا أظن عيب شعر بو أنه كان عاطفياً لا عقلياً" وإنما "هو سطحية تفكيره وإحساسه، كأنه يفقد أحاسيسه في التماسه للأجواء المثيرة، وهو التماس متعمل - كما تعلم - وقصة قصيدة (الغراب) مشهورة فقد بقي ينقحها وينقحها طيلة زمن ممتد حتى انتهت إلى صورتها الأخيرة التي نعرفها اليوم.^(٢٩) ومن هذا يبدو أنني أرى عيب شعر بو نقص العاطفة من حيث تراه أنت انشغالاً بالعاطفة عن التفكير".^(٣٠)

واستدرك إبراهيم ما قاله عن بو من أنه كان "كاتباً مفكراً من الطراز الأول..."، قال: "وأنا لا أغفر لنفسني كيف وقع هذا الاشتباه فقد استخلصت من هذه الجملة بضع فكر مفروزة لخصتها لأخيك". وذكر النقاط الأربع التي ذكرتها نازك في رسالتها، ثم قال: "فإذا كان هذا هو ما استخلصته من عبارتي فإني أسف على قصور بياني عن تعبير ما أردت، ولولا أنك علقتم عليها نتائج كبيرة - بله حكيمي على شعرك - لما كان يهمني الموضوع كله، فالذي كنت أقصد بثه من وراء تلك العبارة هو:

(٢٩) يقال إنه أعاد نظم القصيدة في ستة عشر شكلاً، وطبعت بأربع صيغ مختلفة. (ينظر

ثلاثة قرون من الأدب ج ١ ص ٢٧٠).

(٣٠) المراسلات ص ٧٦.

- ١- أنك تحاولين تقليد إدغار آلن بو - ليكن في الأوزان - فلا بد أنك معجبة به.
 - ٢- أن هذا الشاعر جدير بالإعجاب حقاً، ففي شعره موسيقى خاصة ينفرد بها عن سواه.
 - ٣- لا أستطيع الحكم على مدى توفيقك في تقليد هذه الأوزان، ولكني أرى ومضات العقل في شعرك الأخير طاغية على هزات الروح.
 - ٤- التوفيق في مباراة هذا الشاعر - لا غيره - يجب على من يباريه أن يؤمن بالموسيقى الشعرية - مثله - أكثر من إيمانه بالرمزية، وإلا كانت المجازاة باطلة.
 - ٥- وهذا يستتبع حتماً أن الأوزان تجعل للقصائد كياناً خاصاً، فلا يصلح كل وزن لكل شيء.
- كنت أمل أن هذا هو رأيك - في رسالتك الأولى - ولذلك بنيت عليه، ثم قال: "أما كون اعتقادي بهذا الرأي - في إدغار بو ككاتب - يجعلني عند بعض الأدباء صاحب ذهنية من الدرجة الثانية، فهذا مما لا أهتم له؛ لأنني ما أخذت على نفسي فرض رأيي على أحد".
- واستمر في مناقشة نازك وقال: "أين أنت عن قصصه في عالم الإجرام التي فتح فيها هذا الكاتب الباب على مصراعيه لكتاب هذا العصر من الإنكليز والأميركان... أفيقال في كاتب مهّد السبيل لمن جاء بعده:
- ١- في أوزانه الشعرية.
 - ٢- في قصصه الزاخرة بالعناصر الرمزية.
 - ٣- في قصصه الإجرامية التي تأتي - على قلتها - على رأس كل ما يكتب في موضوعها حتى الآن...

أفيقال فيه: إنه كان ذهناً من الدرجة الثانية...؟ ثم إذا كانت هذه تهمة يُؤاخذ بها بو، فما قولك في بودلير الذي ترجمه إلى نفسه قبل أن يترجمه إلى الأوروبيين، ألم يكن كل شعر هذا الأخير "مجموعة انطباعات منحرفة تتم عن مزاج شاذ" فلماذا أفسح له المكان على رأس المدرسة الرمزية؟ ثم تقولين في صدد تعليق حب الإنكليز لإدغار بو بأنّ موسيقى بو العذبة هي التي تشدهم دونما داعٍ لمعرفة عميقة باللغة الإنكليزية. فهل تعلمين أنّ الإنكليز كان عليهم أن ينتظروا عشرات السنين حتى جاءهم ناقد ألماني فعرفّهم بحقيقة عظيمة شاعرهم شكسبير، ومعنى هذا أنّ الإنكليز مدينون للأجانب بالفضل في كل شيء حتى في تقرير أدبهم الذي هو روح الأمة^(٣١)

وعاد إلى الرمزية التي قال: إن بو يؤمن بها، ورأى أنّها "لا تلتئم بحال من الأحوال مع الومضات الفكرية، وإنما تنهض بجمالها الموسيقي"، وأنّ الشعر الذي يقتصر على الرمزية دون الموسيقى لا يكون - يا أختي - إلا جافاً... لأنّ الرمزية في حقيقتها موسيقى صور، ورقص أشباح".^(٣٢)

ولم تتوقف نازك عن مناقشة إبراهيم في شاعرية بو، إذ عادت إليه في رسالتها الثالثة، وقالت: إنّ حكمها على بو من أنه كان "ذهناً من الدرجة الثانية" ليس حكمها وحدها وإنما هو "حكم النقاد الإنكليز، وقد أشار إليه هارفي آلن في تصديره للطبعة الكاملة التي أصدرتها إحدى السلاسل الأدبية في أميركا من أعمال بو شعراً ونثراً، وهو - أيضاً - الحكم العام على بو حتى في أميركا".^(٣٣)

(٣١) المراسلات ص ٨١.

(٣٢) المراسلات ص ٨٣.

(٣٣) المراسلات ص ٨٧.

وأعدت بعض ما قالته عن بو في رسالتها السابقة، ولتؤيد رأيها في شعره،
ترجمت قصيدته (الأجراس):^(٣٤) (The bells)
كل صوت يطفو من حناجرهم الصدئة أنة
والناس - آه الناس - أولئك الذين يعيشون في البرج وحدهم
الذين يقرعون يقرعون يقرعون
بتلك الرتابة الغامضة
ويحسون بالمجد وهم يلقمون القلب البشري حجراً هكذا
إنهم ليسوا رجالاً ولا نساء
إنهم ليسوا وحوشاً ولا بشراً
إنهم أغوال وملكهم هو الذي يقرع
وقلبه المرح يمتلئ بنشيد الأجراس
وهو يرقص، وهو يصرخ ممسكاً: الوحدة الوحدة الوحدة
نشيد الأجراس الأجراس الأجراس
ممسكاً الوحدة الوحدة الوحدة لخفقات الأجراس
للأجراس للأجراس للأجراس
لبكاء الأجراس ممسكاً الوحدة الوحدة الوحدة
وهو يدق يدق يدق لانثيال الأجراس
للأجراس الأجراس الأجراس لدقات الأجراس
للأجراس للأجراس للأجراس للأجراس
لأنين الأجراس وآهاتها

(٣٤) المراسلات ص ٨٨، وللدكتور سلمان الواسطي ترجمة لها (ينظر بحثه المؤثرات الأجنبية في شعر نازك الملائكة حتى عام ١٩٥٠م، المنشور في كتاب (نازك الملائكة ص ٥٧) وينظر نص القصيدة الإنكليزي في: Poe: Tales and Poems P634.

علقت نازك على هذه القصيدة بقولها: "لست أدري كيف يمكن أن يختلف
اثنان في قيمة قصيدة كهذه، إنها ليست أكثر من مجموعة مؤثرات صوتية لا
قيمة شعرية لها، وقد التمس بو التأثير فيها بال تكرار^(٣٥)، وهو - أيضاً- أسلوب
صبياني. نعم التكرار رائع في مكانه، وكلنا نتذكر كلمات (بير) الخمس المحزنة:

"never, never, never, never, never" وصرخات (ريجرد الثاني)

ولكن هذا شكسبير، هو هو الحياة كلها في مسرحياته، أما أجراس بو!! إني أذكر
في هذا الصدد دعابة رائعة كتبها (كلبانث بروك) - الناقد الأميركي المعاصر
في كتاب له وهو يدرس الشعر دراسة تطبيقية- وقد وقف عند قصيدة (أولالوم)
وهي من أعذب قصائده، وقد استعمل فيها هذا الأسلوب الصبياني في التأثير،
وكان حكمه قاسياً على بو كالعادة.

نتساءل لو أن بو نظم قصيدة (ملتون)^(٣٦) Paradise Lost ماذا تراه كان
يصنع منها؟ وقد أجاب عن السؤال بأن كتب مقطعاً منها على طريقة بو فكانت
فكاهة بليغة وفتت عندها طويلاً مفكرة^(٣٧).

وأرادت أن تخفف من قوتها على بو فقالت: "وختاماً أرجو ألا تعتقد أنني
أمقت شعر بو، فقد قلت وسأقول إنه أحد الشعراء القلائل الذين عنوا بخلق الجو
الشعري في قصائدهم - أستاذه في هذا (كولردج) في رأيي - وهو يحس بوحدة
القصيدة إحساساً لذيذاً ينقص أكثر شعرائنا العرب - قديمهم وحديثهم - ولو كان
أكثر عمقاً لكان له في إعجاب هذا العصر مكان أبرز"^(٣٨).

(٣٥) ذكر كلمة الأجراس تسعاً وخمسين مرة..

(٣٦) الفردوس المفقود.

(٣٧) المراسلات ص ٨٩. وقد جاء في كتاب إدغار آلن بو ص ٣٤٩، أن قصيدة (الأجراس)
تركت أثراً كبيراً في نفس الموسيقار رخمانينوف حيث استند إليها في تأليف إحدى
سيمفونياته الكورالية.

(٣٨) المراسلات ص ٩٠.

ولتدفع تلك القسوة قالت: إنها تحب قصيدة (أولالوم)، وإنها تأثرت بها في كتابة قصيدتها (الجرح الغاضب) التي نظمتها سنة ١٩٤٨م، وهو ما ذكرته من قبل في مقدمة ديوانها (شظايا ورماد) الصادر سنة ١٩٤٩م، قالت: "وإن كان لا بدّ من إشارة إلى قصيدة (الجرح الغاضب) فلأقرر أنّ الأسلوب الطريف في تقفيّتها مقتبس مباشرة عن الشاعر الأميركي إدغار آلن بو في قصيدته البديعة "Ulalume".^(٣٩)

وقصيدة (أولالوم) ترنيمه لزوجته فيرجينيا Virginia التي توفيت في الثلاثين من كانون الثاني سنة ١٨٤٧م، وكانت السنة نفسها عام نظم القصيدة:

كانت السماء كالحة وقائمة
وكانت أوراق الشجر يابسة وذاوية
كانت أوراق الشجر ذابلة وذاوية
كان الوقت ليلاً في تشرين المستوح
تشرين سنّي الأشد غوراً في الماضي السحيق
القسوة بالغة قرب بحيرة (أوبر)^(٤٠) الممتعة
في عمق منطقة (فير)^(٤١) الضبابية
والهبوط بالغ قرب بحيرة (أوبر) المرطبة
في غابة (فير) التي ترودها الغيلان

ثم قال:

أية ليلة ليلاء من تلك السنة
لم نلحظ بحيرة (أوبر) المعتمة

(٣٩) الديوان ج ٢ ص ١٨.

(٤٠) Auber.

(٤١) weir

لا، ولا غاية (فير) التي ترودها الغيلان
ذلك لأن قبر حبيبك (أولالوم) يرقد هنا
ثم أن قلبي قد أصبح كالحأ وقاتماً
كأوراق الشجر اليابسة الذاوية
كأوراق الشجر الذابلة الذاوية
ثم صحتُ: لا بدّ أنه تشرين
تشرين تلك الليلة نفسها من السنة الماضية (٤٢)

وقالت نازك في قصيدتها (الجرح الغاضب):

أغضب أغضب لن أحتمل الجرح الساخر
جرح قد مرّ مساء الأمس على قلبي
جرح يجثم كالليل المعتم في قلبي
يجثم أسوداً كالنقمة في فكر نائر
جرح لم يعرف إنسان قبلي مثله
لن يشكو قلبٌ بشريّ مثله

واستمرت في رسم هذا الجو الكئيب، ثم قالت:

ومن الأعماق تصاعد صوت مخنوق
يهتف في حزن في جزع: كيف أبوح؟
ليت الجرح المظلوم إلى الليل يبوح
قد ينأر لي، مطرٌ ورعودٌ وبروق
ورأيتُ على الأفق المخضوب بفيض دمي
شبحاً تفتّرُ على فمه قطرات دمي

(٤٢) إدغار آلن بو ص ٣٤٥، Poe: Tales and Poems p 624.

عيناه الزرقاوان مساء أهوال
ويداه السوداوان ذراعا عفريت
وأحال دياجيري أُحْجِيَّةَ عَفْرِيتِ (٤٣)

يُلاحظ في قصيدة نازك:

- ١- أن الروح القانطة من كل شيء ترسم الكأبة في القصيدة، وهي جو قصيدة بو.
 - ٢- التكرار في مطلع القصيدة وهو ما فعله بو حيث كرر بعض العبارات والكلمات.
 - ٣- تكرار الكلمة نفسها في بيتين، وهو ما فعله بو في قصيدته.
 - ٤- شبح نازك عفريت، وشبح بو الغيلان.
- فالجو العام لقصيدة نازك وثقافتها من تأثرها بقصيدة بو، وقد أشارت هي إلى ذلك في مقدمة ديوان "شظايا ورماد".

(٦)

ضَمَّتْ الرسائل الخمس آراء قيمة، وكانت بداية المساجلة رسالة نازك الأولى، التي شكرت فيها إبراهيم الذي أهدى إليها (أرض الشهداء) وتطرق إلى قصيدته التي نشرها في مجلة (الأديب) البيروتية، وقد لاحظت وزنها الذي يندر استعماله في الشعر على الرغم من أنه أحد البحور الستة عشر، وقالت: "ولو حدثت بك بتأريخ هذا البحر الشعري في نفسي لأدركت سبب سروري بقراءة قصيدتك" (٤٤). وقالت: إن البحر المديد - الذي نظم به قصيدته - من البحور الموحية المملوءة إمكانيات تعبيرية، وقد أدهشها أن "كثيراً من الناس - غير

(٤٣) الديوان ج ٢ ص ٦٧ (شظايا ورماد).

(٤٤) المراسلات ص ٦٥.

المتقنين شعرياً خاصة- يرونه خلوا من الموسيقى" وأنها "تعرف" عشرات من الناس يقرأون القصيدة منه فيعدونها مجموعة أخطاء قُصد بها وزن البحر الخفيف".

لقد أحببت قصيدة إبراهيم وراقها المطلع:

شبه خالٍ في بياض الجبال	في جوار الأرز ديراً مُطِلاً
أسفل السَّحْبِ فنبع الظلال	قمم في النور أمّا المرايا
عبقري عرفته الليالي	فإذا السَّلال أولُ لحن

وهذه المقطوعة:

ردّ عنها في الصلاة النقاب	ركعت في الليل ذاتُ مَوح
ماثلٌ مثلك لولا الشباب	في خشوع فهي بالليل طيفٌ
زهرات لا ترى وكتاب	وَخَدَهَا للنور بين يديها
وجبيننا غام فيه اكتاب	يال له وجهاً كزهر الأفاقي

وعلّقت على القصيدة بقولها: "إنني أرى باختصار أنّ الوزن في هذه القصيدة ناجح مناسب لانسباق القصيدة. وأودّ لو عرفت ما رأي قراء الشعر فيها، فأنا أعرفهم يبيغضون البحر المديد، ولا يستسيغون قصيدة تتبعه. ولا أكتمك أنني قد كتبت قصائد كثيرة منه لم أجزؤ على نشرها على إيماني بأن وظيفة الشاعر أن يقود لا أن يتبع ذوق الجمهور البدائي، ولهذه كله أهنتك، وربما أعدت النظر في قضية نشر قصائدي المديدة التي لم أسمح لها بالظهور بعد".^(٤٥)

كان لهذا الرأي وقع حسن على الشاعر، قال: "وقفت طويلاً عند قولك إنك تترين بحر المديد بحراً موحياً مملوءاً بالإمكانات التعبيرية، وأنا أوافقك على ذلك، ولا يدهشني أنّ كثيراً من الناس يرونه خلوا من الموسيقى؛ لأن ما وضع

(٤٥) المراسلات ص ٦٦.

للمواقف الخطابية التي ألفوها في سواه من الأوزان وبخاصة في الخفيف الذي لا يختلف عنه في الظاهر إلا بسبب واحد في التفاعيل، فلو حذف - مثلاً - كلمة (قد) من بيت المعري:

"رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لِحْدًا مَرَارًا"

لتحول الشعر حالاً من الخفيف إلى المديد^(٤٦)، ولذلك يعدُّه مَنْ يعدُّه أخطاءً قُصِدَ بها وزن بحر الخفيف، ولكنَّ بين البحرين - رغم هذا كله برزخا لا يبغيان - فللمحافظة على النغم الموسيقي في بحر المديد علمتني التجربة أنه لا يجوز تدوير البيت أي جعل شطريه يشتركان في كلمة واحدة بأن يكون بعضها هنا، وبعضها هناك، كما يجوز في وزن الخفيف الذي يكثر فيه من مثل هذا البيت للمتنبّي:

ربما تحسنُ الصنيع ليالیه ولكنْ تكدرُ الإحسانا

فالنغم الموسيقي في المديد يضطر الشاعر بحكم حساسيته الفطرية أن يتجنب هذا التدوير، ويجعل كلا من الشطرين مستقلاً بكيانه.

وعقد مقارنة بين المديد والخفيف، وقال: "وليس هذا كل ما هناك، فمن الملحوظ أنه لا يمكن في ضرب المديد ما يعبرون عنه بالخَبْن^(٤٧) - مثلاً - كما نجد في هذين البيتين للمتنبّي:

وإذا لم يكن من الموت بُدُّ فمن العجز أن تكونَ جباناً (نَ جباناً)
ولو أن الحياة تبقى لحيً لعدّدتنا أضلنا الشجعاناً (شُجعاناً)

فهذا التزاوج في الضرب بين الحركة والسكون لا يتيسر لناظمه في المديد، ويظهر في أن هذه القيود وأمثالها - مقابل يسر الأشياء من جواز الزحاف

(٤٦) مع أنهما من دائرتين مختلفتين، فالمديد من دائرة المختلف، والخفيف من دائرة المجتلب.

(٤٧) الخبن: حذف ساكن في (فاعِلُن) فتصير (فَعِلُن).

والعلل^(٤٨) في الخفيف - هي التي جعلت معظم الناس لا يستسيغون قصيدة تنظم فيه بعكس موقفهم من الخفيف الذي يُطلق لناظمه الكلام على رسله، ولا يقيم في طريقه العثرات التي لا يستطيع غير الفنان تخطئها. فالخفيف أسهل الجور، ولا ينظم ناشئ الفتيان من الشعراء - أول أمره - إلا فيه حتى يستقيم عوده، وأطوعها للسانه؛ لأنه يُجيز له من الزحاف والعلل الشيء الكثير. وفي آخر الأمر كان ولا يزال أكثر ملاءمة للأسلوب الخطابي وليس كذلك المديد الذي يحتفل بموسيقى شعرية عميقة الغور.

أمس في الحسرة مرت ليالٍ
وغدا نفس الليالي تعود

وعلى كل حال سررت أن القصيدة (شمعة تحترق) أثارت في نفسك الحساسة ذكريات حول قصائد لم تسمح لها بالظهور بعد، ولكن لا بدّ - هنا - من تذكيرك - وإلا كنت مثل الذي يخادعك على نفسك - أنك اليوم تقفين من فنك على مدماك شامخ، فلا يجوز أن تنتشري اليوم شيئاً - ولو لنازك القديمة - لا يتقبله ذوق نازك الجديدة المرهفة ومستواها الرفيع".^(٤٩)

لقد اتفق الشعراء على أن في وزن البحر المديد إحياءً وطاقةً تعبيرية، بخلاف ما قاله بعض القدماء والمعاصرين إذ وجدوا فيه ضعفاً وثقلاً، وإن كانت فيه رنة شجو وأسى، ورهو ورزانة واحتشام^(٥٠). وهو - فضلاً عن ذلك - قليل الورد في الشعر إذا ما قورن بالبحور الأخرى.

(٤٨) الزحاف: تغيير يلحق بثواني أسباب الأجزاء للبيت، والعلة: تغيير مخصص بثواني الأسباب.

(٤٩) المساجلات ص ٧١.

(٥٠) ينظر الفصول والغايات ص ٢١١، منهاج البلغاء ص ٢٦٨، موسيقى الشعر ص ٩٦، المرشد إلى فهم أشعار العرب ج ١ ص ١٥٠، العروض - تهذيبه وإعادة تنوينه - ص ٣٦٣.

(٧)

وأبدت نازك رأيها في كتب إبراهيم التي أهداها إليها، قالت: "قرأت (الأساليب الشعرية) وقضيت في ذلك وقتاً ممتعاً أنست خلاله بدراسة أسلوبك في نقد هذه الأساليب ومراجعتها، وأود لو وقفت طويلاً عند آرائك في المتنبي وشعر الحكمة عموماً وذلك لسببين: أولاً اعتقادي بأن شعر الحكمة لا يخرج عن كونه شعراً له كل ما للشعر من مزايا، وخصائص. ثانياً وقد فهمت من سياق كلام الأخ أنه يفصل بين شيئين: حكمة وفن، وهما في نظري واحد"^(٥١).

وإلى هنا انتهت الرسائل المتبادلة بين نازك الملائكة وإبراهيم العريض، ولهذه الرسائل أهمية نقدية لأنها احتوت على مسائل مهمة هي:

- ١- الاهتمام بالنقد الأدبي وضرورة إبداء الآراء بتجرد.
- ٢- مناقشة دعوة نازك إلى الشعر الحر.
- ٣- متابعة تأثير الشعراء العرب بالشعر الأجنبي وإبداء الرأي فيه.
- ٤- تحبيب البحر المديد الذي قلَّ استعماله قديماً وحديثاً، لما فيه من طاقات تعبيرية.
- ٥- الكشف عن تأثير نازك الملائكة بالشاعر إدغار آلن بو.

ومما يُحمد لهما أن مساجلتها كانت هادئة، إذ سادها احترام الرأي الآخر، وعدم التعصب المقيت الذي كانت الساحة النقدية تشهد في الخمسينيات - وهي زمن كتابة الرسائل الخمس- . وكانت عبارات الود والتقدير بادية في الرسائل، وإن جاءت فيها بعض الوخزات المسربلة بالاحترام، ولكن ذلك لم يثرهما، وإنما سارا في جو هادئ، وكانت نازك تبدأ رسائلها إلى إبراهيم بقولها: "أخي الأستاذ الشاعر: أرق تحية وأجملها" وقولها: "أخي الشاعر الأستاذ إبراهيم العريض:

(٥١) المراسلات ص ٩١.

تحية رقيقة" وقولها: "أخي الأستاذ العريض: أرق تحية"، وتختتمها بقولها: "المخلصة"، و "أختك المخلصة" و "أختك".

وكان إبراهيم قد بدأ رسالتيه بقوله: "أختي الشاعرة نازك الملائكة: أجمل تحية وأزكاها" وقوله: "أختي الشاعرة: أعطر تحياتي" ويختمها بقوله: "من أخيك".

وقد تُظهر الرسائل المتبادلة بين الأدباء والمفكرين والعلماء كثيراً من الآراء السديدة التي لم يسجلها مرسلوها في كتبهم أو بحوثهم أو مقالاتهم المنشورة، وقد تغير تلك الآراء بعض ما تعارف عليه الناس وقالوه في العلن، لأن الإنسان ينطلق حينما يكتب رسالة، ويبيدي فيها الآراء ظناً منه أنها لن تنتشر. ولولا الرسائل التي نشرت في الشرق والغرب في حياة مرسلها أو بعدها ما استطاع المؤلفون والباحثون أن يقدموا فكرة واضحة للعالم أو المؤلف أو الأديب، وأن يرسموا صورة للحياة العلمية أو الفكرية أو الأدبية في حقبة من الزمن.

المصادر

- ١- إدغار آلن بو - ديفيد سنكلر - ترجمة سلافة حجاوي - بغداد ١٩٨٢م.
- ٢- ثلاثة قرون من الأدب - إشراف جبرا إبراهيم جبرا - بيروت.
- ٣- ديوان نازك الملائكة - بيروت ١٩٧١م.
- ٤- العروض - تهذيبه وإعادة تنوينه - الشيخ جلال الحنفي - بغداد - الطبعة الثانية - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٥- فصول في الشعر - الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٦- الفصول والغايات - أبو العلاء المعري - القاهرة ١٩٣٨م.
- ٧- في الشعر العربي الحديث - الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ٢٠٠٢م.
- ٨- المؤثرات الأجنبية في شعر نازك الملائكة حتى عام ١٩٥٠ - الدكتور سلمان داود الواسطي - (نشر في كتاب نازك الملائكة - إعداد علي الطائي - بغداد ١٩٩٥م.
- ٩- مراسلات إبراهيم العريض الأدبية - ١٩٤٣-١٩٩٦م - نادي العروبة - البحرين ١٩٩٦م.
- ١٠- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها - الدكتور عبدالله الطيب المجنوب - القاهرة - ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- ١١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء - حازم القرطاجني - تحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة - تونس ١٩٦٦م.
- ١٢- موسيقى الشعر - الدكتور إبراهيم أنيس - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٢م.
- 13- Edgar Allan Poe – Tales and Poems-, introduction by phily van Doren Stern, may 8, 1945.

الفتح والأرض في الأندلس

د. عبد العزيز الدوري

و

د. غيداء خزنة كاتبتي

(أستاذ مشارك) بقسم التاريخ

الجامعة الأردنية

بسم الله الرحمن الرحيم

كان فتح الأندلس، وتنظيم أمورها في الأساس شأن ولاية إفريقية. وكان الفتح في العقد الأخير للقرن الأول الهجري (٩٢-٩٥هـ/٧١١-٧١٤م).

وقد وضعت التنظيمات التي تخص معاملة الأراضي المفتوحة وأهلها واستقرت في المشرق خلال القرن الأول الهجري، ويفترض أن تطبق على الأندلس، ولكن الكثير من الروايات تعطي صورة مخالفة.

ابتداءً نشير إلى الإجراءات التي اتخذت في فتح إفريقية والمغرب، لتكون مدخلاً إلى الحديث عن معاملة الأرض في الأندلس.

يبدو أنّ الغارات في إفريقية كان يرافقها كثرة الغنائم، والسبي خاصة، وإرسال الخمس إلى المركز^(١).

وكان للسبي أهمية خاصة بالنسبة للخلفاء. يقول ابن عذاري: " وكان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب وبيعثون بها إلى عمال إفريقية فيبعثون لهم البربريات"^(٢).

١. انظر ابن عذاري، البيان ١/١٢، وص ١٦-١٧ وص ٤٠، وص ٤٣، وص ٥١، والمالكي، رياض النفوس ١/٥٧.

٢. ابن عذاري، البيان ١/٥٢.

وتُرد الإشارة الأولى إلى تنظيم الخراج زمن حسان بن النعمان (٧٤-٨٥هـ / ٦٩٤-٧٠٤م)، فيذكر ابن عبد الحكم عن حسان أنه "دون الدواوين ووضع الخراج على عجم إفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر، وعامتهم من البرانس (المستقرين) إلا قليلاً من البتر (البدو)"^(١).

ويذكر المالكي عن حسان "فلما رأت الروم (شدته) وقهره (لهم وعلما) أنهم لا قوام لهم به سألوه الصلح وأن يضع عليهم الخراج فأجابهم إلى ذلك"^(٢).

ويتطرق المالكي إلى سياسة حسان بن النعمان مع البربر فيقول: إن البربر استأمنوا إليه فلم يقبل أمانهم حتى أعطوه اثني عشر ألف فارس يكونون مع العرب مجاهدين، فأجابوه وأسلموا على يديه، ولم يكتف بذلك، بل وأخرجهم مع العرب يفتحون إفريقية". ويضيف "فمن ذلك صارت الخطط للبربر بإفريقية، فكان يقسم الفيء بينهم والأرض. فدانت له إفريقية ودون الدواوين"^(٣). ويقول ابن عذاري: إنه في سنة ٨٢هـ / ٧٠١م استقامت بلاد إفريقية لحسان بن النعمان فدون الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم إفريقية ومن أقام معهم على دين النصرانية^(٤). أي أن الخراج فرض على الروم والنصارى الآخرين مع الأفارقة والبربر.

١. ابن عبد الحكم، فتوح مصر ص ٢٠١. وانظر الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٤ الذي يضيف "الروم" إلى البربر.

٢. المالكي، رياض النفوس ٥٧/١. وانظر الطالبي، الدولة الأغلبية، ص ٢٨-٢٩ - Levi- Afrique du Nord Provencale, un Nouveau Recit De La conquete del par Les Arabes, Arabica p:14et seq.

٣. المالكي، رياض النفوس ٥٦/١-٥٧.

٤. ابن عذاري، البيان ٣٨/١.

وقد جعل حسان الدواوين، ومنها ديوان الخراج إلى جانب دار الإمارة^(١).

هكذا يتبين أنّ الخراج فرض على الأرض، وأنّ البربر في إفريقية وبتأثير سياسة حسان أسلموا، وشاركوا في الجهاد وبالتالي في الفياء، وهذا يعني ترك أراضيهم بأيديهم، ولن يكون لهم بعد ذلك من الأرض شيء إلا من الصوافي، فالمالكى نفسه يقول: "واستقامت إفريقية كلها، وآمن أهلها، وقطع الله عز وجل مدة أهل الكفر بها، وصارت دار إسلام إلى وقتنا هذا"^(٢).

وأخضع موسى بن نصير المغرب، وانتشر الإسلام بين أهله^(٣). ومع ذلك يبدو أنّ الإسلام عمّ في المغرب في ولاية إسماعيل بن أبي المهاجر السذي ولآه عمر بن عبد العزيز على إفريقية سنة ١٠٠هـ/٧١٨م الذي "كان حريصاً على دعاء البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقية البربر بإفريقية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز"^(٤).

وينتظر أن لا يدفع الخراج من أسلم قبل أن يقدر عليه، بل يدفع العشر. ولا نسمع عن مشكلة كبرى مع البربر إلا أيام هشام بن عبد الملك في ثورة ميسرة (الحقير) المدغري سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م، وسببها المباشر تعسف أمير إفريقية عبيد الله بن الحبحاب (١١٦-١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤١م)، وظلم عامله على طنجة. يقول ابن عذاري: "قلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب متأهم (الأمويين) بالكثير وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة،

١. حسن حسني عبد الوهاب، وراقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ٥١/١.

٢. المالكي، رياض النفوس ٥٧/١.

٣. ابن عذاري، البيان ٤٣/١.

٤. ن.م. ٨٨/١.

فحينئذٍ عدت البرابر على عاملهم على طنجة فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الحبحاب". ويضيف ابن عذاري: "ثم إنَّ عمر بن عبدالله المرادي، عامل طنجة وما والاها، أساء السيرة وتعدَّى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاية يخمسون من لم يجب الإسلام، فكان فعله الذميمة سبباً لنقض البلاد وخروج الفتن العظيمة"^(١).

وواضح أنَّ إجراءات عامل طنجة تخص المسلمين، وأن سبي البربر المسلمين مخالف للمفهوم الإسلامي، كما أنَّ الزيادة في العشر على الأرض وفي الصدقات هو تجاوز وجور على المسلمين.

هكذا يتبين أنَّ أراضي إفريقية صارت خراجية، إلا تلك التي أسلم عليها أهلها، وصارت إفريقية دار إسلام بدءاً بولاية حسان. ويلاحظ أنَّ الأمويين حبذوا السبي من البربر غير المسلمين، الذي خمس، بينما ردَّ عمر بن الخطاب السبي في السواد والأهواز مثلاً لأنه رأى أنَّ إبقاء الفلاحين على الأرض أجدى. وينتظر أن يثير الفقهاء في إفريقية مسألة الصلح والعنوة، وهي مسألة ظهرت زمن المروانيين من بني أمية بالنسبة لإمكان زيادة الضرائب (الجزية والخراج)، كما فعل عبد الملك في الجزيرة الفراتية والشام^(٢)، ولمعاملة الأرض بعد الفتح بين اعتبارها غنيمة أو فيئاً للأمة. وقد تناولها الداودي (ت ٤٠٢هـ/١٠١١م)، في روايته وهو يروي عن سحنون (ت ٢٤٠هـ/٨٥٥م)، قال: "كشفت عن أرض إفريقية فلم أقف منها عن حقيقة هل هي عنوة أو صلح،

١. ن. م. ٥٢/١. وانظر الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ١٠٩.

٢. انظر: أبو يوسف، الخراج، ص ٤١.

وسألت عن ذلك علي بن زياد^(١) (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م) فقال لم يصح عندي فيها شيء". ثم يقول الداودي " إذا خفي خبر الأرض ولم يعلم هل هي صلح أو عنوة أو أسلم عليها أربابها فهي لمن وجدت في يده، وإن كان لا يُدرى بأي وجه صارت إليه"^(٢). ويضيف " وأما بلاد المصامدة وأرض مراکش، قال ابن عبد الحكم: اتفق أشياخنا من أهل العلم أنها أسلم عليها أربابها، وليس فيها صلح ولا عنوة"^(٣). ويورد الداودي رواية: " قيل: إنَّ منها ما افتتح عنوة ومنها ما افتتح صلحاً"^(٤)، وهو قول لا دلالة فيه. ويورد رواية أخرى: " إنَّ إفريقية، من طرابلس إلى طنجة، تجري على ما تواطت عليه القرون في أمرها، وتقر بأيدي مالكةا"^(٥). وهذه الرواية تستثني ما اغتصب أو ما أخذ قسراً أو ما أجلي عنه أهله " بالأخماس"، وربط الجلاء بالأخماس يشير لأراضٍ سبي أهلها أو جلوا عنها وصارت في حكم الصوافي.

وتبقى إشارة سحنون، الفقيه الكبير، بأنّ الصلح أو العنوة ليست واردة، وأما إشارة ابن عبد الحكم إلى الأراضي التي أسلم عليها أهلها، فتعني الإقرار بأنّ الأرض تركت بأيدي أصحابها.

١. وهو علي بن زياد العبسي التونسي (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م) كان ثقة بارعاً في الفقه، سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري ومن الليث بن سعد، ودرس عليه سحنون وأسد بن الفرات. وهو أول من أدخل المغرب جامع سفيان الثوري وموطأ مالك. أبو العرب، طبقات علماء إفريقية وتونس، ص ٢٥١-٢٥٣، المالكي، رياض النفوس ١/١٥٨.

٢. كتاب تذكاري ليفي بروفنسال ٤٠٨/٢.

٣. كتاب تذكاري ليفي بروفنسال ٤١٠/٢.

٤. ن.م. ٤٠٨/٢.

٥. ن.م. ٤٠٩/٢.

- وحين ننظر للأندلس لا نجد ما يدعو لاتخاذ أسس في معاملة الأرض وفي الضرائب تختلف عما سار عليه الأمويون في المشرق، وفي إفريقية. وقد يكون للأوضاع المحلية في الأندلس بعض الأثر في التطبيق في إطار الأسس/المبادئ العامة.

يلاحظ هنا أن الأندلس اعتبرت ابتداءً "ثغراً" و"دار جهاد"^(١) لأن البحر يفصلها عن البلاد الإسلامية، ولأنها أمام الأعداء في الشمال والغرب. وكانت إسبانيا تحت حكم القوط^(٢)، وهؤلاء-كفاتحين آنذ- كانوا يأخذون الثلث من الأرض أو من ناتجها.

وكانت إسبانيا مقسمة إلى عدد من المقاطعات، يحكم كلا منها دوق، وتضم كل مقاطعة عدداً من الوحدات الإدارية يحكم كلاً منها قومس(كونت). وتقوم الوحدة على المدينة/القلعة وما يرجع إليها من قرى وضياع وأراض زراعية^(٣). وقد استمر هذا الوضع في الفترة الإسلامية، بمعدل سبع إلى عشر قرى لكل مدينة^(٤)، وصار يطلق على المدينة وتوابعها بعد الفتح اسم الكورة^(٥).

إن المصادر العربية عن فتح الأندلس جاءت متأخرة كما إن معلوماتها قليلة وذلك يكون مشكلة للباحث وليس له إلا أن يبحث عن أية إشارات مفيدة. وهنا

١ . مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ٢٣، وابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ٣٩.

٢ . عن القوط انظر حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص ٢٠٢ وما بعدها.

٣ . حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين ص ٢٦٢ وحسين مؤنس، فجر الأندلس ص ٢٢

.Collins-Early Medieval Spain.106.

٤ .Glick,From Muslim Fortress to Christian Castle p.17..

٥ . انظر ابن الأبار: الحلة السيرة، ١/٦١-٦٣، وحسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٥٩٦.

نّفوه بمصدر إسباني كتب حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي (الثاني للهجرة)، وتناول الفتح والفترة الأولى بعده، وهو بحكم المعاصر للأحداث، ويشار إليه بـ "تاريخ ٧٥٤"^(١).

يلاحظ ابتداءً أنّ أولى معارك الفتح كانت في وادي لكّة إذ دخل لذريق ومعه ملوك/أمراء الأندلس الموالين له - معركة حاسمة مع المسلمين بقيادة طارق بن زياد وانتهت بتدمير الجيش القوطي (في ٢٨ رمضان ٩٢ هـ/ ٩ تموز ٧١١م). وجمع طارق "الفيء" (الغنيمة) وقسمه^(٢).

أمّا المواجهات التالية فكانت بين الأمراء المحليين (أو الكونتات جمع كونت) والمسلمين. فمثلاً تقدم طارق إلى إستجة حيث تجمع فلال معركة وادي لكّة، وبعد قتال شديد صالحت إستجة على الجزية^(٣). ويقول المقرئ "ولم يلق المسلمون فيما بعد ذلك حرباً مثلها"^(٤).

وواجه تدمير (الأمير المحلي) المسلمين ومركزه أوريولة^(٥) وبعد قتال شديد صالح على جزية محددة عن كل فرد^(٦).

١ . انظر Roger Collins, The Arab Conquest of Spain p710-797.

٢ . ابن عذاري، البيان ٨/٢، المقرئ، نفتح ٢٥٩/١.

٣ . مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص ٩، ابن عذاري، البيان ٨/٢، المقرئ، نفتح ٢٦٠/١ وحتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص ٢٦٢ .

٤ . المقرئ، نفتح، ٢٦٠/١.

٥ . عن أوريولة، انظر الحميري، الروض المعطار، ص ٦٧.

٦ . المقرئ، نفتح ٢٦٤/١، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص ١٣، حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص ٧٦-٧٩.

ويذكر الحميري أن مدينة وشقة^(١) حوصرت حصاراً طويلاً حتى بنى المسلمون المساكن وخرسوا الغروس وحرثوا لمعايشهم واستمر الحصار سبعة أعوام، ثمّ " استأمنوا لأنفسهم وذراريهم، فمن دخل الإسلام ملك نفسه وماله وحرمته، ومن أقام على النصرانية أدى الجزية"^(٢) .

وهكذا نجد الإشارات إلى فرض الجزية على من خضع بعد القتال وعلى من صالح. ولا ترد إشارة إلى معاملة الأرض، كما هو الحال في الفتوح عامة، لأنّ ذلك يأتي بعد الفتح واستقرار الأمور.

واستولى موسى بن نصير على ماردة سنة ٩٤هـ/٧١٣م، بعد مقاومة شديدة، "فنالوا من المسلمين دفعات وأذوهم"، وصالح أهلها على أن " جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية، للمسلمين، وأموال الكنائس وحليها لها"^(٣).

وهنا اعتبرت أموال القتلى في معركة يوم الكمين، وأموال الهاربين إلى جليقية وكذلك أموال الكنائس وحليها غنيمة. وبالتالي فالأراضي تكون صوافي، وهي - كما قرر عمر بن الخطاب - فيء (غنيمة) للمقاتلة. وسنتناول موضوع الصوافي لاحقاً.

١. عن وشقة: انظر الحميري، الروض المعطار، ص ٦٧.

٢. بروفنصال، صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار للحميري ص ٧٩٥.

٣. المقري، نفع ١/٢٧٠ وانظر ابن عذاري، البيان ٢/٨٥ وابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥. وانظر حسين مؤنس - فجر الأندلس، ص ٤٤٢ حيث يورد نص الصلح عن الرازي، مترجماً للإسبانية، وقد فقد الأصل العربي.

- ولا يهمننا الدخول في تفاصيل سير حركة الفتح على يد طارق بن زياد، ثم موسى بن نصير، بل نكتفي بالإشارات التي تتصل بموضوع البحث.

وهنا تواجهنا روايات، لا تخلو من تضارب وتباين، وبخاصة في كتاب رحلة الوزير (أو الرسالة الشريفة) تنسب إلى موسى بن نصير اتخاذ إجراءات في الأراضي المفتوحة.

جاء في رواية أنّ موسى بن نصير فتح البلاد من عمل إشبيلية " فبدأ بها... ثمّ سار منها إلى لبلة ثمّ إلى باجة ثمّ إلى أكشبونة على سيف البحر، فاقتنحها أجمع سلماً"^(١). وفي رواية لمحمد بن موسى الرازي^(٢) (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) إشارة إلى تحرك موسى بن نصير في الاتجاه نفسه من إشبيلية إلى أكشبونة، من دون وصف طبيعة الفتح^(٣). والقول إنّ الفتح كان سلماً يعني أداء المغلوبين الجزية للمسلمين مع بقائهم في أراضيهم.

ويورد الغساني رواية عن محمد بن مزين (ت ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) نقلًا عن محمد بن موسى الرازي (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، في سفره (الرايات)، أنه حين تمّ افتتاح الأندلس " قسمها موسى بن نصير البكري التابعي بين الجيوش الذين دخلوها كما قسّم بينهم سببها ومتاعها وسائر مغانمها، وأخرج من أرضها ورباعها الخمس، كما أخرج من سببها ومتاعها. واختار من خيار السبي وصغارها مئة ألف وحملهم إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وترك سائر

١. الغساني، رحلة الوزير، ص ١٣٦.

٢. انظر عن محمد بن موسى الرازي: ابن الأبار، التكملة، ٣٦٦/١، الزركلي، الأعلام، ١١٧/٧.

٣. الغساني، رحلة الوزير، ص ١٣٩.

الخمسة من كبل وسبي ووخش الرقيق، في الخمس من الأرضين يعمرونها ليثبت مال المسلمين، وهم أهل البساط، وكانوا يعرفون الأخماس وأولادهم بنو الأخماس"، وأضاف "وأما سائر النصارى الذين كانوا في المعقل المنيع والجبال الشامخة، فأقرهم موسى بن نصير على أموالهم ودينهم بأداء الجزية وهم الذين بقوا على ما حيز من أموالهم بأرض الشمال لأنهم صالحوا على جزء منها مع أداء الجزية في أرض الثمرة وأرض الزرع على ما فعله خير من اقتدي به صلى الله عليه وسلم بيهود خيبر في نخيلهم وأراضيهم". ثم قال: "فلم يبق بالأندلس بلدة دخلها المسلمون بأسياهم، وأصبحت ملكاً لهم، إلا وقسم موسى بن نصير بينهم أراضيها إلا ثلاثة بلاد، وهي شنترين وقلنبرية في الغرب وشيه في الشرق، وسائر البلاد قسمت وقسمت... ثم توارث الأراضي الأبناء عن الآباء. والذي ذكره الناس والعلماء من أرض (الصلح) وأرض العنوة بالأندلس فإنما هو مال الخمس، هو أرض العنوة، وما صولحوا عليه فهو حال الشمل من أرض وشجر لا سائر أموال الناس"^(١).

وهذه الرواية قلقة، فهي تبين أن أكثر الأراضي فتحت عنوة، مع أن المواجهة، بعد المعركة الحاسمة مع لذريق، كانت مع حكام المدن الذين كانوا يصلحون عن مدتهم عادة.

وأورد الغساني رواية أخرى تشعر بذلك، "وقال بعض علماء السلف بأمر الأندلس أن أكثرها إنما فتح صلحاً إلا الأقل من مواضع معروفة وأنه لما هزم لذريق لم يقف المسلمون بعد ذلك ببلاد إلا أذعنوا إلى الصلح، ولذلك بقي الروم

١. الغساني، رحلة الوزير ص ١٣٩-١٤٠.

فيها على أرضهم وأموالهم يبيعون ويبيع منهم^(١). وهي رواية واضحة الدلالة في أنّ الأرض بقيت لأهلها يتصرفون بها وأنها صارت خراجية^(٢).

كما أنّ رواية محمد بن مزين (عن محمد بن موسى الرازي)؛ التي تتحدث عن أراضي العنوة التي يفترض أنها صارت غنيمة للمسلمين، تبين أنها تدفع الثلث لهم، وهو ما كان يدفع للقوط من قبل^(٣)، فهو بمثابة الخراج. وأمّا أرض الصلح فقد قرنتها الرواية بإجراءات الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر، علماً بأنّ خيبر اعتبرت غنيمة وخمست، وهذا عكس ما تدّعيه الرواية. وتبين الرواية أنّ أهل الصلح (في أرض الشمال) صالحوا على جزء منها (الأرض) مع أداء الجزية، وهو مثل ما ذكر عن أرض العنوة، من دفع الثلث (من الأرض أو من حاصلها) في الخراج، إضافة إلى الجزية.

من كل ذلك يتبين أنّ الأرض في عامتها - سواء اعتبرت أرض صلح، أو أرض عنوة - صارت خراجية.

وبعد هذا يورد الغساني رواية تفيد أنّ موسى بن نصير وجماعة من فاتحي الأندلس وفدوا على الوليد^(٤) يستأذنونهم في إخراجها والرحيل عنها إلى أوطانهم فقربهم وأنسهم وأقطعهم الإقطاعات فيها وأقرهم... ولم يجعل لهم سبيلاً إلى الخروج منها...^(٤)، وهذه الرواية تثير التساؤل، فلماذا يقطعهم الوليد

١. الغساني، رحلة الوزير، ص ١٤٠.

٢. ن. م. ص ١٣٦ عن خط فتوح موسى بن نصير.

٣. انظر ٢٤. Collins, Early Medieval Spain p. ٢٤ وحسين مؤنس، فجر الأندلس، ص

٥٩٧-٥٩٨ و ص ٦٠٢.

٤. الغساني، رحلة الوزير، ص ١٤٠.

إقطاعات إذا كانت الأراضي وزعت عليهم بعد التخميس؟ ولماذا يطلبون الرحيل عن البلاد بعد تملكهم الأراضي؟ أليس في هذا التباس مع ما حصل زمن عمر بن عبد العزيز (كما سنرى)؟ وجاء في رواية أخرى أنّ الوليد أقرهم (أي الفاتحين) على ما قسم موسى بن نصير^١ بينهم وسجل لهم به، وأقطع من دخل الأندلس بعدهم من الخمس إقطاعات^(١)، علماً بأنّ موسى بن نصير وصل إلى دمشق والوليد في مرضه الأخير، وكان هذه الرواية تتسبب للوليد ما قام به عمر بن عبد العزيز.

كما أن فترة ولاية موسى بن نصير كانت فترة قصيرة، حافلة بأعمال الفتح حتى آخر أيامه ولا تتسع لتنظيم الأرض والضرائب.

وبعد هذا، فإنّ عدد الفاتحين كان قليلاً، حوالي (٢٥,٠٠٠)، وكانت الحاجة ملحة إلى حاميات في المدن الرئيسية، ولا مجال لانتشارهم على الأرض.

وهنا نذكر أنّ التخميس في البلاد المفتوحة من أيام الراشدين لم يشمل إلاّ الصوافي، إذ إنّ عمر بن الخطاب قرّر أنّ أرض الصوافي فيء (أي غنيمة) للمقاتلة، أربعة أخماسها لهم ولبيت المال خمسها. ثمّ ضمّت أرض الصوافي لبيت المال في أيام معاوية^(٢).

١. الغساني، رحلة الوزير، ص ١٤١.

٢. انظر غيداء خزنة كاتبني، الخراج ص ٢٩٧-٢٩٨ و ص ٣٠٧-٣٠٨.

والصوافي في الأساس أراضي الأسر الحاكمة السابقة وأراضي بعض النبلاء،
ومن قتل أو جلا أثناء الحرب، وكل أرض من دون مالك بعد الفتح مباشرة^(١).

ويبدو أنّ أرض الصوافي في الأندلس كانت واسعة، فضياع أولاد الملك
غيطشة (Wittiza) مثلاً كانت ثلاثة آلاف ضيعة^(٢). وللملك ضياعه العائلية
إضافة إلى ضياع التاج، ولا بد من أنّ ضياع لذريق العائلية والملكية كانت
كثيرة وبخاصة في منطقة قرطبة حتى أنهم سمو قرطبة بلاط لذريق، وقد
اعتبرت هذه من الصوافي، وهذا يصدق على أرض من جلا أو قتل أثناء
الحرب^(٣).

ولا يخفى أنّ أملاك النبلاء الذين قتلوا أو هربوا كانت واسعة. يذكر
كتاب (التاريخ ٧٥٤) أنّ موسى بن نصير أعدم في طليطلة بعض النبلاء الذين
كانت لهم صلة بهرب (أوبة) أخ الملك غيطشة^(٤).

ويشير كتاب (أخبار مجموعة) إلى أسر ملك قرطبة من مغيث مولى الوليد
ويقول: " ولم يؤسر من ملوك الأندلس غيره، منهم من عقد على نفسه أماناً
ومنهم من هرب إلى جليقية". فمن حصل على الأمان حفظ أرضه كما فعل
صاحب تدمير، ومن هرب اعتبرت أراضيها صوافي. وفي أخبار مجموعة أنّ

١. أبو يوسف، الخراج، ص ٥٧-٥٨. أبو عبيد، الأموال ص ٢٦١، يحيى بن آدم، كتاب
الخراج، ص ٦٤.

٢. المقرئ، نفع ١/ص ٢٢٦-٢٢٧.

٣. انظر ١٥٢، ١١٥، Collins- Early Medieval Spain P. ١١٥، المقرئ،
نفع ١/١٦٠، ٢/٢٣ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٦٢٣.

٤. Collins, Conquest P. ٣٠، ٤٧، ٤٨.

تدمير عقد على نفسه الصلح وعلى أهل بلده فصارت تدمير صلحاً كلها... وعاملهم على ترك أمواله في يديه"^(١)، وترد إشارات إلى هرب الكثير من السكان من وجه القوات الفاتحة، كما أنّ أعداد السبي تبدو كبيرة^(٢).

نشط عبد العزيز بن موسى بن نصير في ولايته (صفر ٩٥هـ - رجب ٩٧هـ / نوفمبر ٧١٣ / مارس ٧١٦) لفتح جنوب شرق الأندلس (مالقة، غرناطة، مرسية) ونقل مركز الحكم إلى إشبيلية^(٣).

ويفهم من (التاريخ ٧٥٤) أنّ فترة ولاية عبد العزيز - (ويجعلها ٧١٢-٧١٥م) أي (٩٤-٩٧هـ) - كانت مهمة في أنها أسست حكم المسلمين في شبه الجزيرة، ويقول إنّ عبد العزيز كان "خلال ثلاث سنوات يخضع إسبانيا سلمياً إلى عبء الضرائب"^(٤). وهذا يعني أنه بدأ بتنظيم الإدارة، بما في ذلك القيام بإحصاء السكان لفرض الجزية، والنظر في أمور الخراج وتهدئة البلاد^(٥).

١. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٣. وانظر المقرئ، نفع ٢٦٧/١.

٢. الغساني، رحلة الوزير ١٧٩، وانظر المقرئ، نفع ٢٥٩/١، ٢٣/٢.

٣. المقرئ، نفع ١٧١/١، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص ١٩. وانظر Collins-Early

Medieval Spain P.153. يجعل كتاب (التاريخ ٧٥٤) مجيء طارق سنة

٩٢هـ / ٧١١م ومجيء موسى بن نصير سنة ٩٢هـ / ٧١١م، وتركه الأندلس في أواخر

٧١٢/٩٣، بينما تجعل الرواية العربية عودة موسى بن نصير سنة ٩٥هـ / ٧١٣م.

Collins, Conquest p.39off.

٤. Collins, Conquest P.٢٨.

٥. انظر شالميطا، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمي الجبوسي

١٠٤٤/٢.

ويهمنا هنا صلح عبد العزيز بن موسى بن نصير مع تدمير (Theodomir)، سيّد سبع مدن وما يتبعها من أراضي جنوب شرق الأندلس، وجاء فيه " أنه (أي تدمير) نزل على الصلح، وأن له عهد الله وذمته، أن لا ينزع عنه ملكه (١)، ولا أحداً من النصارى عن أملاكه، وأنهم لا يقتلون ولا يسبون، أولادهم ولا نساؤهم، ولا يكرهون على دينهم ولا تحرق كنائسهم ما تعبد، وما نصح، وأن الذي اشترط عليه أنه صالح على سبع مدائن، أوريولة وبلنثلة ولقنت ومولة وبقرة وأنة ولورقة. وأنه لا يأوي لنا عدواً، ولا يخيف لنا آمناً، ولا يكتم خيراً علمه، وأن عليه وعلى أصحابه ديناراً كل سنة وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد شعير وأربعة أفساط طلا وأربعة أفساط خل وقسطي عسل وقسطي زيت، وعلى العبد نصف ذلك، كتب في رجب ٩٤هـ " أي نيسان ٧١٣م (٢).

هذا الصلح ترك الإدارة المحلية بيد تدمير، وحفظ له أمواله، وأمن رعيته على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وكنائسهم، على دفع جزية سنوية، عن كل فرد، ديناراً ومواد طعام عينية، كما ذكر. وهو صلح يشبه في الأساس عهد الصلح الإسلامية في المشرق. ولا ينتظر أن يكون هذا هو الصلح الوحيد، والأرجح أن سلسلة عهود مماثلة عقدت مع عدد من المدن من خلال الكونتات أو مجالس

١. يرد في كتاب أخبار مجموعة" وسبحافظون(الأهالي) على رؤسائهم " بدل" لا ينزع عنه ملكه"، ولا ذكر فيه لـ" ولا أحداً من النصارى عن أملاكه" مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص ١٣.

٢. انظر العنزي، نصوص عن الأندلس ص ٥٤، الضبي، بغية الملتمس ص ٢٥٩، لافي بروفنصال، صفة جزيرة العرب من كتاب الروض المعطار للحميري ص ٦٩. وانظر ص ٤٠، ٦٩-٣٩. Collins, Conquest PP.

المدن حسب الأوضاع. وهناك ما يدعو للاعتقاد بأن صلحاً مماثلاً عقد مع أهالي
بنبلونة^(١).

ومثل هذا الصلح يدل على أن ملكية الأرض لم تتأثر بأحداث الفتح، فقد كان
القوط يفرضون التلث على الأرض، فاستمر هذا أو ما يقرب منه بعد الفتح^(٢).

أما مقادير الجزية فلا تتطابق مع ما فرض في بعض جهات المشرق (ربما
باستثناء النجد). ولعلها أقرب إلى الأعراف القوطية، ويمكن الافتراض أن مقادير
الجزية تختلف من موقع لآخر في المواد العينية^(٣). ومثل هذه الترتيبات مناسبة
للفاتحين في البداية لأنها تجعل المقاومة أكثر حرية في متابعة الفتح من دون
الحاجة إلى ترك حاميات في المدن كافة، خاصة وأن قوات الفاتحين كانت
متواضعة.

يتبين إذن أن شبه الجزيرة العربية شهدت ابتداءً أنموذجين للإدارة: الأول
جهات بقي لها أمراء محليون، مثل تدمير، والثاني جهات تدار مباشرة من
العرب، ووضعت حاميات في مدنها الرئيسية.

وترد إشارات يفهم منها أن بعض المقاومة استولوا على أراضٍ في فترة
الفتوح، ويرجح أنها كانت - على الأغلب - من الأراضي الخالية، نتيجة مقتل
أصحابها أو جلائهم، وهذه من الصوافي، فملكوها وبقوا عليها^(٤). ويشير

١ . انظر Collins, Conquest P.40. وانظر عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار،
ص ١٨١، ص ٢١٢.

٢ . انظر الغساني، رحلة الوزير ص ١٤٠.

٣ . انظر Collins, Conquest P.41.

٤ . انظر لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة ١/١٠٩.

المقري إلى الوضع بوضوح إذ يقول: "وكانت العرب والبربر، كلما مرّ قوم منهم بموضع استحسنوه حطوا به ونزلوه قاطنين فاتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس"^(١).

وقدم الحرّ والياً على الأندلس ومعه ٤٠٠ من الوجوه من إفريقية، في ذي الحجة ٩٧هـ/ آب ٧١٦م وبقي إلى رمضان ١٠٠هـ/ نيسان ٧١٩م فكان والياً ثلاث سنين^(٢). ولا يرد في المصادر العربية شيء عن إدارته إلا أنه نقل مقر الإمارة من إشبيلية إلى قرطبة. ولكن يفهم من (التاريخ ٧٥٤) أنه حقق شيئاً من النظام الإداري بإرسال الموظفين الإداريين الرئيسيين للمدن (ولاية). كما اهتم بمعاينة البربر الذين أخفوا بعض الغنائم. وأما بالنسبة للمسيحيين فيبدو أنّ الحرّ أتم ما بدأه عبد العزيز من فرض الخراج على إسبانيا الخارجية (الشمالية). كما أنه أعاد بعض الضياع التي استولى عليها العرب إلى أصحابها السابقين، ويرجح أنها أراضي نبلاء وملاكين هربوا وعادوا إلى أراضيهم بعد استقرار الوضع مقابل دفع الخراج^(٣). وبإيجاز فإنه نظم الضرائب على أهل البلاد، وثبت نظام الأراضي السائد قبل الفتح. وأبقى للفاتحين الأراضي التي صارت لهم.

-
- ١ . المقري، نفح ٢٧٦/١، وانظر حسين مؤنس، فجر الأندلس ص ٦٢٨. وانظر الإشارات إلى عرب جليقية وعرب استرقة والمدائن التي خلف الدروب وإلى عرب سرقسطة، في مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ٣٨.
 - ٢ . ابن عذاري، البيان ٢/٢٥. ويجعل (التاريخ ٧٥٤) فترة الحر ٧١٥-٧١٨م أي Collins, Conquest P. 96-99
 - ٣ . Collins, Conquest P.46.

وشهدت هذه الفترة إدخال نقود عربية جديدة، "دنانير" على غرار نقد المملكة القوطية، ولكن باللغتين العربية واللاتينية. ولعل هذا يشعر باستقرار الإدارة.

- وتضطرب الروايات مرة أخرى في إشاراتها إلى الإجراءات في فترة عمر ابن عبد العزيز. ولّى عمر السمع بن مالك الخولاني على الأندلس في (رمضان ١٠٠-ذي الحجة ١٠٢هـ/نيسان ٧١٩-حزيران ٧٢١م)، ويروى أن الخليفة فكرّ بسحب المقاتلة من الأندلس " إذ خشي تغلب العدو عليهم"^(١) لكن السمع طمأنه على استقرار أمور المسلمين فيها. ثم إنّ الخليفة أولى الأندلس عناية خاصّة فأفردها عن ولاية إفريقية وجعلها ولاية بذاتها واعتبرها ثغراً وراعى ذلك في التعامل مع الأرض^(٢).

وتتجه الروايات إلى أنّ الخليفة أمر السمع بتخميس الأرض، لكنها تتباين في ذلك، هل هي أراضي الأندلس عامّة أو بعضها. ففي رواية "أن ابن نصير قسّم وخمّس بعض البلاد، وأعجلته حركته منها... فلماً ولأها... عمر بن عبد العزيز السمع بن مالك الخولاني أمره أن يخمّس ما بقي منها"^(٣). وقد سبق وأوضحت أنّ تنظيم التعامل مع الأرض بدأ زمن عبد العزيز بن موسى بن نصير.

١. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٩، وهذا جانب من سياسة عمر بن عبد العزيز العامّة، إذ سبق له أن سحب جيش مسلمة بن عبد الملك من أمام القسطنطينية لأسباب أمنية واستراتيجية، انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٥٣/٦.

٢. انظر ابن القوطية ص ٣٩، وابن عذاري، البيان ٢/٢٦، ومؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص ٢٣.

٣. الغساني، رحلة الوزير، ص ١٤١.

وفي رواية للرازي عن عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) أنّ الخليفة أمر السّمع " أن يخمّس ما بقي من أرضها وعقارها - من دون إشارة إلى البدايات - ويخرج منها خمس الله تعالى، ويقر القرى بأيدي أربابها^(١). وفي "أخبار مجموعة" رواية تفيد أنّ الخليفة أمر السّمع " أن يخمّس أرضها ويخرج مما (الأصل ما) كان عنوة خمساً لله، من أرضها وعقارها، ويقر القرى بأيدي غنّامها بعد أن يأخذ الخمس"^(٢).

وهي رواية في اتجاه رواية ابن حبيب نفسه إلا أنها تتحدث عن أرض الصلح وأرض العنوة، وهو حديث فقهي لم يكن له دور في الواقع.

وهكذا يتبين أنّ القرى عامّة بقيت بأيدي أهلها، أي جعلت أرضاً خراجيّة، وأنّ التخميس بدأ من قبل، وأنه شمل الآن ما بقي من الأرض والعقار. وهكذا يتبين أنّ القرى عامّة بقيت بأيدي أهلها، باستثناء أرض الصوافي.

تتجه الروايات إلى أنّ الأرض التي خمّست هي أرض العنوة^(٣). ويلاحظ أنّ الحديث عن أرض العنوة وأرض الصلح هو حديث فقهي ظهر في المشرق في أواسط الفترة الأموية، في حين أنّ عامّة الأرض في البلاد المفتوحة اعتبرت خراجيّة.

وفي رواية للرازي عن عبد الملك بن حبيب، أنّ السّمع "ميّز أرض العنوة من أرض الصلح ليصح الخمس" وتضيف أنه "لما أتم عمله خير الخليفة بما

١. ن. م. ص ١٤٣.

٢. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص ٢٣. ولعل كلمة "غنّامها" تحريف لـ"تأنها" أي أهلها.

٣. انظر المقرئ، عن ابن حبان (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦) ١/١٤-١٥، الغساني، رحلة الوزير، ص ١٤٣، وابن عذاري، البيان ٢/٢٦.

عمله في أرض العنوة وأرض الشمل، وهي التي فتحت صلحاً". ثم تجعل الرواية معاملة هذه الأرض وأرض العنوة معاملة واحدة، إذ تقول عن أرض الشمل: "فإن أهلها صولحوا على الجزية مع أجزاء من الأرض منها مثلثة ومرابعة، كيف ما كان طيب الأرض وغلثها" ويضيف "حسبما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر"^(١). فالرواية تجعل معاملة أرض الصلح وأرض العنوة واحدة مع أنها تبين أن أرض الشمل صولح أهلها على الجزية وعلى الثلث والربع من الأرض أو من واردها، أي فرض الخراج على الأرض.

أما ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بخيبر فإنه اعتبرها غنيمة للمقاتلة ولم يتبع مثل هذا الإجراء في أي بلد آخر في العصر الراشدي أو الأموي. إن الأرض التي اعتبرت غنيمة للمقاتلة زمن الراشدين هي أرض الصوافي وحدها. واعتبار الأندلس ثغراً أفضى إلى إقطاع المقاتلة منها بعد إخراج الخمس.

ويبين عبد الملك بن حبيب أن السمع "ميّز أرض العنوة ليصح الخمس فينزل القسم بتخميس قرطبة... وأخرجت البطحاء المعروفة بمصلى قبلي قرطبة في الخمس" فأمر الخليفة بجعل البطحاء مقبرة للمسلمين^(٢). وفي رواية أخرى أن البطحاء خرجت في خمس قرطبة بقيليتها^(٣).

١. الغساني، رحلة الوزير، ص ١٤٣.

٢. الغساني، رحلة الوزير، ص ١٤٣.

٣. ن. م. ص ١٤٢.

وينفرد ابن القوطية بالقول إن الخليفة وجه جابراً مولاه ليخمس الأندلس، فنزل قرطبة، ثم أُنْتَه وفاء عمر فرفع يده عن التخميس^(١). وهذه الروايات تُشعر بأن التخميس المهم حصل في منطقة قرطبة التي تتميز بسعة صوافيها.

بعد هذا يلاحظ أن عمر بن عبد العزيز أوصى السمع بن مالك أن "يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعدل عن منهج الرِّقِّ"^(٢)، وهذا يشعر بحصول تعديلات أو تجاوز على أرض الخراج، وربما على الصوافي، كما حصل في المشرق، وحرص الخليفة على العدل. وهذا يعني أن يطبق السمع سياسة الخليفة بالنسبة للأرض الخراجية وأرض الصوافي.

ولعل الروايات التالية تدعم ما ذكر. ترد رواية عن عبدالمك بن حبيب، وأخرى دون إسناد، تفيدان: أن السمع دخل الأندلس ومعه "جيش من العرب"، وأراد النزول مع جندها الأول في أموالهم (أراضيهم)، ولكن هؤلاء لم يقبلوا بأية مشاركة، وذهب وفد منهم إلى الخليفة وشكوا إليه ذلك، وأبدوا استعدادهم للانسحاب والرجوع إلى بلادهم، فمنعهم من ذلك وعقد لهم بإقرارهم على أموالهم على أساس أن الأندلس ثغر، وذلك يوجب إقطاعهم الأراضي ليستقروا عليها كما فعل عمر بن الخطاب في الثغور في المشرق، "وكتب إلى السمع أن يقطع الجند الذين دخلوا معه من الأخماس"، أي إقطاعات جديدة في الصوافي^(٣).

١. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥.

٢. ابن عذاري، البيان ٢/٢٦.

٣. الغساني، رحلة الوزير، ص ١٤٠، وعن الخطيب بين الوليد وعمر بن عبد العزيز انظر ص ١٤٠-١٤١.

ويرجح أنّ أراضي خراجيّة تحولت إلى عشرية نتيجة تجاوز العرب عليها أو شرائهم لها، إضافة إلى التجاوز على أراضي الصوافي، كما حصل في المشرق.

وقد قرّر عمر بن عبد العزيز أنّ أرض الخراج هي فيء للأمة، وأنها يجب أن تبقى خراجيّة بدءاً من سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م (المدة)، لا يجوز بيعها منعاً لتحويلها إلى عشرية، كما قرّر تمييز أرض الصوافي الباقية. التي هي غنيمة للمقاتلة، ولكنها صارت - منذ أيام معاوية - تابعة للدولة تقطع منها أو تستغلها حسب المصلحة^(١).

وهكذا يتبين أنّ السماح بن مالك جاء لتطبيق سياسة عمر بن عبد العزيز في الأندلس، في تمييز أرض الخراج للحفاظ عليها فيئاً للأمة، وإقرار أهل القرى عامّة على أراضيهم على الخراج (إضافة للجزية)، وتحديد أرض الصوافي والإفادة منها بما يناسب الأندلس ثغراً. يعني هذا أنّ أي تخميس للأراضي إنما كان لأرض الصوافي ومنها كانت إقطاعات المقاتلة. وقبل هذا يبدو أنّ الأراضي التي أسلم عليها أهلها قبل إجرائه المسح اعتبرت عشرية^(٢).

إنّ بدايات تنظيم الضرائب والتعامل مع الأرض في الأندلس كانت في الواقع - زمن عبد العزيز بن موسى بن نصير، واستمرت زمن الحر، وشملت

١. ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٩٤/٩٩؛ عبد العزيز الدوري، نظام الضرائب في صدر الإسلام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٢م ٤٩ دمشق ١٩٧٤؛ غيداء خزنة كاتبي، الخراج ص ١٣٣ وما بعدها.

٢. انظر شالميطا، في: الحضارة العربية في الأندلس، ج ٢، ص ١٠٤٨-١٠٤٩.

إعادة أراضٍ لأصحابها الإسبان، بعد أن استولى عليها بعض المقاتلة، مع بقاء وضع الصوافي غير محدّد أو مستقر.

ولذا ينتظر أن يطبق عمر بن عبد العزيز إصلاحاته في الأندلس بالنسبة لأرض الخراج وللصوافي.

وينسب (التاريخ ٧٥٤) إلى السّمع بن مالك الخولاني (٧١٨-٧٢١م) (١) خطوتين مهمتين، الأولى: أنه اتخذ تقديراً للضريبة لكل إسبانيا (الداخلة والخارجة، أو الجنوبية والشمالية) وهذا يعني الاتجاه لتنظيم الخراج وتمييز الأرض الخراجية في الأندلس عامّة.

والثانية: أنه أجرى تقسيماً للغانم (الأموال غير المنقولة) التي تركت من دون قسمة في إسبانيا، وخصص نسبة من تلك الأموال (أو الأراضي) لبيت المال. وهكذا اتخذت خطوات جديدة لإقامة إدارة على أسس منظمة، وتثبيت تقديرات الخراج، وتثبيت الفتح بتنظيم وضع الأراضي الخراجية وأراضي المقاتلة الأول والقادمين الآن.

ومن هنا تتضح إشارة ابن عذاري إلى أنّ الخليفة أوصى السّمع بأن "يحمل الناس على طريق الحق ويعدل بهم عن نهج الرفق" (٢).

وقد يكون في إجراءات الوالي أبي الخطار (١٢٦هـ/٧٤٤م) إثر الفتنة بين البلديين (الداخليين زمن موسى بن نصير) والشاميين (الداخليين مع بلج بن بشر سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م) ما يدل بوضوح على أنّ عامّة الأرض اعتبرت خراجية.

١. هذه فترة ولاية السّمع حسب التاريخ ٧٥٤.

٢. ابن عذاري، البيان ٢/٢٢٦.

ويقول ابن القوطية: "ونظر أبو الخطار في إنزال الشاميين في كور الأندلس، وتفريقهم عن قرطبة، إذ كانت لا تحملهم،... وكان إنزالهم على أهل الذمة من العجم، وبقي البلديون على غنائمهم لم ينقصهم شيء"^(١). فهو يبين أنّ أراضي البلديين غنائم لهم، أي ملكهم، وأنّ الشاميين أنزلوا على أموال أهل الذمة.

ويوضح ابن الأبار (ت ٥٩٥-٦٥٨هـ/ ١١٩٩-١٢٦٠م) الوضع الجديد بقوله عن أبي الخطار: "ولم يقم في ولايته الأندلس شيئاً على تفريق جمع العرب الشاميين، الغالبين على البلاد، عن دار الإمارة، قرطبة؛ إذ كانت لا تحملهم، وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كور شامهم، وتوسع لهم في البلاد، فأنزل في كورتي لشبونة وباجة جند مصر مع البلديين الأول، وأنزل باقيهم في كورة تدمير، وأنزل في كورتي لبلبة وإشبيلية جند حمص (مع البلديين) الأول أيضاً، وأنزل في كورة شنونة والجزيرة جند فلسطين، وأنزل في كورة ريّة جند الأردن، وأنزل في كورة البيرة جند دمشق، وأنزل في كورة جيان جند قنسرين. وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة. وبقي البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعرض لهم في شيء منها، فلما رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسعة سكنوا واغتبطوا وتمولوا"^(٢). يتبين من هذا النص أنّ الشاميين (أو جلهم) أنزلوا في كور محددة مع البلديين، وأنّ أراضي تلك الكور (ومن بينها تدمير) خراجية، وأنهم أعطوا ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة".

١. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٣-٨٤.

٢. ابن الأبار، الحلة السيرة ١/٦١-٦٣.

ويوضح لسان الدين بن الخطيب طريقة التعامل مع التث في حديثه عن منطقة غرناطة (البيرة) بقوله "ولما استقر بهذه الكورة الكريمة أهل الإسلام، وأنزل الأمير أبو الخطار قبائل العرب الشاميين الكورة وأقطعهم ثلث أموال المعاهدين، استمر ساكنهم في غمار من الروم، يعالجون فلاحه الأرض وعمران القرى، يرأسهم أشياخ من أهل دينهم، أولو حنكة ودهاء ومدارة ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم"^(١). أي أنّ الفلاحين والزراع الأصليين استمروا على فلاحه الأرض ودفع ثلث الحاصل، وهو الخراج عليهم، وليس في هذا تغيير عما كان عليه الوضع مع القوط، كما يتضح أنّ هذه الكور كانت أرضها خراجية شأن تدمير ولا شأن لها بأرض البلديين.

مما مرّ يتبين أنّ الفاتحين استولوا على أراضٍ أعجبتهم خلال الفتح واستقروا عليها، ولعل أكثرها من الأراضي الخالية (وتدخل في الصوافي)، وأنّ بداية الإجراءات في معاملة الأراضي وتنظيم الضرائب كانت أيام عبد العزيز ابن موسى بن نصير، وأنها تمت على خطوات عبر حوالي عشر سنوات، وأنّ الأرض عامة صارت أرض خراج. وأنّ أراضي الصوافي كانت واسعة، وهذه هي التي خمست، وتمّ ذلك في ولاية السمح بن مالك في خلافة عمر بن عبد العزيز. كما أنّ أملاك الفاتحين أقرت وسجلت في زمنه. ثمّ إنّ الشاميين أنزلوا من الوالي أبي الخطار في كور أراضيها خراجية، وأعطوا الثلث من واردها وهو خراجها.

هذا هو الواقع التاريخي للتطورات الحاصلة في التعامل مع الأراضي في الأندلس، ومن شأن الفقهاء أن ينظروا إلى الممارسات في سبيل بلورة المفاهيم الفقهية، فيقبلون بعضها أو يعيدون النظر في البعض الآخر، رفضاً أو تعديلاً. يقول الداودي: "وأما أرض الأندلس فقد طعن فيها بعض الناس وزعم أنها،

١. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ١٠٦-١٠٧.

أو أكثرها، فتحت عنوة، وأنها لم تخمس ولم تقسم، غير أن كل قوم وثبوا على طائفة منها بغير إقطاع من الإمام ولم تترك لمن يأتي من المسلمين^(١). وهذا يذكر بما فعله بعض المقاتلة في السواد والأهواز زمن عمر بن الخطاب من الاستيلاء على أراضٍ خالية (أو صوافٍ)، ولكن الخليفة أوقف ذلك آنئذ.

وأورد الداودي رأياً آخر لا يشير إلى صلح أو عنوة إذ يقول: "أدركنا أهل الفقه والورع في بلاد الأندلس يشترون الأرض فيها ويبيعون، ونحن متبعون لهم"^(٢). وهذا يعني أن الأرض تركت بأيدي أهلها على الخراج، وأن المسلمين يستطيعون شراء الأرض كما حصل في المشرق.

وهذا يذكر برواية تفيد " أنه لما هزم لذريق لم يقف المسلمون بعد ذلك ببلاء إلا أذعنوا إلى الصلح، ولذلك بقي الروم على أرضهم وأموالهم، يبيعون ويبيع منهم"^(٣)، وبذلك تكون الأرض عامة خراجية.

ولعل ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) كان أكثر وضوحاً ودلالة حين يقول: " هذا ما لم نزل نسمعه سماع استفاضة، توجب العلم الضروري، إن الأندلس لم تخمس وتقسم كما فعل رسول الله عليه السلام فيما فتح، ولا استطابت أنفس المستفتحين وأقرت لجميع المسلمين كما فعل عمر رضي الله عنه فيما فتح، لكن نفذ الحكم فيها "لكل يد ما أخذت"، ووقعت غلبة بعد غلبة، ثم دخل البربر (و) الأفارقة فغلبوا على كثير من القرى من دون قسمة. ثم دخل الشاميون في طاعة بلج بن بشر بن غياض فأخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلديين عما كان بأيديهم، كما ترون الآن من فعل البربر ولا فرق"^(٤).

لقد دقق ابن حزم فيما قال، فأوضح أنه سمع "سماع استفاضة توجب العلم"، ليبين أنه لم تتبع في الأندلس إجراءات الرسول صلى الله عليه وسلم في

١. كتاب تنكار بروفنسال ٤٠٩/٢.

٢. ن. م. ٤١٠/٢.

٣. الغساني، رحلة الوزير ص ١١٣.

٤. ابن حزم، الرد على ابن النخيلة، ص ١٧٦.

أراضي خيبر حين اعتبرها غنيمة وخمسها، ولم يتبع ما فعله عمر في اعتبار الأرض فيناً للمسلمين، بل تركت الأرض من دون قرار عام بشأنها، فغلب المقاتلة على الأراضي وتملكوها وفق مفهوم "لكل يد ما أخذت"، وتكرر ذلك بعدئذ. ويفهم من ذلك أن عامة الأراضي تركت لأصحابها على الخراج. وجاء التنظيم النهائي للأرض والخراج زمن عمر بن عبد العزيز.

ويلاحظ أيضاً أن البلديين كانوا يدفعون العشر على أراضيهم، أي أنها كانت ملكاً لهم، أما الشاميون فلم يكونوا يدفعون شيئاً لأنهم يأخذون أعطياتهم وأرزاقهم كمقاتلة من ثلث الحاصل وهو الخراج^(١).

١. انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٣-٨٤، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة

١/١٠٦-١٠٧.

المصادر والمراجع

- ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م).
- التكملة لكتاب الصلة، جزءان، نشر عزت العطار، القاهرة، ١٩٩٥-١٩٥٦م.
- كتاب الحلة السيراء، جزءان، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٦٣م.
- حاتملة، محمد عبده- إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)- الرد على ابن النغريلة اليهودي، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- حسن حسني عبد الوهاب- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج ١، مكتبة المنار، تونس، ١٩٧٢م.
- حسين مؤنس- فجر الأندلس، ط ٢، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م).

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشرة ليفي بروفنسال، القاهرة-لیدن، ١٩٣٨م.
- الدوري، عبد العزيز- نظام الضرائب في صدر الإسلام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج٢م٤٩، دمشق ١٩٧٤م.
- الرقيق القيرواني- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، ١٩٦٨م.
- الزركلي، خير الدين- الأعلام، (٨) أجزاء، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
- شالميطا، بدرو- صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج٢ص١٠٤١ وما بعدها، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.
- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد- (ت٥٩٩هـ-١٢٠٢)- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق كوديرا، مجريط، ١٨٨٤م.
- الطالبي، محمد- الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي، نقلة إلى العربية المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) - تاريخ الرسل والملوك، (١٠) أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ابن عبد الحكم، أبو محمد عبدالله (ت ٢١٤هـ/٨٢٩م) - سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق أحمد عبيد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٥م.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبدالله (ت ٢٥٧هـ/٨٧١م) - فتوح مصر وأخبارها، بريل-لين، ١٩٢٠م، أوفست مكتبة المثني، بغداد.
- عبد الواحد ذنون طه - الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس، بغداد، ١٩٨٢م.
- أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م) - الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط ٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م) - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ٢، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، ط ٢، ج ١ ط ٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.
- العذري - أحمد بن عمر (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) - نصوص من الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، ١٩٦٥م.

- أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت ٦٣٣هـ/٩٤٤م) - طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليانعي، تونس، ١٩٦٨م.
- الغساني، محمد بن عبد الوهاب - رحلة الوزير في افتكاك الأسير (١٦٩٠-١٦٩١)، تحرير نوري الجراح، بيروت، ٢٠٠٢م.
- غيداء خزنة كاتب، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، (الممارسات والنظرية) ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن القوطية القرطبي، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) - تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧م، مراجعة عمر فاروق الطباع، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (ت بعد ٥٧٣هـ/١١٧٧م) - تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧٢م.
- لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) - الإحاطة بأخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، ج١ ط٢، القاهرة، ١٩٧٣م.
- المالكي، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت بعد ٤٥٣هـ/١٠٦١م) - رياض النفوس، (٣ أجزاء)، تحقيق بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ط٢، ١٩٩٤م.

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م) -فتح الطيب، ٨ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- مؤلف مجهول- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، محمد أسامة الكرم، دار أسامة الكرم، دار أسامة، دمشق (د.ت)، صورة عن طبعة مجريط ١٨٦٧م.
- يحيى بن آدم، أبو زكريا يحيى بن سليمان (٢٠٣هـ/٨١٨م) -كتاب الخراج صححه وشرطه أحمد محمد شاكر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) - كتاب الخراج، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق بيروت/القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

*Collins Roger, the Arab conquest of Spain, 710 -797, Blackwell,Oxford 1989.

*Collins, Early Medieval Spain, Unity in Diversity 400-1000, New York 1985,.

* Etudes d'Orientalisme, dediee a la Memoire de Levi-provencale II Paris 1962.

*Glick, Thomas F .From Muslim Fortress to Christian Castle, Manchester university press,Manchester 1995.

* Levi- provencale,e., un Nouveau recit de la Conquetede nord par les Arabes,Arabica i 1945, p.14 et seq.

* Etudes d'Orientalisme, dédiée à la Mémoire de Lévi-provençal II Paris 1962.

*Glick, Thomas F .From Muslim Fortress to Christian Castle, Manchester university press, Manchester 1995.

* Lévi-provençal, e., un Nouveau récit de la Conquête du nord par les Arabes, Arabica i 1945, p.14 et seq.



التتابعات الصوتية الهابطة وسلوكها في أبنية العربية

دراسة نطقية فيزيائية

د. ابتسام جميل

جامعة الإسراء

تعالج هذه الدراسة موضوع التتابعات الصوتية الهابطة في أبنية العربية من جانبيها النطقي والفيزيائي. وجاءت في مبحثين تناول أولهما مفهوم التتابع الصوتي الهابط الذي يقابل عند بعض الدارسين مفهوم الحركة المزدوجة وابتعدت الدراسة عن هذا المصطلح الأخير لتتأى بالعربية عن إمكانية وجود هذا النوع من الحركات في أبنتها . وتوقف ثانيهما عند التحليل النطقي والفيزيائي لهذه التتابعات وهي في العربية aw و ay و iw و iy و uw و uy . وقد اعتمدت الدراسة لتحليل الخصائص الفيزيائية لهذه التتابعات على برنامج Praat⁽¹⁾ للتحليل الطيفي ، وتضمنت عينة الدراسة خمس فتيات نطقت كل منهن التتابعات المدروسة مستقلة عن السياقات الصوتية ثلاث مرات ، ثم أخذ معدل القياسات الرقمية الناتجة ليعتمد في عملية التحليل .

المبحث الأول:

أ- مفهوم التتابعات الصوتية الهابطة:

يقصد بالتتابعات الصوتية في هذه الدراسة كل تتابع لحركة وشبه حركة في أبنية الكلمات. وهي إمّا صاعدة من نحو [ya] في يسأل " yas?alu " و [wa] في وجد "wajada" و [yu] في يؤمن " yu?minu " حيث تقع الحركة

بعد شبه الحركة . وإما هابطة من نحو [ay] في شيء "šayʔun"، و [aw] في قَوْمٌ "qawmun"، و [uw] في لُونٌ "Luwwina" وغيرها من التتابعات التي تأتي شبه الحركة فيها متبوعة بحركة ، وعلى هذه الأخيرة تقوم الدراسة.

إن ما أسميه التتابعات الصوتية الهابطة هو نفسه الذي أطلق عليه الدارسون اسم الحركة المركبة أو الحركة المزدوجة (diphthong) ؛ ولكنني اخترت تسمية التتابعات الصوتية الهابطة؛ لأنأي بالعربية عن احتمالية وجود هذا النوع من الحركات في نسيج أبنيتها من جانب، ولاختلاف الدارسين في تحديد مفهوم هذا المصطلح الحركي وبيان طبيعته الصوتية من جانب آخر.

فالدارسون يتفقون على أن إنتاج الحركة المزدوجة يقتضي انتقال اللسان في أثناء نطقها من موضع حركة إلى موضع حركة أخرى ؛ ولكنهم يختلفون - كما يذكر أحمد مختار عمر^(٢) - في تحليلها :

(أ) فمنهم من اعتبرها علة واحدة تقوم بوظيفة فونيم واحد.

(ب) ومنهم من اعتبرها تتابعا من العلل المنفصلة.

(ج) ومنهم من اعتبرها علة + نصف علة ، يقوم نصف العلة فيها بوظيفة الصوت الساكن.

ونجد تفصيلا للمفهوم الأول عند (Catford) إذ يقول : " تعرف الحركة المزدوجة أنها تتابع لحركتين في مقطع واحد من نحو تتابع (a) و (i) في نطق كلمة (high) ، إذ لا يتم استيعابها على أنها حركتان منفصلتان ؛ لكنها تفهم على أنها صوت انتقالي انزلاقي يبدأ من العنصر الأول ثم ينزلق باتجاه العنصر الثاني ، ويتم نطقها بدفقة نبرية واحدة ، تبدأ بقوة ثم تخبو بالتدريج ،

وهذا النوع من الحركات المزدوجة الذي يبدأ بقوة ثم يضعف في نهايته يطلق عليه مصطلح الحركة المزدوجة الهابطة "Decrescendo diphthong" ^(٦)

ويضيف (Ball) : إن هذا النوع من الحركات لا يعتبر تتابعا لحركتين ضمن مقطع واحد وحسب ، ولكن ينظر إليه على أنه مدى صوتي متكامل ينتج بحركة لسانية انزلاقية تبدأ في موضع وتنتهي في موضع آخر ^(٤) . ويقول د. سمير استيتية : "الحركة المركبة المزدوجة هي وحدة صائنية واحدة مركبة من حركتين متتابعتين في مقطع واحد، لتؤديا وظيفة فونولوجية واحدة. ويتم إنتاج الحركة المركبة هذه، بأن يبدأ اللسان بنطق حركة مفردة ، ثم ينزلق إلى حركة أخرى، فيشم بذلك حركة بحركة، أو يدمج حركتين، لتكونا وحدة واحدة مركبة" ^(٥) . وهذه الحركة - كما يذكر ماريو باي - تنطق في فترة زمنية لا تكفي إلا لنطق صوت واحد ^(٦) فهي تشبه الحركات الطويلة المفردة من حيث الزمن النطقي المستغرق في إنتاجها ^(٧) .

ويوضح فندرس الصفة الصوتية لعنصري هذه الحركة بقوله: إن "هاتين الحركتين لا تستويان قيمة في هذا المركب، إذ يحتوي حرف اللين هذا على عنصر قوي وعنصر ضعيف هو الثاني عادة. وهكذا فإن ما يلي الحركة في "iy" و "ay" و "aw" ليس من الحركات ولا من السواكن بمعنى الكلمة؛ بل عنصر من المركب" ^(٨) .

وعليه، فإن شبه الحركتين (الواو والياء) لهما وجود خاص في الحركة المزدوجة، إذ يعتبران امتداداً لحركة تتغير نوعيتها في أثناء نطقها ويتشكلان نتيجة الانتقال المباشر بين عنصري الحركة المزدوجة. إذ إن هذا الانتقال - كما يذكر غالب المطالبي - "يمثل حالة صعبة بالنسبة للمتكلم لأنه يتطلب منه أن يغير وضع جهاز النطق من موضع إلى آخر. وهذا يعني أن على أعضاء

النطق أن تتوقف زمناً لينطق كل من صوتي المد على حدة، يكون على المتكلم في أثناء ذلك أن يقطع مجرى نفسه ثم يستأنفه مرة أخرى، وهو أمر لا يمكن تصويره قطعاً، فكان على جهاز النطق أن يتحليل على ذلك بأن يفصل بين الصوتين باحتكاك بسيط يكون بمثابة فاصل يستريح فيه اللسان برهة لكي يستطيع اتخاذ الوضع الآخر، ومن أجل ذلك يتحول أحد صوتي المد- يكون الثاني في الغالب - إلى نصف مد مما يسهّل اجتماعهما^(٩).

فالحركة المزدوجة إذن ، هي نتاج هذا التتابع الحركي المباشر لصائتين متباينين، يحدث أثناء الانتقال بينهما انزلاق يولد شبه الحركة ، وعليه فشبه الحركة هنا جزء من حركة سابقة أو لاحقة ؛ ولهذا يعتبر هذا التتابع مزجاً حركياً موحّداً لا ينتج أحد شقيه وهو شبه الحركة إلا بوجود الآخر.

فالتتابع "ay" يكتب "ai" والتتابع "aw" يكتب "au". ويتكلم د. سعد مصلوح في هذه المسألة فيقول - في معرض تمييزه بين مصطلحي الصائت المزدوج والحركة المزدوجة-: إن "المصطلح الأول يصف المنطوق طبقاً لخصائصه الفيزيقية والنطقية من دون اعتبار للوظيفة، على حين ينصرف الثاني إلى وصفه وظيفياً في إطار لغة بعينها (وهي اللغة العربية). وعليه فإن الكلمة [نوم] ينبغي أن تكتب صوتياً [naum] وكذلك الكلمة العربية [بَيْت bait]. أمّا صرفياً فنحن نكتبها [nawm] و [bayt]، وبهذا فإن التتابع يعد صائتاً مزدوجاً ولكنه ليس بحركة مزدوجة".^(١٠)

ويترتب على ما ذكره القول بأن شبه الحركتين [الواو والياء] لا وجود لهما إلا في سياق الانزلاقات الحركية المتباينة، وهذا ما نجده عند كثير من الدارسين الذين يعدون هذين الصوتين غير مستقلين، يقول د. إبراهيم أنيس:

"والحقيقة إن الياء صوت انتقالي، أي إنها تتكوّن من موضع صوت اللين [i] ثم تنتقل بسرعة إلى موضع آخر من أصوات اللين، وكذلك الواو يبدأ تكونها من موضع صوت اللين [u] ثم ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع لين آخر" (١١) وإلى هذا الكلام يذهب كل من عبد الصبور شاهين (١٢)، وكمال بشر (١٣)، وفوزي الشايب (١٤)، فكلهم يرون أن التشكّل النطقي للواو شبه الحركة يبدأ من الموضع النطقي الخاص بنطق الضمة [u] ثم ينتقل في حركة انزلاقية إلى موضع نطق حركة أخرى . وكذلك الأمر مع الياء شبه الحركة ، فعند تشكّله يستقر اللسان في الموضع النطقي الخاص بالكسرة [i]، ثم ينتقل في حركة انزلاقية إلى موضع نطق صائت مغاير .

وهذا الوصف النطقي لإنتاج كل من الواو والياء شبيهي الحركتين يقضي بلزام وجود شبه الحركة في سياق الحركات لكي تتشكل الأولى على المستوى النطقي ، ولا أدري - حقيقةً - مدى قوة القول بذلك ، فعند د. عبد الصبور شاهين أن الانزلاق بين حركتين مختلفتين هو في الحقيقة ما يسمى بالياء أو الواو (١٥) وهذه الخاصية الانزلاقية - والكلام لا يزال للدكتور عبد الصبور شاهين - هي التي تبرز وجود الواو والياء، فإذا لم يكن الانزلاق وجب اعتبارهما غير موجودتين في نسيج الكلمة (١٦)، ويضيف قائلاً: "ولكي تتأكد للدارس هذه الحقيقة عن الواو والياء، وأن طبيعتهما انتقالية محضة، يمكنه أن يحاول نطق واو بلا حركة قبلها، أو بعدها، ولن يتسنى له ذلك ؛ لأن الحركة جزؤها، أو شطرها، ولا وجود لشيء ضاع شطره الأساسي" (١٧).

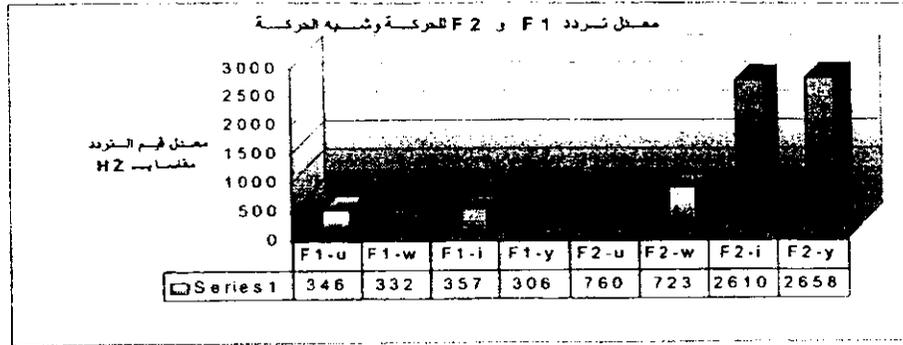
هنا أقول : إذا كانت المخالفة الحركية شرطا لانزلاق شبه الحركة ، فمن أين لشبه الحركة أن تنزلق في التتابعات الصوتية المتماثلة، من نحو [wu] في وُجِدَ [wujida] ، و [uw] في قُوَّة [quwwatu] ، و [yi] في لَسِيْن [layyin] ، و [iy] في سِيَّان [siyyaan] . فنحن إذا أعدنا الواو والياء إلى أصلهما قبل الانزلاق يتحوّل التتابعان الأولان إلى ضمة طويلة [uu] ويتحول الآخران إلى كسرة طويلة [ii] . هذا من جانب ، أما من الجانب الآخر ، فإنه يمكننا أن ننتج هذين الصوتين مستقلين عن أي سياق حركي ، وذلك نحو نطقنا لهما في كلمات نحو: دَلُو [dalw] . و عَفُو [afw] و رَمِي [ramy] و سَعِي [say] في حالة الوقف عليها. وكذلك في لهجتنا العامية فنحن نقول: وِلَاد [wLa:d] و وِرَاق [wr:q] بادئين من نحو هذه الكلمات بالواو الساكنة متبوعة بصامت ، ومغيبين في أدائنا نطق حركة سابقة أو لاحقة ؛ فمن أين لشبه الحركتين أن تنزلقا نطقيا وهما ليسا في سياق حركة، وكيف تم إنتاجهما من دون شطرهما الأساسي ؟ ! .

فشبه الحركة قد تنزلق في أبنية العربية في أثناء التحولات الداخلية للبنى العميقة أثناء رحلتها إلى البنى السطحية التي يتشكل معها نتيجة عمليات الإعلال والإبدال التي تطرأ على البنى العميقة تتابع حركي يتم التخلص منه بانزلاق شبه الحركة ، أما أن نقول إن شبه الحركة لا يمكن أن تتشكل نطقيا إلا في سياق حركتين متباينتين يتم الانزلاق بينهما ، فهذا مما يضعفه الواقع الصوتي الذي يتبدى فيه كل من الواو والياء شبه الحركتين كل مع حركة من جنسه أو في سياق تغيب فيه الحركة .

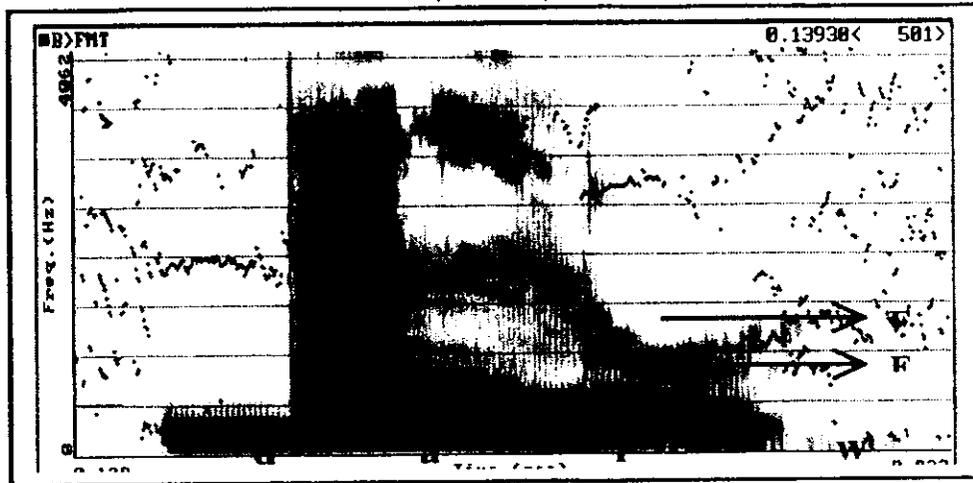
فالناطق يستطيع بشيء من التضييق الموضوعي لموضع نطق كل من الضمة والكسرة، أن ينتج شبه الحركتين [الواو والياء] منعزلين عن السياق الحركي ؛ لأنه مع التضييق يزيد توتر عمود الهواء المار في منطقة النطق ، ولكي نستدل على الفارق الدقيق في الموضع النطقي الخاص بالحركة وشبه الحركة ، فقد أخذنا معدل تردد المكوّنين الصوتيين [Formant] لكل من الضمة والواو شبه الحركة من جانب، والكسرة والياء شبه الحركة من جانب آخر، في الأبنية التقابلية المسجلة في الجدول الآتي :

الحركة	شبه الحركة	
دلو dalu	دَلُوْ dalw	الضمة
رامي rami	رَمِيْ rami	الكسرة

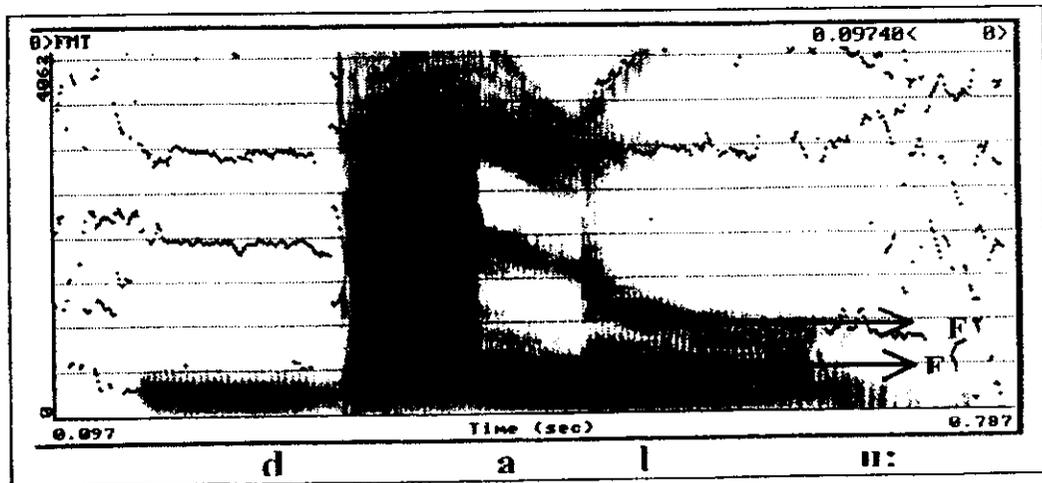
ومعدّل القياسات الرقمية لكل من هذين الترددتين سجلا اعتماداً على خمس مشاركات، نطقت كل منهنّ الكلمات السابقة ثلاث مرات ، فكانت حصيلة المحاولات النطقية المسجلة خمس عشرة محاولة. وقد ظهرت النتائج كما هي مثبتة في الشكلين (١-١) و (٢-١) حيث يعرض الشكل الأول رسماً بيانياً لمعدّل النتائج الرقمية لكل من F1 و F2 للحركة وشبه الحركة في الكلمات المدروسة ، في حين يعرض الشكل الثاني الرسم الطيفي spectrograph لكل من هذه الكلمات .



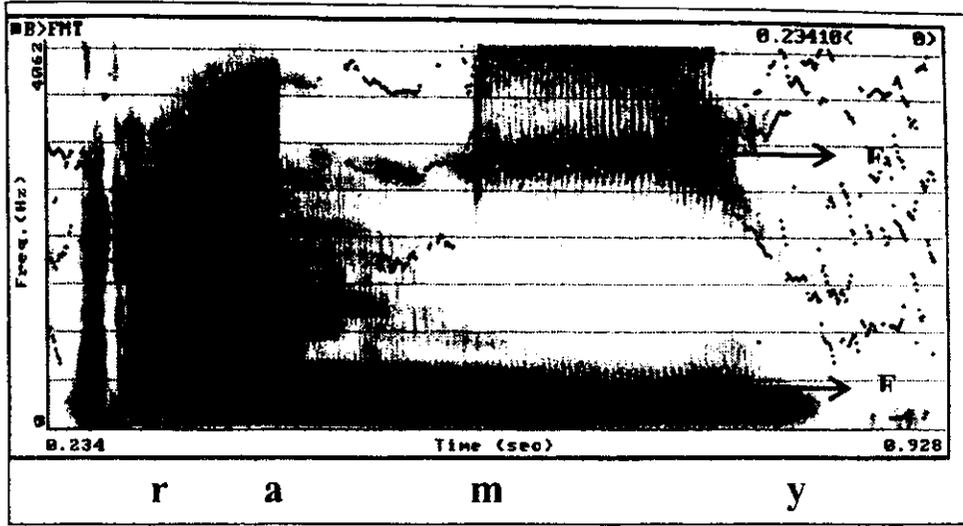
(١-١)



[١]



[ب]



[ج]



[د]

(الشكل ٢-١)

الصور الطيفية للكلمات : دلو' dalw و دلو' dalu و رمي' rami و

رمي: rami على التوالي.

وبالنظر إلى الشكلين السابقين نلاحظ اختلافاً في قيم المكونين الصوتيين F1 و F2 ، فالمكون الأول [F1] يرتبط بحركة اللسان العمودية^(١٨)، إذ كلما ارتفع اللسان إلى أعلى قل تردد هذا المكون، والعكس صحيح. فمع كل من الضمة والواو بلغ

معدل تردد هذا المكوّن 346Hz مع الضمة، في حين هبط مع الواو إلى 332Hz . أما مع الكسرة والياء، فقد بلغ معدل التردد للمكوّن نفسه 357Hz مع الكسرة، في حين هبط إلى 306Hz مع الياء. ويُفسّر هذا ارتفاع اللسان مع شبه الصائت أكثر من ارتفاعه مع الصائت.

أما تردد المكوّن الثاني [F2] فيرتبط بحركة اللسان الأفقية في التجويف الفموي^(١٩)، إذ كلما تقدّم اللسان إلى الأمام ازداد تردد هذا المكوّن، والعكس صحيح. فمع الضمة بلغ معدل التردد 760Hz ، وهبط مع الواو إلى 723Hz ، في حين بلغ 2610Hz مع الكسرة، وارتفع إلى 2658Hz مع الياء. وفارق التردد هذا بين كل متجانسين يدل على أن موضع إنتاج الواو يتأخّر عن موضع إنتاج الضمة، في حين يتقدّم موضع إنتاج الياء على موضع إنتاج الكسرة، وتبين صور أشعة إكس^(٢٠) الموضحة في الشكل (٣-١) وضع اللسان في ارتفاعه وتراجعه مع الواو والضمة، وفي ارتفاعه وتقدمه مع الياء والكسرة.



ب - الضمة



أ - الواو



د - الكسرة



ج - الياء

الشكل (٣-١)

ويبين شكل اللسان عند نطق كل من الحركة وشبه الحركة معتمداً في ذلك صورة أشعة إكس

وبهذه التباينات الموضوعية في إنتاج الحركة وشبه الحركة يتبين عدم قوة الرأي القائل بلزام تتابع حركتين متباينتين من أجل تحقق نطق شبه الحركة ؛ أما وجود شبه الحركة في أبنية العربية في سياق الحركات ؛ فلأنها تعد من الجانب الوظيفي من الأصوات الصامتة التي تستند في وجودها البنائي على حركة ، وليس لأنها لا يمكن أن تنتج نطقياً إلا بوجود حركة سابقة أو لاحقة .

هذا في ما يتعلق بالرأي الأول الذي قدمه أحمد مختار عمر في آراء الدارسين في تحليل الحركة المزدوجة ^(٢١) حيث اعتبرها هؤلاء وحدة واحدة تقوم بوظيفة فونيم واحد . أما ما يتعلق بالتحليل الثاني الذي اعتبر الحركة المزدوجة تتابعا من العلل المنفصلة ، فأرى أنه لا توافق بين تسمية المصطلح وتحليله ، فعندما نقول إن هذا النوع من الحركات يسمى حركة مزدوجة فالنتائج الصوتية هو حركة واحدة تتميز بالازدواج بين حركتين ، وعندما تحلل على أنها تتابع لحركتين منفصلتين فقد خرجت من كونها حركة مزدوجة ودخلت في اصطلاح حركتين منفصلتين ، وما هكذا طبيعة الحركة المزدوجة ، فكيف إذن تسمى حركة باستخدام المفرد وتعرف بأنها حركتان منفصلتان ، هذا من جانب ، أما من الجانب الآخر فإن الأخذ بهذا التحليل ينفي تماما احتمالية وجود هذا النوع من التتابع الحركي في أبنية اللغة العربية ، فهي تتشكل عرضا في تحولات البنية التحتية وينتهي وجودها تماما مع اكتمال رحلة التطور إلى البنية السطحية ، ولا أجد حقيقة مبررا لقول أحمد مختار عمر إننا إذا فسرنا الحركة المزدوجة بهذا التحليل فإن " هذا النوع موجود ولا شك - على حد قوله - فاللغة العربية تحوي التتابع ay و aw " ^(٢٢) ، فهذا ليس تتابعا حركيا أو عليا ولكنه تتابع لحركة وشبه

حركة ، والفرق بين التتابعين كبير ، خاصة في نظام العربية الذي يصنف شبه الحركة وظيفيا في حقل الصوامت، وحتى على المستوى الصوتي فلو كانت شبه الحركة تصنف نطقيا على أنها حركة لما كان من داع لفصلها عن الحركات وإعطائها استقلالية اصطلاحية ، فعلى الرغم من وجود التشابه في عدد من خواص الحركة وشبه الحركة ، إلا أن هذا لا يعطينا مبررا لتسمية الثاني حركة ووصف التتابع على أنه تتابع من العلل المنفصلة ، فهذا النوع ولا شك موجود في أبنية لغات أخرى كالإنجليزية مثلا التي يقضي نظامها بإمكانية تتابع حركتين على مستوى البنية السطحية، أما في العربية فلا .

نتوقف أخيرا عند التحليل الثالث الذي اعتبر الحركة المزدوجة علة + شبه علة ، يقوم نصف العلة فيها بوظيفة الصوت الساكن^(٢٣) . وهو تحليل - في ما أحسب- بعيد عن المنطقية في التحليل الصوتي ؛ لأننا عندما نقول إن الحركة المزدوجة عبارة عن حركة انزلاقية تبدأ في موضع وتنتهي في موضع آخر ، فهي إذن في التصنيف الصوتي الفونولوجي حركة vowel ؛ ولكن لها طبيعة نطقية مختلفة ، وهي عندما تدرس في اللغات الأخرى تصنف في حقل الحركات فهناك الحركات المفردة (monophthongs) و الحركات المزدوجة (diphthongs) والحركات الثلاثية التتابع (triphthongs) ، ونحن عندما نحلل هذا النوع من الحركات بقولنا إنها تتابع لعة وشبه علة تقوم الأخيرة بوظيفة الصوت الصامت ، فقد خرج التتابع من دائرة الحركات ، إذ كيف تكون هذه حركة ونصفها الآخر صامت أو يقوم بوظيفة الصامت! وعندما عرف Catford الحركة المزدوجة قال في نهاية تعريفه : إنه من المعتاد أن يوصف هذا النوع من الحركات على أنه تتابع لحركة + شبه حركة^(٢٤) ولم يتبع ذلك

بقول أن تقوم شبه الحركة بوظيفة الصوت الصامت ، ذلك لأنه في حال قامت هذه بوظيفة الصوت الصامت انتفى وصف هذا التابع بالحركة المزدوجة ، فليس كل تتابع لحركة وشبه حركة في أبنية اللغة الإنجليزية يعد من قبيل الحركات المزدوجة ، فالتتابع ye في كلمة yet ، مثلا ، لا يعد حركة مزدوجة ؛ بل تتابع لشبه حركة تقوم بوظيفة الصامت وحركة ، في حين يعد التتابع ay في كلمة day من قبيل الحركة المزدوجة لأنه ينظر إلى التتابع جميعه وكأنه حركة واحدة طويلة ذات تنوع داخلي ، ولا يمكن أن ينظر بهذه الصورة التحليلية نفسها إلى التتابعات الهابطة في أبنية العربية من نحو [بيت] و [قوم] وغيرها من التتابعات الهابطة . وعليه ، فقد ضعف وجود الحركة المزدوجة في أبنية العربية اعتمادا على التحليلين الثاني والثالث ، فماذا عن احتمالية وجودها في هذه الأبنية اعتمادا على التحليل الأول الذي يرى أنها حركة واحدة تقوم بوظيفة فونيم واحد ؟.

ب: هل الحركة المزدوجة القائمة بوظيفة فونيم واحد موجودة في أبنية العربية؟

يكاد الدارسون يتفقون على أن هذه الحركة غير موجودة في أبنية العربية. فهذا فيرجسون يذهب إلى أن هذا التابع (الفتحة ونصف المد الساكن) قد يحمل شيئا من صفات صوت المد المزدوج، إلا أن سلوكه الوظيفي في العربية لا يشير إلى كونه يمثل وحدة صوتية واحدة^(٢٥).

وكذلك يرى جان كانتينو، فعنده أن الحركات المزدوجة ليس لها أي وجود خاص من الناحية الوظيفية فهي تحلل على أنها حركة + نصف حركة تقوم مقام حرف^(٢٦).

ويقول د. شاهين إن الصائت المزدوج وإن كان قوي الوجود إذا ما نظرنا إليه نظرة تحليلية صوتية، إلا أنه ضعيف الوجود إذا ما روعي المستوى اللغوي. (٢٧)

ويرى د. عبد الرحمن أيوب ما يراه غيره من أنه يوجد في العربية كلمات فيها حركات مزدوجة، ولكن من الأوفق عند الدراسة التنظيمية اعتبار كل منها صوتين منفصلين (٢٨).

ويُخلى د. عبد الفتاح إبراهيم العربية من وجود مثل هذه المزدوجات فيها قائلاً: "وتخلو اللغة العربية من الحركات المركبة . . . وقد لا يصح اعتبار الرأي القائل بأن الحركة العربية إذا جاورت صوت لين كما في [بَيْتٌ وَ نَوْمٌ] كَوْنَتْ معه حركة مزدوجة؛ لأنّ هذه الوحدة الصوتية تظل في الاعتبار الصوتية والصوتية صوتين مختلفين هما حركة وحرف" (٢٩).

ونجد أن الآراء السابقة تنظر إلى وجود الحركة المزدوجة في أبنية العربية من الجانبين الصوتي والوظيفي. فهي موجودة على المستوى الصوتي؛ ولكنها ليست كذلك على المستوى الوظيفي، يقول د. كمال بشر: "وقد وهم بعض الدارسين فظنّ أن الواو والياء في حَوْضٍ وَبَيْتٍ جزءٌ من حركة مركبة، وهو وهم خاطئ؛ ولا شك، إذ إن الحركة المركبة وحدة واحدة، والموجود في حَوْضٍ وَبَيْتٍ ليس وحدة واحدة، وإنما هناك وحدتان مستقلتان هما الفتحة + الواو في حَوْضٍ، والفتحة + الياء في بيت" (٣٠). فهذه التتابعات الصوتية "لا تنطبق عليها الصفات النطقية للحركات المركبة التي تتمثل أساساً في أن أعضاء النطق تبدأ في منطقة حركة من الحركات وتسير مباشرة في اتجاه حركة أخرى، مكنة

حركة واحدة ذات خاصية انزلاقية، وهذه الصفة الانزلاقية مفقودة في نطق الفتحة العربية مثلوة بواو أو ياء ساكنة، إذ يحدث في نطقها أن تنتقل أعضاء النطق من منطقة إلى أخرى محدثة نوعاً من الانفصال في تحركها، فهما إذن صوتان مستقلان" (٢١).

وكم كان د. بشر دقيقاً في استخدامه كلمة الانفصال في تحرك أعضاء النطق عند إنتاج الفتحة مثلوة بشبه الحركة ، وهذا التمييز النطقي في إنتاج هذه التتابعات يشكل قاعدة جدّ مهمة في بيان مفهوم التوحد الداخلي لعنصري الحركة المزدوجة ، ويصف Roach طريقة نطق هذه الحركات فيقول " إن أهم ما ينبغي تذكره عند نطق الحركات المزدوجة هو طول الجزء الأول وقوته مقارنة بالجزء الثاني ، فمثلاً عندما تنطق الحركة المزدوجة ai في كلمة eye يكون معظم المنطوق فيها هو الحركة a ولا يمكننا ملاحظة الانزلاق نحو i إلا في الربع الأخير تقريبا من الحركة المزدوجة ، وعند حدوث الانزلاق ينخفض علو الصوت ، وبهذا يصبح الجزء i أقصر وأهدأ . لذلك يتوجب على المتعلمين الأجانب أن يتنبهوا دائما وهم ينطقون الحركات المزدوجة إلى أن لا ينطقوا الجزء الأخير فيها بقوة " (٢٢).

وكلام Roach هذا تدعمه الملاحظة السمعية لنطق أبناء اللغة للحركات المزدوجة ، فأكثر ما يتبدى في الحركة على المستوى السمعي هو امتداد الجزء الأول بطاقة عالية ، ثم يتبدد في نهاياته الياء أو الواو في انزلاق لساني يتميز بحركة متصلة وهادئة ليعلن عن انتهاء نطق الحركة ، ويمكننا أن نتابع ذلك في كلمات نحو boy و cow و night ، إذ إننا لا نلاحظ حدوث انفصال نطقي بين

الحركة وشبه الحركة وإنما نلاحظ امتداداً نطقياً متكاملًا ذا دفقة نبرية واحدة . وهذا ما لا نجد على المستوى النطقي للتتابعات الهابطة في أبنية العربية ، فعندما ننطق كلمات نحو بيت ، وقوم ، وسيان ، ودوآر ، يكون في نطقنا حدود صوتية واضحة بين الحركة وشبه الحركة ، وليس هناك تداخل امتزاجي متكامل بين العنصرين ، بحيث نشعر معه بأن الفتحة في التتابع [ay] في كلمة [بيت] تتميز بامتداد نطقي قوي ثم تتبدد في نهايته الياء شبه الحركة ؛ بل إن ما نلاحظه على المستويين النطقي والسمعي قصرًا في الحركة وطولًا في شبه الحركة في هذا التتابع ، فهناك فوارق سمعية ونطقية واضحة في إنتاج هذه التتابعات في كل من العربية والإنجليزية .

وعليه ، فإن اجتماع المستوى النطقي والمستوى الوظيفي بالشكل الذي أوضحناه ينفي تمامًا احتمالية وجود مثل هذه الحركات في أبنية العربية ، وعلى الرغم من ذلك نجد من ينادي بوجودها في حالات لغوية نادرة ، يقول د. عبد الصبور شاهين: "إن الواو والياء بتأثير الصياغة الصرفية، يمكن أن يقعا موقعاً يوصفان فيه بأنهما عنصر ثانٍ من المصوت المزدوج. ومن ثم ينظر إليهما كمصوتين بمعنى الكلمة، ومثال ذلك الكلمتان (ثوب و جيب). . فالنثر يسمح بمصوت طويل قبل صامت مضعف، مثل: احمارٌ، وقد شاع في تأليف الجملة العربية إمكان حدوث الإدغام بين نهاية كلمة وبداية كلمة أخرى تالية لها، وذلك حين يلتقي صامتان مثلاً، وعلى هذا يمكن أن نجد حالة مماثلة لاحمارٌ (مصوت طويل قبل التضعيف)، ففي مثل "إن المال لك" عكس أن نتطق "إن المال لك" وعلى هذا، فتوبُ بكر، وجيبُ بكر - يمكن أيضاً أن ينطقا: "توبُ بكر، و جيبُ

بكر"، ف (أي و أو) لهما هنا المعاملة نفسها التي للمصوت الطويل (a :) ، وهي معاملة عنصر مصوت، إذن إن الواو والياء في الواقع لا يمكن أن يعدا سوى عنصر ثانٍ لمصوت مزدوج حقيقي، ومحال أن يعتبرا في هذا الموقع صوامت مطلقاً، إذ يتكوّن حينئذٍ نوع من المجموعات غير المستساغة في العربية الفصحى^(٢٣). وهو يرى كذلك أن علامة التصغير من الصوائت المزدوجة التي تكون الياء فيها متشكلة من أثر الانتقال بين حركتين^(٢٤).

ونلاحظ أن د. شاهين اعتمد في سياق المقابلة المقطعية على أساسين مختلفين، فهو يقابل بين إمكانية ورود المقطع الطويل المزدوج الإغلاق [ص ح ح ص] في بناء كلمة واحدة ، في مقابل وروده في التتابعات البنائية التي يقع في أثناء النطق بها إدغام بين نهاية كلمة وبداية كلمة أخرى . وهي مقابلة غير متوازنة في أبعادها، فهذا التتابع المدغم يمكن أن يقع نطقياً في تتابعات نحو [وسنم مائل] و [شكّل لامع] و [وجّه هائم] وغير ذلك من التتابعات التي تنتهي فيها الكلمة الأولى بالصامت ذاته الذي تبدأ به الكلمة اللاحقة ، فهل نقول إن مثل هذه الصوامت قد تحولت على المستوى الوظيفي المقطعي إلى حركات وإلّا لما كان بالإمكان تشكل مثل هذا المقطع في الكلمات ؟ فالتتابعات المدغمة لا يمكن أن تقاس بالمكيال نفسه الذي تقاس به الأبنية المفردة . هذا على المستوى الوظيفي ، أما على المستوى النطقي فإن [ay] في [جيب] لا يمكن أن تكون وحدة صوتية متوحدة نطقياً فالفتحة فيها ذات قصر زمني واضح يحدث بعدها انفصال سريع تهيؤاً لنطق الياء التي حظيت بمساحة زمنية أطول على المستوى النطقي .

أما فيما يخص علامة التصغير، فلا أكاد أجد دليلاً على أن "الياء" فيها من أثر الانتقال بين حركتين، إذ لا يوجد حركتان أصلاً ليحدث الانتقال بينهما. فكلمة نحو "جمال" [jamal] في تصغيرها تصبح "جُمَيْل" [jumayl] فأين هي الكسرة لأقول بحدوث انزلاق؟ أم أنني يجب أن أفترض وجود كسرة بعد الفتحة تنزلق نتيجة تتابعهما الياء؟!

ويرى جان كانتينو أن الحركة المزدوجة موجودة في علامة التنثية في حالتي الجر والنصب، يقول: "ولا يمكن العثور على حركات مزدوجة حقيقية إلا في حالات نادرة جداً مثل تناوب حركة طويلة وحركة مزدوجة في علامة المثني أن - عَيْن^(٣٥)، فكلا التتابعين يقوم بوظيفة واحدة على المستوى الدلالي، فهما - أعني [ay] والفتحة الطويلة [a:] - لازمان صوتيان يحملان دلالة المثني؛ ولكن هل يؤديان وظيفة واحدة على المستوى البنائي؟ بمعنى هل يمكن أن نقول إن الفتحة الطويلة توازي في المستوى البنائي المقطعي تتابع الفتحة والياء شبه الصائت؟! فيكون بذلك تحليلنا للمقطع الثاني لكلمة "باب" في حالتي الرفع والنصب [babayni و baba:ni] [ص ح ح] أي صامت متبوع بحركة طويلة، وهو التوجه الذي ذهب إليه كانتينو عندما استخدم كلمة "تناوب" فعامل الياء كما لو كانت حركة واعتبر التتابع من قبيل الأزواج الحركي. هذا على المستوى البنائي، أما على المستوى الصوتي النطقي فالناطق - في هذا السياق كذلك - لا يشعر بامتداد حركي ذي تنوع داخلي إذ لا تزال فكرة الانفصال النطقي قائمة بين التتابعين حتى وإن أديا وظيفة واحدة.

ونقف أخيراً عند رأي د. سمير استيتية إذ يرى أن "الحركة المزدوجة غير موجودة على مستوى الصيغة السطحية؛ ولكنها موجودة في الصيغة قبل السطحية، وذلك نحو [قَوْمَة] التي أصبحت [قِيمَة] فالواو والكسرة التي قبلها تمثلان قيمتين مختلفتين، ونظراً لأن الانتقال من الأمام إلى الخلف مباشرة، يحتاج إلى جهد عضلي زائد عند النطق، فقد تحولت الواو إلى ياء لمناسبة الكسر الذي قبلها. وكانت هذه هي المرحلة الأولى من مراحل التغير، وذلك كما هو مبين في التمثيل الآتي:

qiyma ← qiwma
iy iw

ولما كان بالإمكان - والكلام لا يزال للدكتور استيتية - استبدال حركة طويلة واحدة بالكسرة والياء معاً، فقد دلّ هذا على أن اجتماع الكسرة والياء (في البنية قبل البنية السطحية) إنما هو اجتماع حركتين في حركة مركبة واحدة. وهذه هي المرحلة الثانية من مراحل تغير هذه الكلمة، وذلك كما هو مبين في التمثيل الآتي:

qiima ← qiyma
(^{٣٦})ii iy

يعتمد د. استيتية في وجود الحركة المزدوجة في الأبنية قبل السطحية على إمكانية استبدال حركة واحدة طويلة بالوحدة المركبة كاملة. وإذا كان الأمر كذلك فإن اللغة العربية في أبنيتها السطحية مليئة بالحركات المركبة المزدوجة، وذلك لاستبدال التتابعات الهابطة بها من نحو (aw) و (ay) في كلمات نحو: قَوْمٌ، و يَوْمٌ، و بَيْتٌ، و شَيْءٌ، بحركة طويلة على المستوى اللهجي. فأصبحت: [قوم qo:m]، و [يوم yo:m]، و [بيت be:t] و [شيء Se:ʔ]. فإذا كان الدليل على وجود الحركة المزدوجة في البنية قبل السطحية هو تحولها إلى حركة طويلة في البنية السطحية، فإن الدليل على وجودها في البنية السطحية هو تحولها إلى حركة طويلة في البنية اللهجية.

وأرى أن الحركة المزدوجة ناتج صوتي مميز نطقاً وسمعاً ووظيفة، فإذا نطقت الحركة وشبه الحركة في مستوى البنية السطحية، وكانتا وحدة واحدة صوتاً ووظيفة، بحيث لا نشعر نطقاً بحدوث انفصال عضوي، وإنما نشعر بانزلاق لساني يسر يتبدى في الربع الأخير من نطق الحركة، فهما وحدة حركية واحدة، وهذه الطريقة في النطق لا تتحقق في العربية حتى على مستوى البنية العميقة للكلمات، فالأصل أن ينظر إلى اللغة بإمكانية قبولها في نظام بنائها الداخلي هذا النوع من الحركات، إذ إن الدارس ليس مضطراً إلى أن ينظر إلى تحولات الكلمة في بنيتها العميقة وما قبل السطحية وإلى ماذا تطورت ليقرر وجود مثل هذه الحركات في بنية اللغة، وإنما ينظر إلى خصائص اللغة المدروسة نفسها، هذا من جانب، أما من الجانب الآخر فأجدني لا أميل إلى التحليل الصوتي الذي قدمه د. سمير استيتية لكلمة "قيمة" والذي ذهب من خلاله إلى وجود هذا النوع من الحركات في أبنية العربية، فلماذا استبدل بكل التتابع "iy" صانئاً واحداً وهو الكسرة الطويلة [i :]، في حين أنني أستطيع أن أصل إلى البنية السطحية بتحويل أحد عنصري التتابع الهابط وهو [الياء] إلى كسرة، وهذا الذي أراه قد حدث فعلاً، فعندما تحولت الواو إلى ياء، أو بمعنى أدق عندما حذفت الواو وعوّض عنها بياء لمناسبة الكسرة مع القاف، تشكل عندنا

تتابع تماثلي ثقيل وهو [iy]، وللتخفيف من حدة التوتر العضلي الذي ينشأ من تحرك اللسان في المنطقة الضيقة (وهي منطقة الكسرة والياء) استقرت العضلة اللسانية في موضع الكسرة من دون الصعود إلى موضع الياء، فتحولت الياء إلى كسرة التفت مع سابقتها فشكلت كسرة طويلة.

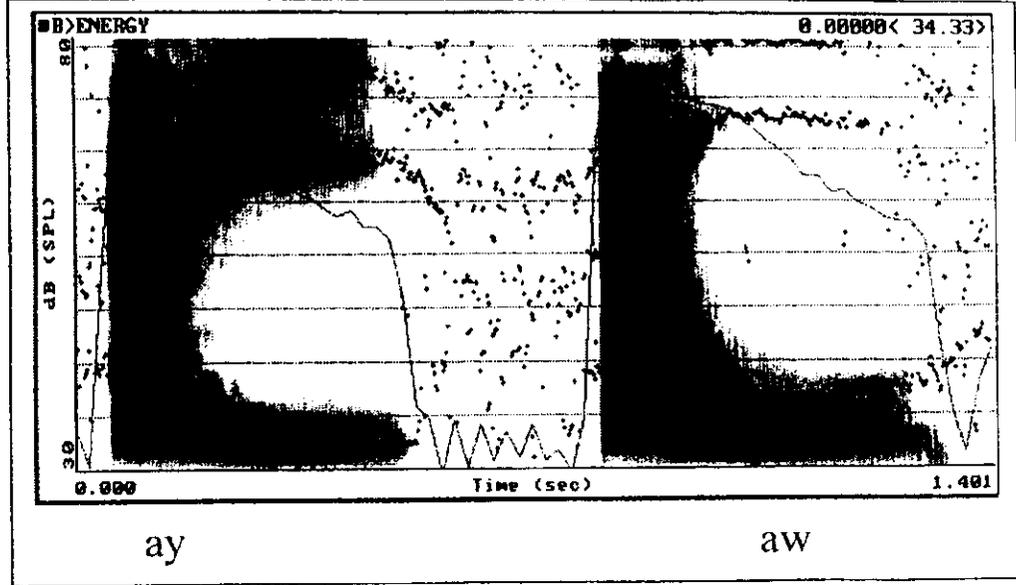
المبحث الثاني:

التتابعات الصوتية الهابطة وسلوكها في أبنية العربية

في العربية ستة أنواع من التتابعات الصوتية الهابطة وتدرج كالاتي:

[bayt]	في نحو بَيْت	[ay]	أولاً
[lawn]	في نحو لَوْن	[aw]	ثانياً
suwwa:m	في نحو صَوَام	[uw]	ثالثاً
[siyya:n]	في نحو سَيَّر	[iy]	رابعاً
suyyira	التتابع إلا نادراً، من نحو "وَجَل"	uy	خامساً
	ما وجدت فيه أبنية العربية ما أبقت على هذا	[iw]	سادساً

ووصفت هذه التتابعات بالهابطة - كما يذكر د. استيية - لكون "جزؤها الأول أعلى في النطق من الجزء الثاني، والهبوط يمثل قيمة صوتية متعلقة بحركة اللسان، ودرجة الوضوح السمعي فاللسان عند نطق هذه الحركة يتحرك من درجة منخفضة فيرتفع إلى درجة فوقها، أي إن حجرة الرنين الأمامية من الفم تكون واسعة فتضيق، وبذلك تصبح درجة الصوت أقل علواً، وأقل وضوحاً سمعياً في أن معاً"^(٣٧). إذ إن الناطق لمثل هذه التتابعات يبدأ من نواة المقطع وهي الحركة وينتهي عند قاعدته وهي شبه الحركة، وعليه فأنت تبدأ من الصوت ذي الطاقة العالية لتنتهي عند الصوت ذي الطاقة القليلة، وهذا ما يظهر بجلاء في منحنى الطاقة (energy) المبيّن في الشكل (١-٤).



الشكل (٤-١)

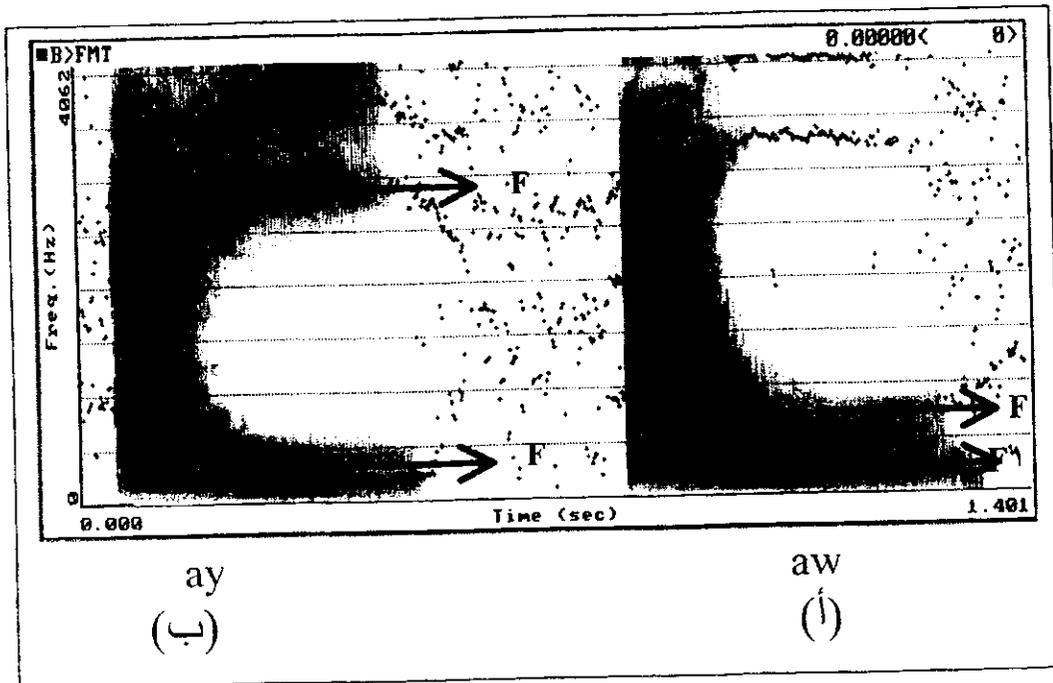
وسأتناول في هذا المبحث الخصائص النطقية والفيزيائية لهذه التتابعات، وكيف كان وجودها سبباً في إحداث التغيرات الصوتية في الأبنية، وهذا ليس في كل سياق بطبيعة الحال، إذ نجدها قد حذفت من بعض الأبنية وثبتت في بعضها الآخر، الأمر الذي يضعف ما قاله د. فوزي الشايب من أن العربية الفصيحة لا تبقى على أربعة من هذه التتابعات على الإطلاق وهي: "أو" iw ، و "اي" iy ، و "او" uw ، و "أي" uy ؛ لأنها في مجموعها عبارة عن تتابعات متجانسة أو أزداد، وكلاهما مرفوض عربياً^(٣٨). وهذا كلام يضعفه الواقع اللغوي، إذ إننا نجد ثبات هذه التتابعات في عدد ليس قليل من الأبنية؛ وبهذا فهي ليست مرفوضة تماماً، بل ثقيلة نطقاً لما تحمله من خصائص صوتية.

أولاً : ay – aw

لم تستقل العربية التتابعين [ay] و [aw]؛ ولهذا فقد أبقّت عليهما في أكثر أبنيتها. ويمكن أن نفسر خفة هذين التتابعين بقلة الجهد المبذول معهما بالمقارنة مع التتابعات الأخرى المتماثلة والمتخالفة. فمع كل من [ay و aw]

ينتقل اللسان من أسفل الفم (موضع نطق الفتحة)، وهو وضع الراحة العضلية، إلى أعلاه ، مع الاندفاع إلى مقدمة الفم مع الياء، والانسحاب إلى مؤخر الفم مع الواو، فاللسان بهذا ينتقل في تحرك واحد إلى موضع نطق شبه الحركة، في حين نجده يبذل جهداً مضاعفاً مع التتابعات الأخرى، إذ يتطلب منه الانتقال إلى موضع الكسرة أو الضمة أولاً، ثم إلى موضع الياء أو الواو ثانياً.

وعلى الرغم من أن المسافة التي سيقطعها اللسان في تحركه من الفتحة إلى شبه الحركة طويلة نوعاً ما. وهذا يظهر في شكل الانتقال الترددي المبين في الصورتين الطيفيتين [أ ، ب] في الشكل (٥-١) إلا إن كون الحركة المجاورة هي الفتحة خفف من الجهد المبذول عند نطقهما.

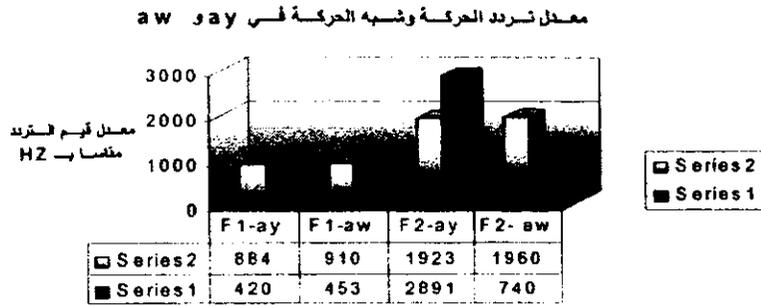


الشكل (٥-١)

ويبين الصورة الطيفية وقيم المكونين F_1 و F_2 لكل من ay و aw

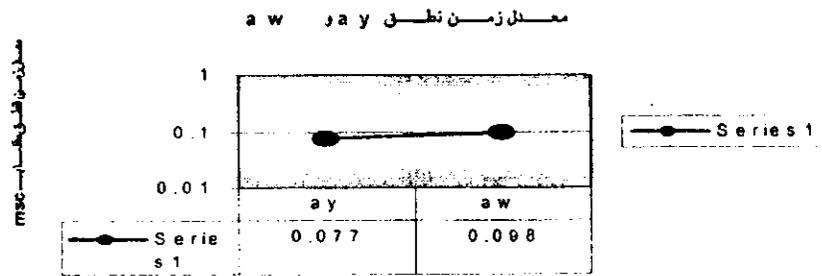
ونلاحظ من الشكل السابق ومن الرسوم البيانية الموضحة في الأشكال

(٦-١) و (٧-١) و (٨-١) ما يأتي:



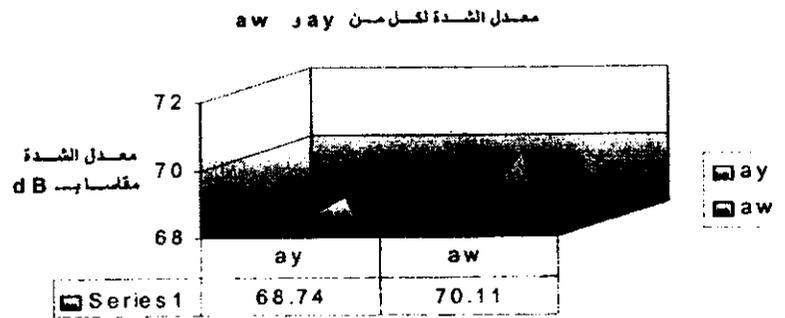
الشكل (٦-١)

ويبين معدل تردد الحركة وشبه الحركة في ay و aw مقاسا بـ Hz.



الشكل (٧-١)

ويبين معدل زمن نطق كل من ay و aw مقاسا بـ msc



الشكل (٨-١)

ويبين معدل زمن نطق كل من ay و aw مقاسا بـ msc

أ- بلغ معدل تردد F_1 للفتحة مع التتابع [ay] 884Hz ومع التتابع [aw] 910Hz وهبط مستقراً مع الأول عند التردد 420Hz وعند 453Hz مع الثاني. وعليه، فإن فارق التردد في حركة المسار الانتقالي الهابط يعادل 464Hz مع [ay] و 457Hz مع [aw]. وارتفاع تردد F_1 مع الواو أكثر منه مع الياء يعود إلى ضيق منطقة الحلق مع الأول، فقد ذكر (pickett) في معرض تحديده لقوانين المكونين F_1 و F_2 أن F_1 يزيد تردده مع تضيق التجويف الحلقى، وكلما ازداد التضيق، ازداد تردد F_1 .^(٢٩٣٩)

ونلاحظ أن فارق التردد F_1 بين التتابعين [ay] و [aw] لم يكن كبيراً، وهو أمر يعود إلى حركة اللسان العمودية، فهذا المكون - بالإضافة إلى أنه متعلق بالمساحة النطقية للحلق - فهو كذلك متعلق - كما سبق أن أوضحنا - بحركة اللسان العمودية، فاللسان مع كلا التتابعين يتحرك من الأسفل إلى الأعلى وهذا الذي يفسر الهبوط الواضح في تردد هذا المكون مع التتابعين عندما ينتقل من الحركة إلى شبه الحركة وهو أمر نجده شبه مغيب مع التتابعات الأربعة الأخرى التي تغيب معها الحركة العمودية للسان بدرجة ملحوظة، ويقوى حضور الحركة الأفقية في الانتقال بين مقدم الفم ومؤخره.

ب- بلغ معدل تردد F_2 للفتحة مع التتابع [ay] 1923Hz ومع التتابع [aw] 1960Hz وصعد مستقراً مع الأول عند التردد 2891Hz ، في حين هبط مستقراً مع الثاني عند التردد 740Hz . وعليه، فإن فارق التردد في حركة المسار الانتقالي الصاعد يعادل 968Hz ، في حين يعادل 1220Hz مع الهابط. وفارق التردد هذا يعكس المسافة النطقية والموضعية لكل من الفتحة وشبه الحركة، وهي معتدلة نوعاً ما بالمقارنة مع فارق التردد مع التتابعين [iw] و [uy]. وبهذا فإن حركة المسار الانتقالي مع هذا المكون والقيم الرقمية الناتجة عنه تعدّ إشارة فيزيائية مميزة في هذين التتابعين.

ج- بلغ معدل زمن الانتقال للمكون الثاني [F_2] مع [ay] $0,060\text{msc}$ ، وبلغ مع [aw] $0,098\text{msc}$ وعليه فقد استغرق مسار الانتقال الترددي للمكون F_2 مع [aw] زمناً أطول منه مع [ay].

د- بلغ معدل الشدة الصوتية مع [ay] $68,74\text{dB}$ ، ومع [aw] $70,11\text{dB}$. ويعود ارتفاع معدل الشدة مع [aw] أكثر من ارتفاعه مع [ay] إلى كون فارق التردد الثاني مع الأول أكبر فاحتاج زمناً انتقالياً أطول وبالتالي جهداً نطقياً أكبر، ويعود كذلك إلى ضيق منطقة الحلق عند إنتاج الواو، وعليه فإن

اشترك منطقتين نطقيتين عند نطق التتابع [aw] ولّد جهداً نطقياً إضافياً فارتفعت الشدة الصوتية معه بالمقارنة مع التتابع [ay].

وعلى الرغم من خفة هذا التتابع بالمقارنة مع التتابعات الهابطة الأخرى، إلا أننا نجد العربية قد تخلصت منه في بعض أبنيتها، وذلك نحو مضارع الثلاثي إذا كان على وزن "يَفْعَل" بكسر العين، مثل: [يَعِد] من [يُوعِد]، و [يَزِن] من [يُوزِن]، و [يُصِل] من [يُوصِل]، ونحو حذف الواو من الوزن "يَفْعَل" بفتح العين، والقياس عدم حذفها، وقد وردت أمثلة غير قليلة عليه من نحو: يَدَع وَيَزَع وَيَضَع وَيَقَع ويهب ويذر ويظأ ويسع وغيرها.

وأرى أن الأمر يعود في ذلك إلى عاملين:

الأول: وجود الكسرة في المقطع اللاحق للمقطع الذي ورد فيه هذا التتابع.

الثاني: وجود الياء في بداية المقطع الذي ورد فيه التتابع الهابط.

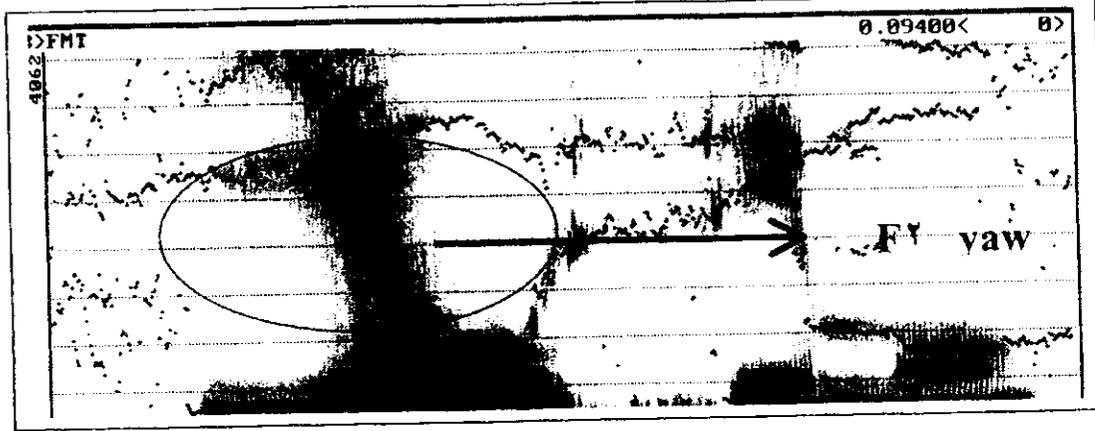
فمع الأول يتركز الثقل في وجود الكسرة بعد الواو وهما عنصران متناظران، وعلى الرغم من وجود فاصل صامت يخفض من ثقل التتابع، إلا إن العربية قد جنحت في ذلك إلى التخلص من مصدر الثقل الذي يمكن أن يتخلص منه، فحذفت الواو.

ومع الثاني يطلب من العضلة اللسانية كي تنتج المقطع [yaw] أن تنتقل بالمسار التحركي المبين في الشكل (١-٨)، وهو انتقال يسبب توتراً في حركة العضلة اللسانية، وقد ذكر سيبويه هذا، فهو يُفسر سبب حذف الواو في هذه الأبنية باستئصال اجتماع الياء والواو، وهذا الاستئصال جعلهم ينطقون بوجل: ياجل ويجل بقلب الواو ألفاً أو ياء^(٤٠)، هذا بالإضافة إلى العلو النسبي لفارق تردد F٢ مع التتابع [aw] مقارنة مع الآخر [ay]؛ لهذا نجد الواو قد حذفت من المضارع في حين ثبتت الياء في المضارع اليائي من نحو ييمن وييس ويئس.

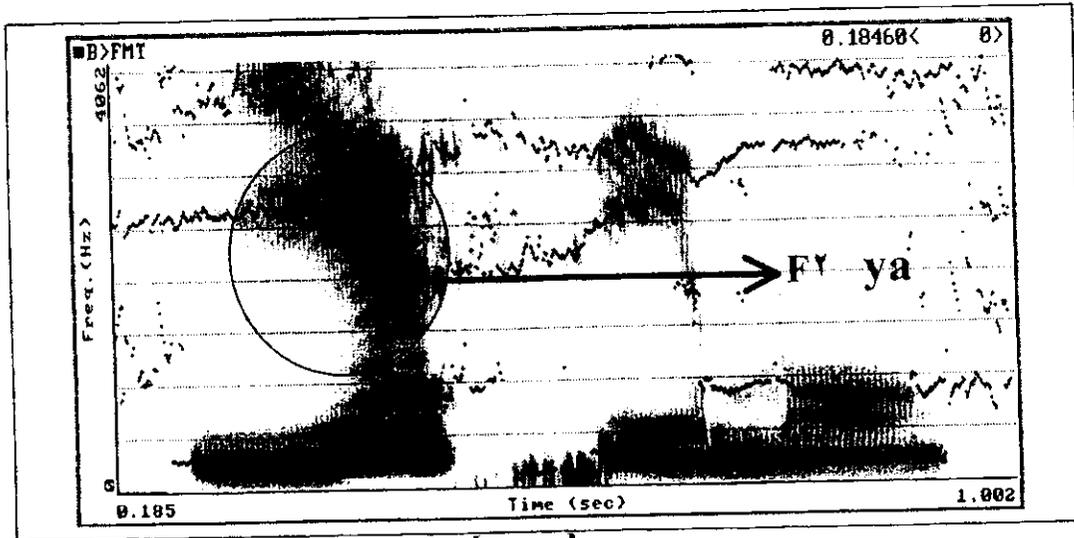
ويبين الفارق في الشدة الصوتية بين ثبات الواو وحذفها في مضارع الفعل المعتل المثال في الشكلين (١-٩) و (١-١٠) حيث يبين الأول شكل الانتقال الطيفي لخط التردد F٢ للتتابع [yaw] و [ya] في كل من [يوسمُ yawsimu] و [يسمُ yasimu]، وفيه نلاحظ انحداراً حاداً في مسار المكوّن الثاني [F٢] مع [yaw] في حين تخف حدة الهبوط بوضوح عند الانتقال من الياء شبه الحركة إلى الفتحة التالية، وهذا الحذف أدى إلى انخفاض معدل الشدة الصوتية مع [ya] حيث بلغت ٧١,٣٣dB بعد أن كانت مع [yaw] ٧٣,١٢dB.

وإذا قيل إن هذا التتابع [yaw] قد وقع في الأسماء ولم تحذف منه الواو، نحو [يَوْم yawm]، أقول: إنه على الرغم من تطابق الوضعين على المستوى

الصوتي النطقي، إلا أنهما مختلفان من الجانب البنائي، فالياء في كلمة [يوم] من أصل الكلمة، وليس مثل "يُوسم" (علامة زمنية مضافة، هذا من جانب، أما من الجانب الآخر فإن للباحث أن يقلب معجم اللسان فلن يجد في باب الميم فصل الياء إلا كلمة واحدة هي [يوم] بخلاف الفعل المثال الواوي فهو يتجاوز هذا العدد بكثير فكان أولى بالتخفيف.



[أ]

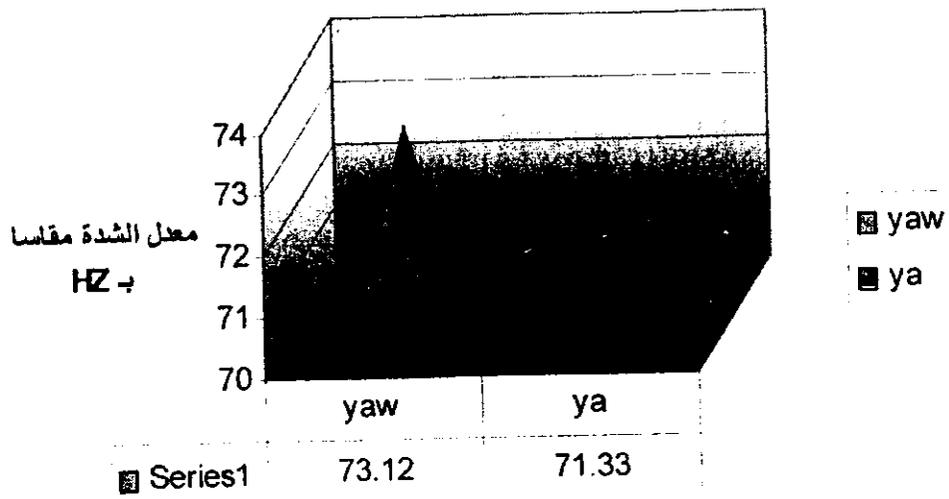


[ب]

الشكل (٩-١)

ويبين الشكل الطيفي لكل من يوسم و يسم حيث يظهر الانحدار حادا في F2 مع الأولى ويمثلها الشكل [أ] وتخف حدته بصورة ملحوظة مع الثانية

معدل الشدة بين يوسم ويسم



الشكل (١٠-١)

ويبين الفارق في معدل الشدة بين التتابع yaw والتتابع ya في يوسم ويسم

ثانيا : iy -uw - uy - iw

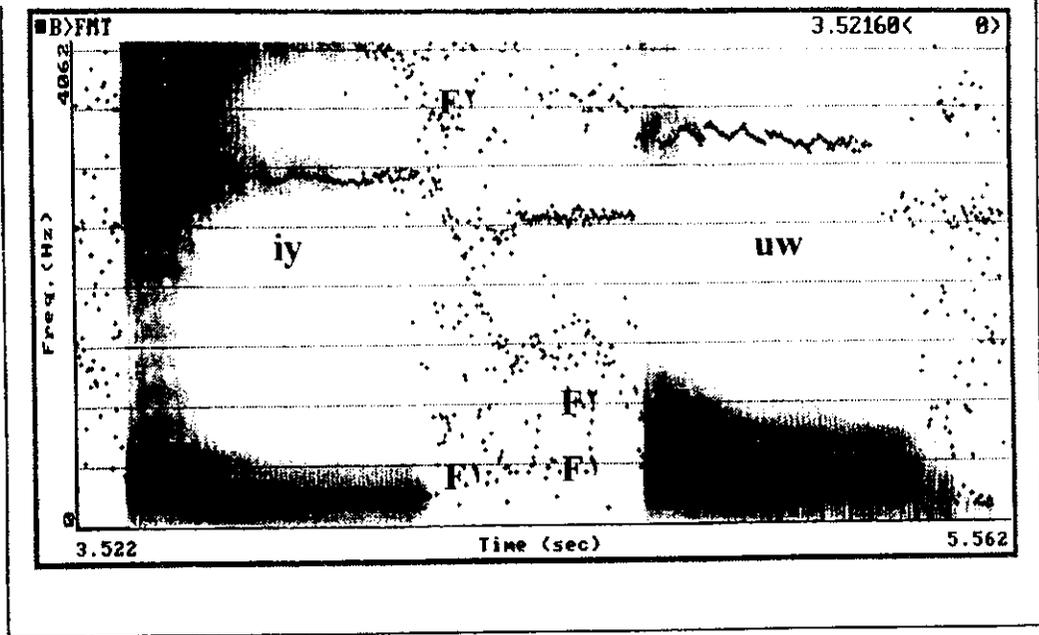
تعتبر التتابعات الصوتية الهابطة iy -uw - uy من التتابعات الثقيلة نطقا في العربية. وإن كنا نجد الثلاثة الأولى منها في بعض الأبنية وفي سياقات صوتية معينة، فلا نكاد نجد الأخير إلا في ما ندر منها.

وتقل هذه التتابعات يكمن في الجمع بين المثلين مع كل من " iy " و" uw " وبين الضدين مع كل من (iw) و (uy) ، فمع الأولين تتحرك العضلة

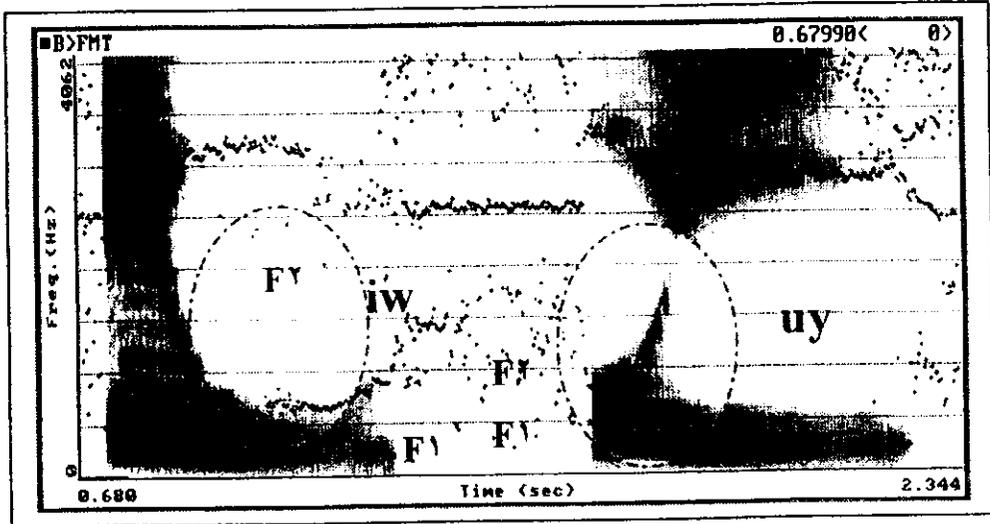
اللسانية في منطقة نطقية ضيقة جدا ، وهي فارق المسافة بين الكسرة والياء وبين الضمة والواو. وبسبب حصر التحرك اللساني الدقيق في مساحة ضيقة كهذه ازداد توتر عضلة اللسان؛ لأن هذا يحتاج منها مجهودا أكبر، وهذا أمر طبيعي. فأنت إذا أردت أن تصلح قطعة إلكترونية مثلا، وكانت صغيرة الحجم فهي تحتاج منك دقة في الحركة وتركيزا في عمليات الوصل والقطع والتبديل أكثر مما تحتاجه القطعة نفسها لو كانت متوسطة الحجم أو كبيرة. وبهذا فأنت تبذل جهدا مضاعفا مع الأولى.

ويحدث عكس ذلك مع التتابعين الآخرين " iw " و " uy " إذ يتطلب من اللسان أن ينتقل بشكل مفاجئ وسريع بين موضعين، أحدهما في أول الفم والثاني في أقصاه (أو العكس). وهذا التحرك المتتابع يشكل ما يمكن أن نسميه صدمة عضلية. وعلى الرغم من أن اللسان عضلة مرنة، إذ يمكنه أن يتحرك في الاتجاهات كافة، إلا أن البعد الموضعي بين صوتين يطلب فيه من اللسان أن ينتجها بشكل مباشر ومن دون فاصل، هو ما سبب الثقل النطقي معهما، ولهذا حذفنا في كثير من الأبنية.

وتبين الأشكال (١١-١) و (١٢-١) و (١٣-١) و (١٤-١) عدداً من الخصائص الفيزيائية للتتابعات الصوتية المدروسة، حيث يبين الشكل الأول الرسم الطيفي للتتابعات المتماثلة والمتخالفة ، ويبين الثاني الرسم البياني لمعدل الشدة الصوتية ويظهر الثالث الرسم البياني لمعدل التردد $F2$ لكل من الحركة وشبه الحركة، ويوضح الأخير زمن الانتقال الذي احتاجه المكون الثاني للانتقال من الحركة إلى شبه الحركة.



[أ]

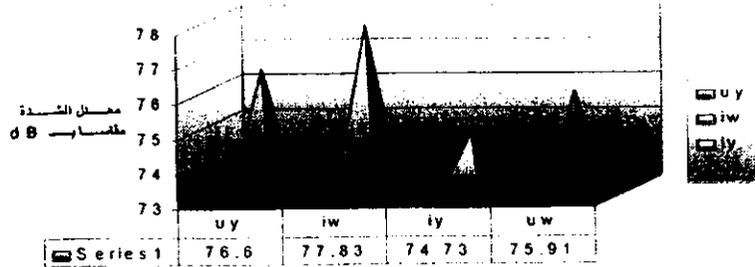


[ب]

الشكل (١١-١)

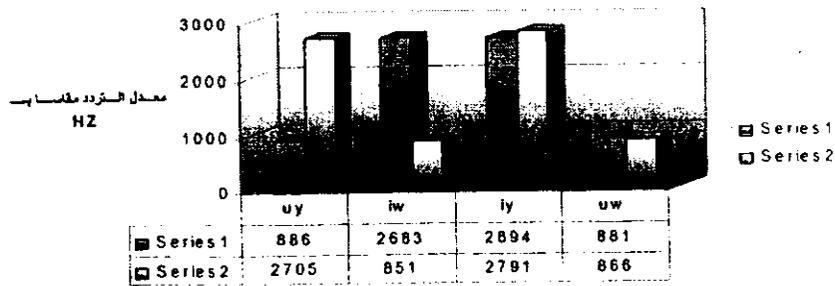
ويبين الشكل الطيفي للتابعات المتماثلة ويوضحها الشكل (أ) ، والتتابعات المتخالفة ويمثلها الشكل (ب)

معدل الشدة الصوتية للتتابعات المتماثلة والمختلفة



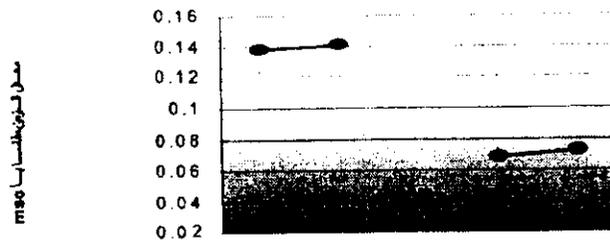
الشكل (١٢-١)

معدل تردد F2 للتتابعات المتماثلة والمختلفة



الشكل (١٣-١)

معدل زمن الانتقال F2 مع التتابعات المتماثلة والمختلفة



الشكل (١٤-١)

وبالنظر إلى الأشكال المبيّنة سابقاً نخلص إلى النتائج الآتية:

أ- لم يكن المكوّن الأول [F1] يشكل عنصراً تمييزياً واضحاً في الفوارق الفيزيائية بين التتابعات المدروسة، ففي معظم المحاولات النطقية للتتابعات جميعها كان يهبط باستواء ملحوظ- إن جاز القول - باتجاه شبه الحركة.

ب- يشكل المكون الثاني [F2] إشارة فيزيائية واضحة في التمييز بين التتابعات المنطوقة، فمع التتابع المتخالف (uy) نجد بداية المكوّن متركزة عند التردد 886Hz ثم يصعد في مسار حاد ليستقر عند التردد 2705Hz في حين نجد بداية التتابع [iw] متركزة عند 2683Hz ثم يهبط مكونه في مسار حاداً أيضاً ليستقر عند التردد 851Hz . أما التتابعان المتماثلان [iy] و [uw] فنجد صعوداً منبسّطاً في حركة انتقال المكون F2 مع الأول، وهبوطاً منبسّطاً في حركة انتقال المكون نفسه مع الثاني. إذ يبدأ مع الأول من التردد 2694Hz ويستقر عند 2791Hz، ويبدأ مع الثاني من التردد 881Hz ويستقر عند 866Hz.

ج- لما كان الفارق الترددي مع التتابعات المتضادة عالياً، إذ بلغ مع التتابع [uy] 1819Hz ومع التتابع [iw] 1832Hz ، فقد احتاج ذلك زمناً نطقياً طويلاً لإتمام عملية الانتقال التي يتحرك فيها اللسان تحركاً أفقياً حاداً بين مقدم الفم ومؤخره. ولهذا نجد معدل زمن انتقال المكوّن الثاني مع [uy] قد بلغ 138msc ، ومع [iw] 141msc ، وهما نسبتيان متقاربتان. وعلى النقيض من ذلك نجد قصراً زمنياً واضحاً مع التتابعين المتماثلين، إذ بلغ معدل زمن الانتقال مع [iy] 0.068msc ومع [uw] 0.072msc ،

فالحركة اللسانية المنجزة لنطق هذا التماثل محصورة في مساحة نطقية ضيقة هي فارقة المسافة بين الحركة وشبه الحركة المتماثلتين.

د- كان معدل الشدة الصوتية مع التتابعات المتماثلة والمتضادة أعلى من التتابعين [ay] و [aw] ، إذ اجتمع مع توتر عمود الهواء توتر في حركة العضلة اللسانية التي تسير في مسار متضاد مع [iw] و [uy] ، وفي مسار دقيق وضيق مع [iy] و [uw] . فمعدل الشدة الصوتية مع [iw] قد بلغ 77.83dB ، ومع [uy] 76.60dB ، في حين هبط مع كل من [uw] إلى 75.91 ، وإلى 74.73dB مع [iy] .

ولهذا الذي ذكرناه من الخصائص النطقية والفيزيائية لهذه التتابعات الأربعة، فقد تخلصت العربية منها في أكثر أبنيتها، وذلك إما بحذف شبه الحركة والتعويض عنها، أو بحذفها من دون تعويض، ويكون التعويض إما بمد الحركة السابقة لها، أو بتضعيف الصامت اللاحق.

ونعرض هنا أمثلة على الشكل الأول (الحذف والتعويض بمد الحركة السابقة):

١- [إفعال] و [مفعال] من المثال الواوي. نحو "إيصال" و أصلها "إوْصال" من الفعل "وَصَلَ" ، و "ميعاد" وأصلها "مِوَعاد" من الفعل "وَعَدَ" .

?iwsa:l → ?iysa:l → ?i:sal

Miwʔa:d → Miyʔa:d → mi:ʔ a:d

٢- "فَعْلَة" من الأجوف الواوي واليائي. نحو: "قيمة" وأصلها "قَوْمَة" و "سيرة" من الأصل "سِيرَة".

qiwmatu → qiymatu → qi:matu

siyratu → si:ratu

٣- الناقص اليائي مع ضمائر المتكلم والمخاطب ، نحو: "رَضِيتُ" وأصلها "رَضِيتُ".

radiwtu → radiytu → radi:tu

٤- الفعل المضارع المزيد من الناقص اليائي ، نحو: "يُرْضِي" وأصلها "يُرْضِي".

yurdiw → yurdiy → yurdi:

٥- المبني للمجهول من "أَفْعِل" نحو: "أُوهِبَ" وأصلها "أُوهِبَ".

?uwhiba → ?u:hiba

٦- وزن "فُعْل" من الأجوف اليائي. نحو: "بيض" وأصلها "بِيض".

Buydu → biydu → bi:du

أما الشكل الثاني، وهو الحذف والتعويض بتضعيف الصامت اللاحق،

فنحو:

"افتعل" من المثاليين الواوي واليائي مثل: "اتصل" من الأصل "اوتصل"
و"اتبس"، وأصلها "ايتبس"، وفيهما عوض عن شبه الحركة بالتاء.

iwtasala ittasala

iytabasa ittabasa

وأما الشكل الثالث ، وهو حذف من دون تعويض ، فنحو: الأمر من المثال
الواوي، مثل "قَفَّ" وأصلها "اوقَفَّ" و "صِل" من الأصل "اوصل".

Iwqaf qit

Iwsil sil

والحذف هنا لم يكن للواو فقط ، بل للمقطع كاملاً.

وأقف في آخر الأمر بنظرة تحليلية سريعة عند الخصائص الفيزيائية
لكلمتين مما سبق أن أوردناه، وهما: ميعاد ورضيت.

يبين الشكل (١-١٥) مراحل التغير الصوتي لكلمة "ميعاد" mi:ʔ:d إذ
نجد في الشكل [أ] انتقال المكوّن F2 بهبوط حاد من التردد 2456Hz إلى التردد
861Hz ، وهذا يعكس انتقال اللسان من الكسرة إلى الواو شبه الحركة في a:d؟
miw ، وتبلغ شدة التتابع الهابط معها 77.50dB . في حين نجد الانتقال في
الشكل [ب] يتحول إلى صاعد مع البنية قبل السطحية [miya:d] . ومعها نجد
الانتقال يبدأ من 2600Hz ويصعد إلى 2710Hz ، ثم لا يلبث أن ينتقل في هبوط
إلى تردد العين . وتبلغ شدة التتابع [iy] هنا 75.60dB ، وللتخفيف من النقل

النطقي المتمثل في حركة اللسان في منطقة نطقية ضيقة وهي منطقة الكسرة والياء تُحذف الياء ويعوّض عنها بمد الحركة السابقة، بمعنى آخر يستقر اللسان في موضعه الخاص بإنتاج الكسرة، ويتبين ذلك في الشكل [ج] إذ نجد استقراراً في بداية الترددات المنعكسة عن الكسرة الطويلة يتبعها انتقال هابط إلى تردد العين، ويبلغ معدل شدة الكسرة الطويلة هنا 74.11dB. وهي نتيجة طبيعية، فاللسان قد تخلص من حركة ثنائية متضادة الاتجاه في [iw]، ثم تخلص من حركة ثنائية يتطلب منه كي ينجزها أن يتحرك في مساحة نطقية غاية في الضيق، منتهياً إلى وضع عضلي مستقر هو وضع نطق الكسرة مع شيء من الامتداد الزمني عند إنتاجها للتعويض عن شبه الحركة المحذوفة.

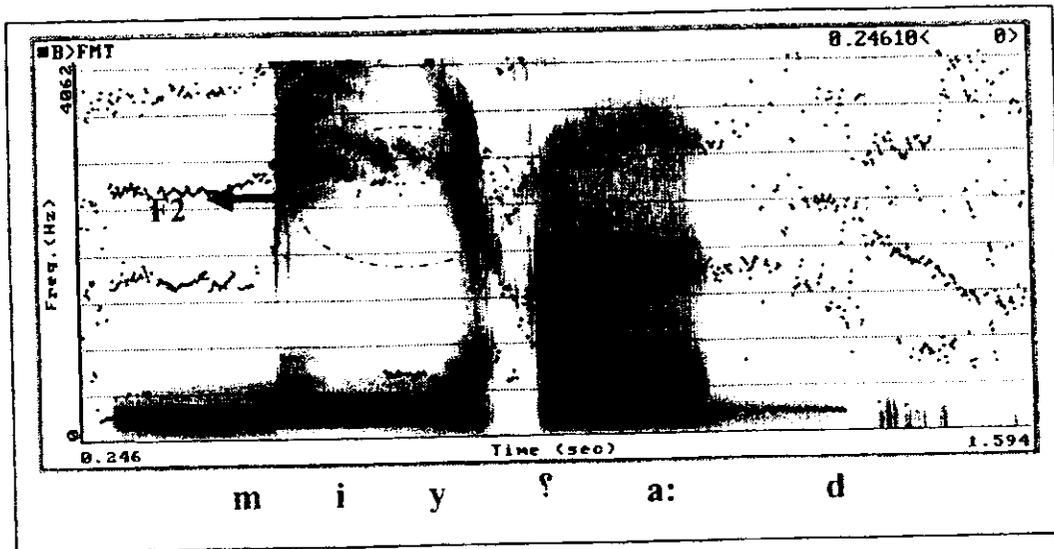
أما الكلمة الثانية "رضيتُ" [radi:tu] فيظهر من صورتها الطيفية (١٦-١) تماثل تقريبي في التردد الذي يبدأ منه المكون الثاني [F2] في البنيتين ما قبل السطحية والسطحية، إذ نلاحظ أنه عند الانتقال من صوت [الضاد] المفخم المجهور إلى الكسرة التالية يتركز التردد عند 1562Hz فيصعد إلى التردد 2892Hz مع التابع [iy] وإلى 2583Hz مع الكسرة الطويلة أي بفارق ترددي يبلغ 1330Hz مع [iy] و 1021Hz مع الكسرة الطويلة. وقد بلغت الشدة الصوتية مع الأول 76.13dB في حين انخفضت مع الثاني إلى 74.22dB.

[ا]



m i w ? a: d

[ب]



m i y ? a: d

[ج]



m i: ? a: d

الشكل (١٥-١)

وبعد، فكما أن العربية قد تخلصت من هذه التتابعات في عدد من أبنيتها، فقد سلكت سبيل بقائها في بعضها الآخر، وذلك في سياق صوتي واحد وهو التضعيف ؛ أي في السياقات التي يبدأ فيها المقطع اللاحق بشبه الحركة التي انتهى بها المقطع السابق، وذلك نحو:

أ- الفعل الماضي المبني للمجهول من الأجوف الواوي واليائي الذي جاءت عينه مُضعفة، مثل: لِيَنَّ [luyyina]، عَيَّنَ [uyyina ؟]، لُونَنَّ [luwwina]، جَوَّغَ [juwwiʔa].

ب- ما بُنيَ على الوزن [فُعَل] من الأجوف اليائي، مثل: ضَيَّعَ [duyya]، سُيِّرَ [suyyar].

ج- ما بُنيَ على وزن [فُعَال] من الأجوف الواوي، مثل: رُوِّدَ [ruwwa:d]، زُوِّرَ [zuwwa:r]، دُوِّرَ [duwwa:r].

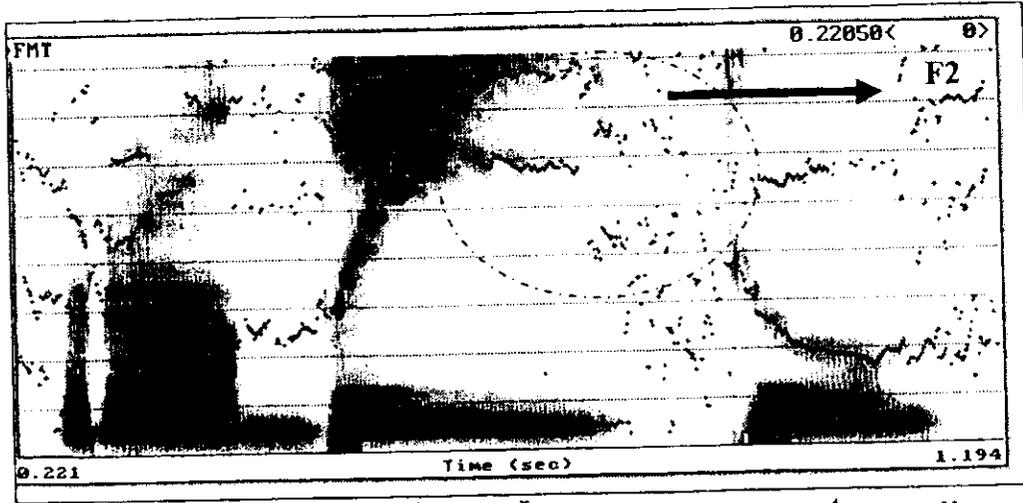
د- الكلمات المنسوبة، مثل: سوري [su:riyyu].

هـ- كلمات نحو: "سَيَّان" [siyya:n]، قَوِيٌّ [qawiyyu]، غِيَّةَ [giyyatu].

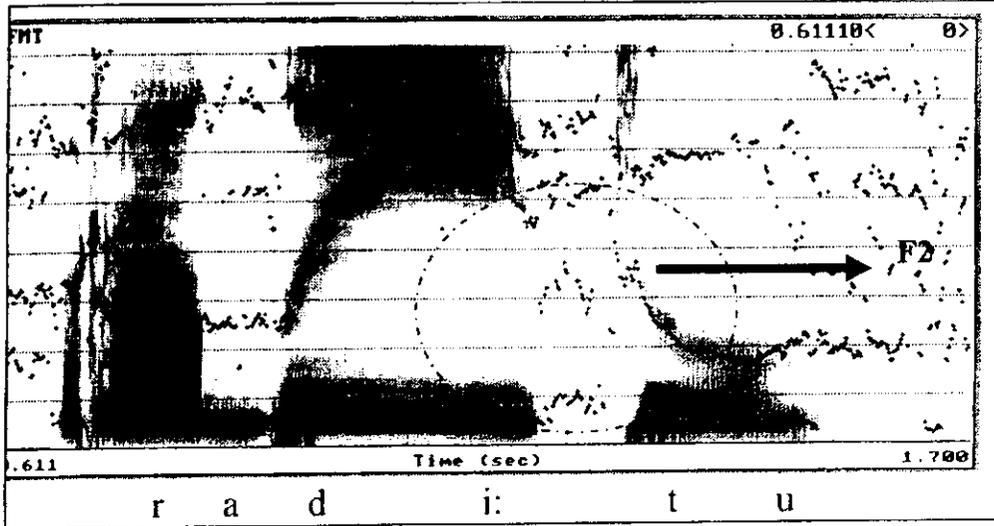
فالعربية قد أبقت على هذه التتابعات في الأبنية السابقة، في حين أنها تخلصت منها في أبنية أخرى كثيرة، والأمر يعود - بالإضافة إلى الحفاظ على وزن البنية - إلى الطبيعة النطقية للتضعيف، فالتضعيف في حقيقته النطقية هو استقرار الأعضاء النطقية مدة في موضع نطق الصوت، ثم تتحرك بعد ذلك

إنتاج الصوت اللاحق ، وهذا الاستقرار يمثل استراحة العضلة اللسانية من الحركة الانتقالية المفاجئة بين موضعين متباعدين، من نحو [uy] في ضيِّع [duyya?]، أو الحركة الانتقالية الضيقة بين موضعين متقاربين، من نحو (iy) في سيَّان [siyyan]. وأرى أن هذا الاستقرار يُعدّ تمهيداً زمنياً تنتهياً فيه الأعضاء النطقية للانتقال إلى موضع نطق الصوت اللاحق. وعليه فحركة النطق في سياق التضعيف لا تكون سريعة ومفاجئة كما هي شبه الحركة عندما تكون ساكنة.

وتظهر صفة الاستقرار العضلي هذه واضحة في الشكل (١-١٧)، وفيه الصورة الطيفية لكلمة "سيَّان"، إذ تظهر على شكل امتداد زمني لحركة تردد التتابع (iyy) في الكلمة نفسها، وهذا الاستقرار قد أشبع الياء بالسكون وهياً أعضاء النطق للانتقال من الموضع النطقي نفسه إلى الفتحة اللاحقة للياء الثانية ولهذا أصبح التتابع [iy] في الكلمة مقبولاً على المستوى النطقي.

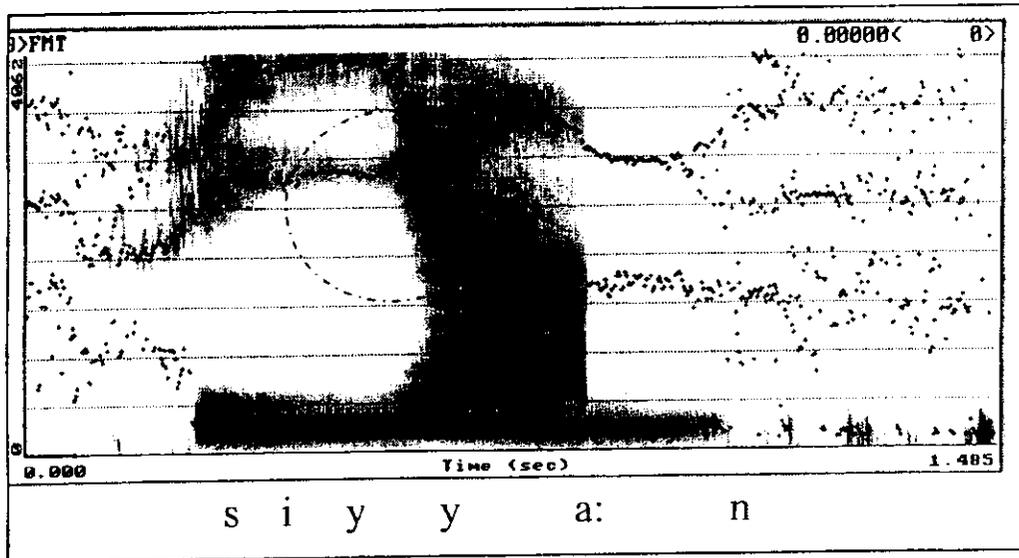


[١]



[ب]

الشكل (١٦-١)



الشكل (١٧-١)

هوامش الدراسة

- (١) Praat هو برنامج حاسوبي يعمل على تسجيل الكلام أليا وتحليله وتركيبه، صمم في جامعة أمستردام Amsterdam وكان القائمان على تنفيذ فكرته وتحديثها كلا من الأستاذين Paul Boersma و David Weenink ويستطيع الدارس أن يستعمل هذا البرنامج من موقعه على شبكة الإنترنت وعنوانه : <http://www.praat.org>
- (٢) د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٠٣.
- (٣) J.C.Catford . A Practical Introduction to Phonetics , p116
- (٤) Martin J. Ball . Phonetics For Speech Pathology , p.54
- (٥) د. سمير استينية، الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية، ص ١٥١.٥
- (٦) ماريو باي، أسس علم اللغة، ص ٨٠.
- (٧) Peter Roach . English Phonetics and Phonology , p21
- (٨) فندرس، اللغة، ص ٥٤. وانظر: د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ١٦١.
- (٩) غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص ٢٣١.
- (١٠) د. سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، ص ٢٤٨-٢٤٩.
- (١١) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٤٣. وانظر د. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٤١. وانظر د. كمال بشر، علم الأصوات، ص ٣٦٩، وانظر: د. فوزي الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص ٢٠١-٢٠٢.
- (١٢) د. عبد الصبور شاهين ، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، ص ٤١.
- (١٣) د. كمال بشر ، علم الأصوات ، ص ٢٦٩.
- (١٤) د. فوزي الشايب ، محاضرات في اللسانيات ، ص ٢٠٠-٢٠٢.
- (١٥) د. عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص ٣٠.
- (١٦) المرجع السابق، ص ٣١.
- (١٧) المرجع السابق، ص ٣٠.

- (١٨) D. Kent. The Acoustic Analysis of Speech, p. 92.
- (١٩) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
- (٢٠) التقطت هذه الصور في قسم الأشعة في مستشفى الإسراء اعتمادا على جهاز -- Cine Fluoro scopy ، حيث اعتمد التقاط صور عديدة لمحاولات نطقية متكررة ثم اختير من بينها تلك التي عرضت في الدراسة . قام بالإشراف على التقاط الصور الدكتور هيثم العزام رئيس قسم الأشعة في المستشفى المذكور .
- (٢١) انظر صفحة ٧٤ من الدراسة .
- (٢٢) د. أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص ٣٠٤.
- (٢٣) انظر صفحة ٧٤ من الدراسة.
- (٢٤) J.C.Catford . A Practical Introduction to Phonetics , p116
- (٢٥) د. غالب فاضل المطليبي، في الأصوات اللغوية، ص ٢٣١.
- (٢٦) جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص ١٧١.
- (٢٧) د. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٤٦.
- (٢٨) د. عبد الرحمن أيوب، الصوت إنتاجه وتحليله، ص ١٧٢.
- (٢٩) د. عبد الرحمن أيوب، الصوت إنتاجه وتحليله، ص ١٧٢.
- (٣٠) د. كمال بشر، علم اللغة العام - الأصوات، ص ٨٥.
- (٣١) د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص ٩٤.
- (٣٢) Peter Roach . English Phonetics and Phonology , p21
- (٣٣) د. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٤٤.
- (٣٤) المرجع السابق، ص ٤٣ .
- (٣٥) جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص ١٧٢
- (٣٦) د. سمير استيتية، الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية، ص ١٥٢-١٥٣
- (٣٧) المرجع السابق ، ص ١٥٣-١٥٤.
- (٣٨) د. فوزي الشايب، تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ص ٣٢.
- (٣٩) انظر D. Pickett. The sounds of Speech Communication, p. 50-51
- (٤٠) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٥٢.

قائمة المصادر والمراجع

- أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢.
- أيوب، عبد الرحمن. أصوات اللغة، مكتبة الشباب، د.ط، د.ت.
- باي، ماريو. أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس الغرب، د. ط، ١٩٧٣.
- بشر، كمال محمد. علم اللغة العام - الأصوات، د.ط، دار المعارف- مصر، ١٩٨٠.
- بشر، كمال محمد، دراسات في علم اللغة، ط٩، دار المعارف، ١٩٨٦.
- استيتية، سمير شريف. الأصوات اللغوية - رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.
- سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب، ط٢، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٩٨٢.
- شاهين، عبد الصبور. المنهج الصوتي للبنية العربية، د. ط، د.ت.
- الشايب، فوزي. محاضرات في اللسانيات، ط١، وزارة الثقافة، ١٩٩٩.
- عمر، أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي، ط٣، عالم الكتب، ١٩٨٥.
- فندريس. اللغة، ترجمة عبد الرحمن الدواخلي والقصاص، مطبعة الأنجلو المصرية د.ط، ١٩٥٠.
- كانتينو، جان. دروس في عمل أصوات العربية، د.ط، ترجمة صالح القرماذي، الجامعة التونسية - نشرات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٦.
- Ball, Martin J. Phonetics for Speech Pathology, Whurr Publishers Ltd- London and New Jersey, First edition, 1989.

- Catford, J.C.A. *A Practical Introduction to Phonetics*, Clarendon Press, Oxford, no edition, 1988.
- Roach, Peter. *English Phonetics and Phonology*, Cambridge University Press, fourth Printing, 2002.
- Kent, Ray D. and Read, Charles. *The Acoustic Analysis of Speech*, Singular Publishing Group, INC, San Diego-London, Third edition, 1996.
- Pickett, J.M. *The Acoustic of Speech Communication Fundamentals, Speech Perception Theory, and Technology*, Allyn and Bacon, no edition, 1998.

صيغة افعال والتحويلات المختلفة لها

في ضوء العربية واللغات السامية

د. صلاح أحمد سعيد

فقه اللغات السامية

جامعة الحسين بن طلال

المقدمة

١

كان العالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ، أول من قال بالنحت من علماء العربية^(١))، فكتب يقول: "فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً. قال:

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترَي^(٢) قبلي أسيراً يمانيا
نسبها إلى عبد شمس، فأخذ العين، والباء من : (عبد)، وأخذ الشين والميم من :
(شمس)، وأسقط الدال والسين، فبنى من الكلمتين كلمة، فهذا من النحت^(٣). وقد أكد
العالم اللغوي أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) هذه الأسبقية للخليل، إذ
قال: "والأصل في ذلك ما ذكره الخليل، من قولهم: " (حيعل) الرجل: إذ قال: حيّ
على"^(٤). ومع هذا الإقرار منه إلا أن اليد الطولى تبقى له في هذا الموضوع،
حين اختط منهجاً خاصاً به في معجمي: (مقاييس اللغة) و(مجمّل اللغة)، يقوم
على نظرية الأصول والمقاييس بالنسبة للأوزان الثنائية والثلاثية ونظرية النحت
بالنسبة لما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف. فهو يقول في هذا
الصدد: " اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستنبطه النظر الدقيق،

وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت: " أن تُؤخذ كلمتان، وتحت
منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ، ومن ذلك: (البحتر)، وهو القصير
المجتمع الخلق، فهذا منحوت من كلمتين: من الباء والتاء والراء وهو من: بترته
فبُتر، كأنه حُرِمَ الطول فبُتر خلقه، والكلمة الثانية: الحاء والتاء والراء، وهو من
حُتِرَ واحترت، وذلك ألا تُفْضِلَ على أحد؛ يقال أحتر على نفسه وعياله، أي ضيقَ
عليهم؛ فقد صار هذا المعنى في القصير؛ لأنه لم يعطَ ما أعطيه الطويل" (٥).
ولما لم يستطع هذا العالم تفسير هذه الأوزان جميعها من خلال النحت، أضاف
إليها ضربين آخرين، هما المزيد، وما وضع هكذا وضعاً. فيقول في المزيد:
"ومنه ما أصله كلمة واحدة، وقد ألحق بالرباعي والخماسي بزيادة تدخله (٦)
وقد تكون الزيادة بحرف في أول كلمة، مثل: "بلذم): إذا فرق فسكت، والباء
زائدة، وإنما هو: (لذم): إذا لزم مكانه فرقاً لا يتحرك (٧)" وقد تكون الزيادة في
وسط الكلمة:، مثل: "الدعجة)، وهو الذهاب والرجوع والتردد، وبه يسمون
الفرس: (دعجا)، والعين فيه زائدة، وإنما هو: من (الدج والإدلاج) (٨). وقد
تكون الزيادة في آخر الكلمة، ومثال ذلك قوله: "البرزخ)، وهو الحائل بين
الشيئين، كأن بينهما برزاً، أي متسعاً من الأرض، ثم صار كل حائل برزخاً،
فالحاء زائدة (٩)". ويقول في الموضوع وضعاً: "الذي قد يكون له قياس ولكن خفي
موقعه عليه" (١٠)، ومن أمثله على ذلك: "الضمعج)، للناقة الضخمة (١١)".

وقد تناول عددٌ من علماء العربية في العصر الحديث نظرية أحمد بن فارس
في النحت ووقفوا منها مواقف متباينة، من القبول والرفض (١٢)، ومنهم من حاول
أن يضع تفسيراً لظهور بعض هذه الأوزان، ومن هؤلاء، رمضان عبد التواب،
الذي طرح عدّة حلول لظهور بعض الأوزان الرباعية، التي يمكن تلخيصها كما
يأتي:

١- الأوزان الناشئة عن المخالفة الصوتية:

أ. بإبدال أحد الحرفين المتماثلين في صيغة (فعل)، حرفاً يغلب عليه أن يكون من الحروف المائعة أو المتوسطة (ل، م، ن، ر)، مثل: (تَقَرَّصَع) فأصلها: (تَقَصَّع) خولفت فيها الصاد الأولى، وجعلت راءً.
ب. بتكرار الحرف الأول من الكلمة، عوضاً عن أحد المتماثلين فيها، مثل: (كفكف) دمه بدلاً من: (كفف).

٢- الأوزان الرباعية المنبثقة عن طريق إقحام الهمزة في صيغة: (افعال) نتيجة للضرورة الشعرية، والسياقات المختلفة الناشئة عن هذه الصيغة، مثل: (افعال < أفعل) و (افعال < افعل) (١٣).

ومن هؤلاء إسماعيل عمايرة الذي تناول هذا الموضوع بشكل أوسع، وشدد على ضرورة التركيز على الاشتقاق لتفسير الكثير من الأصول اللغوية الصرفية، لكون ذلك أولى من التركيز على تفسير هذه الأصول بردها إلى ظاهرة النحت^(١٤). ويقر السامرائي بتحفظ على وجود ظاهرة النحت، ولكنه يؤكد^(١٥) عدم وجود علاقة بين: (افعال) المهموزة وبين: (افعال) بالألف، مورداً أسباب اعتقاده^(١٦).

٢

تنتمي اللغة العربية إلى مجموعة اللغات السامية، التي تتميز بنيتها الصوتية- وخاصة العربية منها- بنظام دقيق في توزيع الأصوات اللغوية لها، والذي يمكن هذه الأصوات من التبادل فيما بينها وفق شروط غاية في الحيوية والمرونة^(١٧). ولا يقتصر الأمر على بنيتها الصوتية، بل وعلى بنيتها الصرفية، التي تمتاز بخاصيتها الاشتقاقية، هذه الخاصية التي يحجب الاتكاء عليها لتفسير الكثير من الأوزان الرباعية والخماسية، لأن ظاهرتي التركيب والنحت فيها وإن كانتا موجودتين فهما على قلة، ولا يجوز الاعتماد عليهما كثيراً لتفسير ظهور تلك الأوزان، كما قنع بذلك أحمد بن فارس.

إن البحث في هذه الأوزان عمل طويل وشاق فهي كثيرة^(١٨)، والطرق التي سلكتها تتبع من مصادر متعددة ومتباينة^(١٩)، والفترة التي استغرقتها للوصول إلى ما وصلت إليه فترة طويلة نسبياً؛ واعتماداً على ذلك، سيقوم الباحث بالتركيز على صيغة: (افعال) القياسية والسياقات المنبثقة عنها في معجم: "مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس، وسيوازن ذلك مع المادة اللغوية المعروضة في معجم: (لسان العرب) بشكل خاص، وأية مصادر أخرى تمت لهذا الموضوع بصلة بشكل عام، سواء أكان ذلك في العربية أم في اللغات السامية الأخرى.

لقد تنبّه علماء اللغة العربية القدماء إلى الصلة القائمة بين: (افعال) و(افعال) وأشاروا إلى أن الهمزة قد أقحمت في صيغة: (افعال) هرباً من التقاء الساكنين، وحكى أبو زيد في كتاب: (الهمز): " (دأبة) و(شأبة)؛ قال أبو الفتح: " وعلى هذه اللغة قول كثير:

إذا ما العوالي بالعبيط احمارت

وقول آخر: وللأرض أما سودها فتجلت بياضاً وأما بيضها فأدهأمت^(٢٠)

وقد عدّ القدماء أصوات المدّ أصواتاً ساكنة، ويؤكد ذلك ما قاله ابن جني عن سبب قلب الألفات همزة في: (افعال)، قال: " فلأنهن - كما ترى - سواكن وأول المثليين مع التشديد ساكن، فيجفوا عليهم أن يلتقي الساكنان حشواً في كلامهم، فحينئذ ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضاً مما كان يجب لالتقاء الساكنين: من تحريكها إذا لم يجدوا عليها تطرفاً ولا بالاستراحة إليها تعلقاً^(٢١). ودفعهم هذا الاعتقاد إلى اعتبار صيغة (افعال) قياسية، وصيغة: (افعال) ليست قياسية، والسبب في ذلك قاله

ابن عصفور: "وقد كاد يتسع هذا عندهم، إلا أنه مع ذلك لم يكثر كثرة توجب القياس. قال أبو العباس: "قلت لأبي عثمان: أتقيس على هذا النحو؟ قال: لا، ولا أقبله بل ينقاس ذلك عندي في ضرورة الشعر"^(٢٢). فهذه الصيغة ليست قياسية لديهم؛ لأنها ليست كثيرة، وأنها لا تقبل إلا في ضرورة الشعر.

ويشارك رمضان عبد التواب القدماء في مسألة الضرورة الشعرية، ويختلف معهم في أن السبب لا يعود لمنع النقاء الساكنين، وإنما الميل للتخلص من المقطع الطويل المغلق^(٢٣) (ص ح ح ص) ^(٢٤)، وتشاركه هذه الدراسة بذلك، ولكنها تختلف معهم في أن المسألة لا تقتصر على الضرورة الشعرية؛ بل هي أوسع من ذلك، فهذا أبو حيان يقول في البحر المحيط: "وقرأ السخثياني (ولا الضالين) بإبدال الألف همزة فراراً من النقاء الساكنين"^(٢٥).

إن دراسة البنية المقطعية لصيغة: (أفعال) تشير إلى أن النسيج المقطعي لها، يتألف من: (ص ح ص / ص ح ح ص ١ / ص ٢ ح)، أي من مقطع متوسط الحرف، ومقطع طويل مغلق ومن مقطع قصير^(٢٦)، إضافة إلى أن الحرف ص (الساكن) يماثل الحرف ص (المتحرك).

ويتضمن المقطع الطويل المغلق حركة الفتح الطويلة (وهي ليست حرفاً ساكناً كما أشار القدماء)^(٢٧)، وحكم هذه الفتحة الطويلة في هذا المقطع كما يقرر علماء التجويد مدّ لازم مقداره ست حركات وهو أقصى حالات المد طولاً، ودخول الهمزة معناه: انقسام المقطع الطويل (ص ح ح ص) المغلق إلى مقطعين: (ص ح / ص ح ص)، وهو ما يمثل الانتقال من: (أفعال) إلى: (أفعال) التي يتألف نسيجها المقطعي من: (إف/ع/أل/ل=ص ح ص / ص ح / ص ح ص ١/ص ٢ ح).

لقد حافظت همزة (افعال) على وجودها في بعض الأحيان، إلا أنها ونتيجة لظاهرة الإبدال^(٢٨) في الأصوات، تحولت إلى عين (افعل) في بعض الأحيان، وإلى هاء (افعل) في أحيان أخرى، وفي حالات نادرة تحولت العين الثانية في (افعل) إلى عين (افعل).

فرضيات الدراسة: تتطرق هذه الدراسة من الفرضيات الآتية:

١. إشارة القداء إلى أن صيغة: (افعال) منطوية عن صيغة: (افعال) عن طريق إقحام همزة.
٢. إشارة رمضان عبد التواب ومن بعده إسماعيل عمايرة إلى أن همزة (افعال) قد استمرت في بعض الحالات، وأنها قد تحولت إلى عين في بعض الأوزان وإلى هاء في أوزان أخرى.
٣. أن اللغة العربية لغة اشتقاقية بطبيعتها، ومسألة النحت وإن كانت موجودة فهي على قلة ولا يجوز الاتكاء عليها لتفسير الأوزان الرباعية والخماسية فيها.
٤. إلى جانب الطبيعة الاشتقاقية للعربية، تعود معظم أوزانها إلى جذور ثلاثية التركيب، ويمثل الاشتقاق الأصغر (العام) الأساس لهذه الاشتقاقات.
٥. الطبيعة المرنة للعربية في تبادل الأصوات، وأثر ذلك في أبنية الكلمات والمعاني.
٦. تفترض هذه الدراسة أن إقحام همزة في صيغة: (افعال) لم يكن فقط للضرورة الشعرية كما أشار القداء ووافقهم رمضان عبد التواب وغيره على ذلك.
٧. تفترض هذه الدراسة أن إقحام همزة لم يكن للتخلص من النقاء الساكنين، وإنما للتخلص من المقطع الطويل المغلق في صيغة (افعال).

منهج الدراسة:

أولاً: يتمثل منهج هذه الدراسة في تطبيق صلاحية الفرضيات السابقة على الأوزان، وسيطبق ذلك على معجم: (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس، وسبب اختيار هذا المعجم، أن صاحبه من خلال بحثه في نظرية النحت، قد أفرد أبواباً خاصة للأوزان الرباعية والخماسية.

ثانياً: موازنة المعلومات الواردة في معجم مقاييس اللغة مع تلك الواردة في معجم: (لسان العرب) لابن منظور، وسبب اختيار هذا المعجم يعود إلى ما يأتي:

١. بعد المسافة الزمنية بين المعجمين.
 ٢. تضمن هذا المعجم معلومات وافرة حول الكثير من هذه الأوزان.
 ٣. تضمن هذه المعجم العديد من آراء العلماء حول العديد من القضايا ذات العلاقة بهذا الموضوع.
- ثالثاً: من المؤكد أن الدراسة لن تكفي بما ورد في المعجمين، ولكن ستعمل على الإفادة من أية معلومات توفرها المصادر الأخرى قديمة كانت أم حديثة.
- رابعاً: سيعتمد هذا البحث على الظواهر الصوتية التي لعبت أدواراً متعددة في تشكيل هذه الأوزان، وقد تنبه العلماء إلى بعضها، ولم ينتبهوا إلى بعضها الآخر، فخفيت عليهم بعض المعاني أحياناً، وقادتهم إلى نتائج غير دقيقة.

خامساً: من المفيد هنا تأكيد أن الباحث سعى في منهج هذا البحث - حين يتطلب الأمر ذلك - إلى نقل كم من المعلومات، خاصة من معجم لسان العرب، فطبيعة البحث تتطلب ذلك لتسهيل عقد المفاضلة، والموازنة بين الكلمات، والتحويلات التي طرأت عليها، لتقديم البراهين الكافية، التي من شأنها أن تقدم العون المفيد لفرضيات هذا البحث ونتائجه.

الدراسة

أولاً: ما جاء في مقاييس اللغة على صيغة: (افعال > افعال):

بينت مقدمة الدراسة أن الهمزة المقحمة في صيغة (افعال) - أي (افعال) - جاءت للتخلص من المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص)، وتضمن معجم مقاييس اللغة طائفة من هذه الأوزان، هي:

جذأر:

مقاييس (٥١١/١): "ومن ذلك قولهم للقاعد (مُجذَّر) فهذا من جذأ: إذا قعد على أطراف قدميه. ومن الذئر وهو الغضبان الناشز. فالكلمة منحوتة من كلمتين".

اللسان: (١٢٣/٤ - ١٢٤): " (جَذَر) الشيء يَجْزِرُه جَذراً: قطعه واستأصله. و (جَذَر) كل شيء أصله. وناقاة (مُجذَّرة): قصيرة جداً. وفيه (١٢٤/٤): " (المجذَّر) من النبات: الذي نَبَتَ ولم يَطُلْ".

التعليق: عدَّ ابن فارس الكلمة منحوتة. ولم يشر اللسان إلى وجود علاقة بين (جَذَر) و (جذأر). ولكن العلاقة بين معاني: (جَذَر) و (اجذأر) واضحة.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

(جَذَر) < (اجذأر) < (اجذأر) < جذأر.

وتوهم بعضهم أن الهمزة أصلية في: (جَذَر) (٢٩) ووزنوها على: (فعل)، واعتقد ابن فارس أنها منحوتة، والصواب أن الكلمة مشتقة، وأن الهمزة زائدة، فتوزن الكلمة على: (فعل).

أزْرَامَ > زَرَامَ:

مقاييس (٥٤/٣): " (أزْرَامَ) الرجل، فهو (مزرَّامٌ): إذا غضب. وهو من: (زَرِمَ): إذا انقطع، كذلك إذا غضب تغير خلقه وانقطع عما عهد منه".

التعليق: الهمزة كما أشار ابن فارس زائدة. والعلاقة بين الكلمتين واضحة.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

(زَرِمَ) < (أزْرَامَ) < أزْرَامٌ.

ولقد توهم بعض العلماء أن الهمزة في (أزْرَامَ) أصلية فوزنوها على (افعلل)، والصواب أن الهمزة مقحمة على صيغة (افعال)، فهي زائدة، وتوزن على: (افعال).

اصمَالُ:

مقاييس (٣٦١/٣): " (المُصْمَلَةُ): الداهية، والأصل (صَمَلٌ)". وفيه: (٣١١/٣): (صَمَلٌ)، الصاد واللام والميم أصل واحد يدل على شدة وصلابة. يقال: (صَمَل) الشيء صمولاً: إذ صلب واشتد".

والتعليق: الهمزة في هذه الكلمة، وكما أشار ابن فارس زائدة. والعلاقة بين: (صَمَلٌ) (ومُصْمَلٌ) واضحة.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

(صَمَلٌ) < (اصمَالٌ) < اصمَالٌ.

ولعدم توافر صيغة: (اصمَالٌ) توهم بعض العلماء أن الهمزة أصلية في: (المصمثلة)، فوزنوها على (فعلل). والصواب أن الهمزة مقحمة في هذه الكلمة وهي منحدره من صيغة: (افعال)، فالهمزة كما أشار ابن فارس زائدة.

اضفاد:

مقاييس (٣/٤٠٢): "(اضفاد) إذا انتفخ من الغضب، اضفداداً". وهو من الموضوع وضعاً.

اللسان (٣/٢٦٤): "(ضفد) ضفدته أضفده ضفداً: ضربته ببطن كفك، وامرأة (ضفندد): ضخمة الخاصرة مسترخية. ورجل (ضفندد): كثير اللحم ثقيل مع حمق؛ و (ضفد) و اضفاداً: صار كذلك، وجعل ابن جني (اضفاد) رباعياً.

التعليق: عدّ ابن فارس هذه الكلمة من الباب الثالث، أي من الموضوع وضعاً. وتتفق الدراسة مع عبد التواب في أن الهمزة زائدة في هذا الوزن، وتعود الكلمة إلى الجذر: (ضفد) (٣٠).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لها، هو:

(ضفد) < (اضفاد) < (اضفاداً).

ولعدم وجود صيغة (اضفاد) في الاستخدام اللغوي، توهم العلماء ومنهم ابن جني (٣١) أن الهمزة أصلية في هذه الكلمة فوزنوها على (افعل)، والصواب أن الهمزة فيها زائدة، وتوزن الكلمة على: (افعال).

اطمان:

مقاييس (٣/٤٢٢): "(طمن) الطاء والميم والنون أصيل بزيادة همزة. يقال اطمان المكان يطمئن طمانينة، و (طامنت) منه: سكنت".

التعليق: عدّ ابن فارس -وبصواب- الهمزة زائدة في هذا الوزن، وأشار الأزهرى إلى ذلك أيضاً (٣٢). وذهب سيبويه إلى أن اطمان مقلوب، وأن أصله من (طامن) (٣٣).

وعلى الرغم من أن الاستعمال الثلاثي لهذا الوزن غير موجود في العربية إلا أن ذلك لا يمنع من استعماله في مرحلة من مراحلها المبكرة، وأن الفعل: "طمأن" بُني بناءً ثانوياً حديثاً في اللغة العربية وكذلك مقلوبه: "طمأن". إذ إن الاستعمال الثلاثي لهذا الفعل موجود في: السريانية: (طَمَنَ) ^(٣٤)، وكذلك في العبرية: (طامن) ^(٣٥): بمعنى سَكَنَ، وخفي واستقر ^(٣٦).

ثانياً: ما جاء في مقاييس اللغة على صيغة: (افعل) عن طريق إبدال همزة أفعالٍ إلى عين.

إن تلمس الأصل في بعض الكلمات يتم ببسر وسهولة، أما في كلمات أخرى فهو يحتاج إلى نوع من التلطف والجهد للمس هذا الأصل، ومن ذلك تحول الهمزة في: (افعال) إلى عين في: (افعل). وقد أدرك علماء العربية القدماء حدوث التبادل بين الهمزة والعين، وأشاروا إليه في العديد من الأمثلة، فذكر صاحب اللسان: قال ذو الرمة:

أَعْن تَرَسَّمتَ من خَرَقَاءَ مَنْزِلَةً ماء الصبابة من عينيك مسجوم.
أراد: أن تَرَسَّمتَ، وقال جران العود:
فما أَبَنَ حتى قُلْنَ بِالْبَيْتِ عَنَّا ترابٌ وَعَنَّ الأَرْضَ بالناسِ تُخَسَفُ
أراد: أننا، وأن.

وينقل عن الفراء نسبتها إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم: "يقولون: "أشهد عنك رسول الله"، وفي حديث قيلة: "تحسب عني نائمة، أي أني نائمة" ^(٣٧). وما زالت هذه الظاهرة منتشرة في اللهجات العربية الحديثة، وتسمع في أنحاء مختلفة من العالم العربي، ففي صعيد مصر، وبعض المناطق في غور الأردن، وبعض مناطق الضفة الغربية من الأردن، يقولون: "لع بدلاً من لأ"، وسُعال بدلاً من سؤال ^(٣٨).

ولم تقتصر هذه الظاهرة على العربية وحدها، بل شاركها في ذلك العديد من اللغات السامية الأخرى، ففي الكنعانية، (ن أم) تتساوى مع (ن ع م) بمعنى نَعَم^(٣٩). وفي العبرية: (جأل) و(جعل) بمعنى دنس ولوث^(٤٠). وتتشابه كلمة (أروس) العبرية مع كلمة (عروس) العربية^(٤١). وتعاذل كلمة: (قَرءا) السريانية كلمة (قَرغ) العربية وهي نوع من اليقطين، وكذلك كلمة (أمبرا) تعادل كلمة (عنبر)^(٤٢)، وفي الحبشية تتقابل كلمة: (ع و ب ال) مع كلمة: (أ و ب ال) بمعنى تلة^(٤٣).

صوتياً يقصد بهذا الإبدال التسهيل في نطق الهمزة، وزيادة الوضوح السمعي، فالهمزة صوت فموي، وشديد، وليس بالمهموس ولا بالمجهور^(٤٤)، ويخرج من الحنجرة، وعملية نطق هذا الصوت تكون عملية شاقة، إذ تقفل الفتحة التي بين الوترين الصوتيين - هي فتحة المزمار - إقفالاً تاماً، مما يؤدي إلى احتباس الهواء الصادر من الرئتين، من خلال القصبة الهوائية، فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج هذان الوتران، فيخرج الهواء عبر المزمار بشكل مفاجئ، محدثاً صوتاً انفجارياً^(٤٥).

أما صوت العين فهو صوت، حلقى، واحتكاكي، ومجهور. ويعد من أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكاً، ولعل هذا هو السبب الذي دفع بعلماء العربية القدماء إلى عدم ذكره مع الأصوات الرخوة وعدّوه من الأصوات المتوسطة (اللام، والميم، والنون، والراء)^(٤٦). ويتشابه الصوت مع الحركات في صفتين مميزتين، هما، الوضوح السمعي، والجهر^(٤٧). ويقول الأزهري عن هذا الصوت: " أما العين فأنصع الحروف جرساً وألذها إسماعاً"^(٤٨). وقد تضمن معجم مقاييس اللغة العديد من الأمثلة التي تبين انتقال همزة: (افعل) إلى عين (افعل).

جَلَعَد:

مقاييس (٥٠٩/١): " ومن ذلك قولهم للصلب الشديد (جَلَعَد) فالعين زائدة، وهو من الجلد، وممكن أن يكون منحوتاً من الجَلَع أيضاً، وهو النُّروز؛ لأنه إذا كان مكاناً صُلْباً فهو بارز؛ لقلَّة النبات به" (٤٩).

التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة من الباب الثاني، واعتبر أن العين زائدة، ثم وضع احتمالاً بأن تكون الكلمة منحوتة من: (الجلد) و(الجلع). التشابه في المعنى بين (جلد) و(جلعد) واضح.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

(جَلَد) < (اجلاد) < (اجلاد).

ولعدم وجود كلمة (اجلاد)، ظن بعض العلماء أن العين أصلية في (جلعد) فوزنوها على (فعلل). والصواب أن العين مبدلة من الهمزة المقحمة على صيغة (افعال)، وهي زائدة، فتوزن الكلمة على (فعلل).

جمعر:

مقاييس (٥٠٧/١): " ومن ذلك قولهم للأرض الغليظة (جَمَعْرَة). فهذا من الجَمْع ومن الجَمْر. غير أن ابن فارس (٥٠٨/١) يعود ثانية إلى هذه المادة فيذكر: " ومنها قولهم للأرض ذات الحجارة: (جَمَعْرَة). وهذا من الجَمَرَات، وقد قلنا إن أصلها من تجمُّع الحجارة، ومن (المعر) وهو الأرض، لا نبات به".

التعليق: عد ابن فارس (جَمَعْر) من باب النحت، وكان متردداً في الكلمة، فأعادها مرة إلى: (الجَمْع) و(الجمر)، ومرة إلى: (الجَمْر) و(المعر). ويؤكد السامرائي أن هذه المادة منحوتة، ويشير إلى كلمة (جمعر) العامية وإلى وجود قلب مكاني في المادة العامية (٤٠).

الكلمة هنا ليست منحوتة، وإنما مشتقة من الجذر: (جَمَرَ)، والعين فيها زائدة. والتشابه في المعاني بين الجذر: (جَمَرَ) و(جَمَعَرَ) واضح، وهو الجمع، والتَّجْمَعُ^(٥١).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة هو:

جَمَرَ < (اجماراً) < (اجمأراً) < (اجمعراً).

وتوهم العلماء أن مادة(جمعر) رباعية وأعادوها للوزن(فعلل)، ولكن الكلمة مشتقة من الجذر(جَمَرَ)، والعين فيها متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة: (افعالاً)، فوزن الكلمة، هو: (فعلل)(وانظر لاحقاً، كلمة جمهر، ص ١٣٩ من هذا البحث، إذ يتبين أن: جمهر مشتقة من الجذر جمر أيضاً).

ادرعفت:

مقاييس (٢): "ومن هذا الباب(ادرعفت) الإبل، إذا مضت على وجوها. ويقال (اندرعفت) بالذال، والكلمتان صحيحتان: فأما الدال فمن الاندراع، وأما الذال فمن الذريع، والفاء فيهما جميعاً زائدة".

التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة من المزيد، والحرف الزائد هو الفاء، وأعاد(اندرعفت)إلى: (الذريع)، وأعاد (ادرعفت) إلى: (الاندراع)، وسأوى صاحب اللسان بين الكلمتين: "(ادرعفت الإبلُ واندرعفت): مضت على وجوها، وقيل المُذْرَعِفُ السريع، فلم يُخصَّ به شيء"^(٥٢). ولكن التمعن في المعاني بين: (درف، وذرف، وادرعف، واندرعف) يوضح أن لا وجود للجذر: (درف) في اللسان، وأن المعاني المرتبطة بالجذر(درف) "الذرف: صبُّ الدَّمع. و(مذارف) العين: مَدَامِعُهَا"^(٥٣) لا تشير إلى وجود علاقة بينه وبين الكلمتين: (ادرعفت) و(اندرعفت)^(٥٤)، وعند النظر في معاني الجذر: (زرف): "زرف إليه يزرفُ زُرُوفاً: دنا. ناقة (زروف) و(مزراف): سريعة. ومشتَّ الناقة زَريفاً أي على

هِنَتِهَا، وَزَرَقَتِ النَّاقَةَ: أي أسرعت^(٥٥)، يؤكد وجود علاقة بينه وبين تلك المعانِي الموجودة في (ادْرَعَفَ) أو (ادْرَعَفَ)، وهذا يدفع للاعتقاد بأن الذال مبدلة من الزاي والذال من الذال^(٥٦)، والعين زائدة.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي للكلمة:

(زَرَفَ) < (ازرافاً) < (ادرافاً) < (ادرافاً).

ولعدم وجود: (ادرافاً) توهم العلماء أن الكلمة مشتقة (ذرعف، أو ذرعف) فوزنوها على: (فعلل). ولم يصب ابن فارس في موقع الزيادة، فالعين هي الزائدة وليس الفاء. والذال مبدلة من الزاي^(٥٧). فالكلمة مشتقة من الجذر (زرف) وتوزن على (فعلل).

صقَب:

مقاييس (٣/٣٥٢): "(الصقَّعِب): الطَّوِيلُ من الرجال، فهذا منحوت من كلمتين من صَقَبَ وصَعَبَ. أما الصَّقَّبُ فالطَّوِيلُ والصَّعْبُ من الصعوبة".

(صقَب، وصعب) التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة من باب النحت، وأعادها إلى الجذرين). وساوى صاحب اللسان بين (صَقَّعِب) و(سَقَّعِب): "(الصقَّعِب): الطَّوِيلُ من الرجال، بالصاد والسين، وهو في الصحاح: الطَّوِيلُ مطلقاً، وعد ابن الأعرابي، وبصواب، السين هي الأصل "وصقَّوبُ الإبل: أرجلها، لغة في سقَّوبها؛ قال: وأرى ذلك لِمَكَانِ القاف، وضعوا مكان السين صاداً، لأنها أفشى من السين، وهي موافقة للقاف في الإطباق^(٥٨). الكلمة ليست منحوتة، وإنما مشتقة من الجذر: (سَقَّعِب) والصاد مبدلة من السين، والعين فيها زائدة، والتشابه في المعنى بين (سَقَّعِب) و(سَقَّعِب، وصقَّعِب) واضح.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَقَب < صَقَب < (اصقَاب) < (اصقَاب = اسقَاب) < اصقَعَب = اسقَعَب.

ومن مادة (اسقَعَب = اصقَعَب) توهم بعض العلماء وجود مادة (سَقَب = صَقَب) وعلى وزن (فعلل)، والصواب هو أن الصاد مبدلة من السين، وأن العين في هذه الكلمة مبدلة من الهمزة المقحمة في صيغة (افعال)، وأن المادة مشتقة من صيغة (افعل > افعل > افعال) ووزن (سَقَب = صَقَب) هو: (فعل).

صَقَل:

مقاييس (٣/٣٥٢): "الصَقَل": وهو التمر اليابس وهذا من الصَقَل، والعين فيه زائدة وذلك أنه إذا يبس صار كالشيء الصَقِيل "٥٩".

التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة مما دخلته زيادة، وأشار بصواب إلى أن العين زائدة. والأصل بالصاد كما أشار إلى ذلك الأزهرى (٦٠). والتشابه في المعنى بين: (صَقَب) و(صَقَب) واضح.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

(صَقَل) < (اصقَال) < (اصقَال) < (اصقَعَل) < صَقَعَل.

ومن مادة صَقَعَل ظن بعض العلماء أن العين في أصل الكلمة، فوزنوها على: (فعلل)، والصواب أن العين زائدة، وهي متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة: (افعال)، فتوزن الكلمة على: (فعل).

اصمَعَد:

مقاييس (٣/٣٥٠): "اصمَعَد" الرجل: ذهب في الأرض وهذا مما زيدت فيه الميم وإنما هو من أصعد في الأرض.

التعليق:

أولاً: عد ابن فارس هذه الكلمة من الباب الثاني أي مما دخلته زيادة، وأشار هو وغيره إلى أن الزيادة في حرف الميم^(١١).

ثانياً: أشار صاحب اللسان، إلى وجود علاقة بين (اصمعداً) و(اصمغداً): " رجل (صمعد) و(صمغداً): صلب، والغين لغة، و(المصمعداً): الذاهب". و(اصمغداً) في الأرض: ذهب فيها وأمعن. و(المصمعداً): الوارم إما من شحم وإما من مرض. وفي الحديث: أصبح وقد اصمعدت قدماء: أي انتفختا وورمتا^(١٢).

ثالثاً: أشار صاحب اللسان إلى وجود علاقة بين (اسمعداً) و(اسمغداً): (اسمعداً) الرجل و(اسمغداً): إذا امتلأ غضباً. و(السمغداً): الطويل، و(المسمغداً): المنتفخ، وقيل الوارم، والشديد القيض حتى تنتفخ الأنامل. وفي الحديث: أنه صلى حتى اسمغدت رجلاه: أي تورمتا وانتفختا^(١٣).

رابعاً: التحليل السابق يؤكد وجود علاقة بين (اسمعداً، واسمغداً) و(اصمعداً واصمغداً).

خامساً: يشير اللسان إلى وجود علاقة بين: (سمداً) و(اسماداً) و(اسماداً): "و(المسمنداً): الوارم. و(اسماداً) بالهمز، اسمنداداً: ورم؛ وقيل ورم غضباً. وفي حديث بعضهم: (اسمادت) أي انتفخت وورمت. وكل شيء هلك أو ذهب، فقد (اسمد) و(اسماداً)، و(اسماداً) من الغضب كذلك"^(١٤).

سادساً: الدراسة التحليلية السابقة، تقضي إلى وجود علاقة بين: (سمداً) و(اسماداً) و(اسماداً) و(اسمعداً، واسمغداً) و(اصمعداً واصمغداً). ويستنتج من ذلك، أن الصاد مبدلة من السين، والصاد هي النظير المفخم للسين، والإبدال بينهما

أمر معروف في اللغة العربية واللغات السامية^(١٥)، والغين مبدلة من العين (حول الإبدال بين العين والغين، انظر لاحقاً ص ١٣٦، ١٣٧ من هذا البحث).

التحليل: التطور التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَمَد < اسْمَاد < اسْمَاد < اسْمَعَد < اسْمَعَد < اصْمَعَد < اصْمَعَد.

لقد توهم العلماء بزيادة الميم في هذا الوزن، فأعادوا الكلمة إلى صيغة (فعل)، والصواب أن العين متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة: (افعال) < افعال) ووزن الكلمة هو (فعل)، والصاد مبدلة من السين، وهذا المثال يتضمن الحلقات التاريخية المختلفة لتطور الجذر (سمد)، ويؤكد صورة جديدة لتحويلات همزة: (افعال) وهي تحول العين إلى غين (انظر لاحقاً: ص ١٣٦، ١٣٧ من هذا البحث).

صمعر:

مقاييس (٣/٣٥١): " (الصمعر)، وهو ما غلظ من الأرض. و (الصمعرية) من الحيات الخبيثة. و (الصمعي): اللئيم. وقياس هؤلاء الكلمات واحد، وهي منحوتة من صمَر ومَعَر. أمَّا صمَر فاشتد، وأمَّا مَعَر فقل نبتة وخيره.

التعليق: أولاً: عد ابن فارس هذه الكلمة منحوتة، وأعادها إلى الجذرين: (صمَر) و (مَعَر). وعد صاحب اللسان هذه الكلمة رباعية^(١٦).

ثانياً: هناك صعوبة في إيجاد علاقة بين الجذر: (صمَر) و (اصمعر)، " (صمَر) يَصْمُرُ صَمْرًا وَصُمُورًا: بَخِلَ. وَرَجُلٌ (صَمِيرٌ): يَابِسَ اللَّحْمُ عَلَى الْعِظَامِ " ^(١٧).

ثالثاً: يشير صاحب اللسان إلى وجود علاقة بين (صمَر) و (صمَر): (الصمَر): الصبر، أخذ الشيء بأصماره: أي بأصباره، وقيل هو على البذل. وملاً الكأس إلى أصمارها: أي إلى أعاليها كأصبارها، واحدها صُمِر وصُبِر ^(١٨).

رابعاً: إن السبّح في الجذر (صَبَر): (٤/٤٤١): "و(الصَّبْر): الأرض ذات الحصباء، وليست بغليظة، ومنه قيل للحرّة: أم صَبَّار. ابن سيّدة: وأمُّ صَبَّار، بتشديد الباء، الحرّة، مشتق من (الصَّبْر) التي هي: الأرض ذات الحصباء، و(الصَّبْرَة) من الحجارة: ما اشْتَدَّ وغلظ، وجمعها (الصَّبَّار) (٦٩)..."، يؤكد العلاقة بينه وبين كلمة: (صمعر) (٧٠).

خامساً: الإبدال بين الباء والميم أمر معروف في اللغة العربية واللغات السامية (٧١).

التحليل: التطور التاريخي لهذه الكلمة، هو.

صَبْر < صَمَر < (اصنمار) < (اصنمار) < اصنمعر.

ولعدم وجود كلمة (اصنمار)، توهم بعض العلماء أن العين في: (صمعر) أصلية وبنوها على (فعل)، والصواب أن العين هنا متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة (افعال) < (افعال)، ووزن الكلمة هو: (فعل < افعل).

ثالثاً: ما جاء في مقاييس اللغة على وزن (افعل).

الانتقال من العين إلى الغين.

لقد أشار بعض علماء العربية المحدثين إلى أن الهمزة المقحمة في صيغة (افعال) قد تتحول إلى عين كما في (افعل)، وقد تتحول إلى هاء كما في (افعل). ولكن لم يتنبهوا إلى أن العين الثانية في (افعل) قد تتحول إلى غين في بعض الأحيان أي (افعل). وتتبع هذه الصيغة في معجمي مقاييس اللغة ولسان العرب قد أفضى إلى ترسيخ حدوث هذا الإبدال. ولقد تحدث علماء العربية عن هذا النوع من الإبدال، ومن ذلك: غلّت طعامه وعلّته؛ سمعت وواهم ووعاهم (٧٢).

ولكن ما يلفت النظر في اللغات السامية أن التحول الذي حدث فيها بين هذين الصوتين يشير إلى اتجاه مطلق في التحول من الغين إلى العين، كما في: الكنعانية، والآرامية ولهجاتها، والعبرية، والمؤابية، والأثيوبية، والجعزية^(٧٣)، بينما يشير تاريخ العربية إلى أنها حافظت وما تزال على هذين الصوتين، فلم تتخل عن أحدهما لحساب الآخر. والمرجح فيما سيدرس من أمثلة أن الانتقال كان من العين إلى الغين وليس العكس كما حدث في اللغات السامية الأخرى.

والدراسة الصوتية للبنية التركيبية لأصوات الهمزة والعين والغين تشير إلى أن الغين صوت احتكاكي، ومجهور، ويتم نطقه برفع مؤخرة اللسان حتى يتصل بالطبق (أقصى الحنك = الحنك الصلب) اتصالاً لا يسمح للهواء بالمرور، فيحنك باللسان والطبق في نقطة تلاقيهما، وفي الوقت نفسه يرتفع الطباق، ليسد المجرى الأنفي، وتتذبذب الأوتار الصوتية أثناء النطق بهذا الصوت^(٧٤)، وهو يتشابه مع صوت العين من حيث الاحتكاك، والجهر، ولكنه يمثل انتقالاً من منطقة الحلق (صوت العين) إلى الأعلى أي أقصى الحنك^(٧٥). وربما تكون هذه الصفة الوحيدة التي تسوغ هذا الانتقال. وقد يتضح الأمر أكثر عند دراسة الأمثلة المتعلقة بهذا الموضوع.

المُسمَغِد:

مقاييس (١٦٢/٣): "المُسمَغِد": "الوارم".

التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة من الكلمات الموضوعية وضعاً. وذكر صاحب اللسان^(٧٦): "اسمَعَدَّ الرجل و(اسمَغَد): إذا امتلأ من الغضب"، ولم يشر إلى علاقة بين الجذر: (سَمَد) و(اسمَعَدَّ)، ولم يشر أحد إلى العلاقة بينهما وبين (اسمَأَدَّ) (انظر سابقاً، ص ١٣٤ من هذا البحث).

التحليل: التطور الصرفي لهذا الوزن هو:

سَمَدَ < اسماءً > اسمَاءُ < اسمعَدَ > اسمَعَدَ (انظر سابقاً، ص ١٣٤، ولاحقاً ص ٢٠ من هذا البحث).

ولقد توهم العلماء أن العين أصلية في هذا الوزن، فأعادوها إلى الوزن (فعل)، وواقع الحال يشير إلى أن الغين هنا متحولة عن العين المتحولة من همزة (افعال)، وأن وزن الكلمة هو (فعل).

رابعاً: ما جاء في مقاييس اللغة على صيغة (افعل).

إن التبادل بين الهمزة والهاء أمر معروف في العربية، فيقال: "أرقت الماء وهرقته، وأرحت الدابة وهرحتها، وأجيج النار وهججها"^(٧٧). ولم يقتصر هذا الإبدال على العربية وحدها بل شاطرها في ذلك العديد من اللغات السامية الأخرى، ففي المؤابية (أ ر أ ن ي = ه ر أ ن ي) بمعنى أراني^(٧٨)، وفي اللغة العبرية: (هَ جَ جَ أ د أة) تساوي (أ جَ جَ أ د هـ) بمعنى هفعل العبرية مع صيغة افعل العربية^(٧٩). وفي السبئية (هَ ذُ بَ ح) بمعنى أسطورة دينية، خرافة، حديث؛ و(نَاق) تساوي (نهق) بمعنى ناح، وصرخ. وتتساوى صيغة أذبح^(٨٠)، وفي اللحيانية، تتساوى صيغة (هفعل) مع (أفعل)، ومن ذلك: (أودق) = (هودق) بمعنى قدم شيء^(٨١)، وفي السريانية، يقال: (هَيمَن به) بمعنى آمن به^(٨٢).

إن حدوث الإبدال بين هذين الصوتين - أي الهمزة والهاء - أمر ممكن الحدوث، فالهمزة من الأصوات الشاقة. أما الهاء فهي صوت حنجري، واحتكاكي، ومهموس. ويكون الفم أثناء النطق بها في الوضع الصالح لنطق الحركة (كالفتحة مثلاً)، فيمر الهواء من خلال الانفراج الواسع الناتج عن انفراج الوترين الصوتيين في الحنجرة، فيحدث نوع من الاحتكاك، ولا تتذبذب الأوتار

الصوتية أثناء النطق به^(٨٣). فالصوتان من حيث الموقع حنجريان، والانتقال من الهمزة إلى الهاء، يمثل الانتقال من الشدة إلى الرخاوة، ومن انحباس مجرى الهواء وانفراجه فجأة، إلى انفراجه في الهاء، ومن الانتقال من حالة عدم الهمس وعدم الجهر إلى حالة الهمس؛ لأجل التسهيل في نطق الهمزة.

يبقى القول إن علماء العربية القدماء قد أدركوا حدوث هذا الإبدال من خلال العديد من الأمثلة، ولكنهم لم ينتبهوا إلى انتقال همزة: (افعال) إلى الهاء لتتشكل صيغة (افعمل). وتضمن معجم مقاييس اللغة العديد من الأمثلة على حدوث هذه الظاهرة، وذلك مثل:

جَرَهْدٌ:

مقاييس (٥٠٨/١): "ومن ذلك قولهم للذاهب على وجهه (مُجْرَهْدٌ). فهذا من كلمتين: من جَرَدَ أي انجرد فَمَرَّ، ومن جَهَدَ نفسه في مُروره.

التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة من باب النحت، وردّها إلى الجذرين: (جَرَدَ) و(جَهَدَ). ولكن التشابه في المعاني واضح بين (جَرَدَ) و(الجرهد): "الأجرد): الذي يسبق الخيل وينجرد عنها لسرعته"^(٨٤). و: "الجرهدّ) في السير: استمر. و(الجرهدّ) الطريق استمر وامتد؛ و(المُجرهدّ): المسرع في الذهاب. و(الجرهدّ): السيار النشيط"^(٨٥)، ويؤكد أن الهاء زائدة في هذا الوزن.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذا الكلمة، هو:

جَرَدَ < (أجرأد) < أجرهدّ.

ولعدم وجود كلمة (أجرأد) توهم^(٨٦) العلماء أن الهاء أصلية في هذا الوزن فردوها إلى الوزن: (فعل)، والصواب أن الهاء متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة: (افعال < افعل)، ووزن هذه الكلمة هو: (فعمل).

جمهر:

مقاييس (٥٠٦/١): "ومن ذلك قولهم (جُمهور). وهذا من كلمتين من جَمَرَ؛ وقد قلنا إن ذلك يدل على الاجتماع، ووصفنا الجمرات من العرب بما مضى ذكره. والكلمة الأخرى جهر؛ وقد قلنا إن ذلك من العلو. فالجمهور شيء متجمع عال".

التعليق: عدَّ ابن فارس هذه الكلمة من باب النحت، وأعادها إلى الجذرين (جَمَرَ) و(جَهَرَ). وعدَّ السامرائي الهاء مبدلة من الميم المشددة في (جَمَرَ) ^(٨٧). الكلمة ليست منحوتة وإنما مشتقة من الجذر: (جَمَرَ) ^(٨٨). ولم يشر أحد من القدماء، إلى وجود علاقة بين: (جَمَرَ) و(جَمَعَرَ)، انظر ص ١٣٠ من هذا البحث، وإلى أن التطور يجسد فعلاً تحول همزة (افعالاً) إلى عين وإلى هاء.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

جَمَرَ < (اجمأر) < (اجمأر) < (اجمَهَر).

ولقد توهم بعض العلماء ^(٨٩) أن الهاء أصلية في: (جمهر) وردوا الكلمة إلى الوزن: (فعل)، والصواب أن الهاء زائدة، وهي متحولة عن الهمزة المقحمة في صيغة (افعال > افعال)، وتعود الكلمة إلى الوزن: (فعل). (انظر سابقاً: جمعر).

زمهر:

مقاييس (٥٣/٣): "(زمهرت) الكواكب، إذا لمعت. وهذا مما زيدت فيه الميم؛ لأنه من زهر الشيء، إذا أضاء". وفيه (٥٥/٣): "(الزَمَّهَرِير): البرد، يمكن أن يكون وضع وضعاً، وممكن أن يكون مما مضى ذكره، من قولهم ازمهرت الكواكب، وذلك أنه إذا اشتد البرد زهرت إذا [و] أضاءت".

التعليق:

أولاً: عدّ ابن فارس (ازْمَهْرَت) الأولى مما زيد فيها الميم، فأعادها للجزر (زَهَرَ). وعدّ (الزَّمْهَرِير) الثانية من الموضوع وضعاً، أو أن الميم زائدة كما في الأولى.

ثانياً: هناك صعوبة في تقبل وجود علاقة بين الجزر (زَمَرَ): "الزَّمْر) بالمزمار، زَمَرَ يَزْمِر زمراً: غنى في القصب وغيره"^(٩٠) وبين (ازمهرت): "ازمهرت) اليوم ازمهراراً، إذا اشتد برده".

و(الزمهري): هو الذي أعده الله تعالى عذاباً للكفار في الدار الآخرة، و(زَمَهْرَت) عيناه وازْمَهْرَتَا): احمرتا من الغضب. و(المزْمَهْرُ): الشديد الغضب. وعيناه (ازْمَهْرَتَا): احمرتا من الغضب. و(ازمهرت) الكواكب: زَهَرَت ولمعت. و(الازْمَهْرَار) في العين عند الغضب والشدة"^(٩١).

ثالثاً: هناك إشارة في اللسان تقول: " (٣٢٩/٤) ورجل (زمر) كزبر: شديد"^(٩٢)

رابعاً: الملاحظة الثالثة تدفع نحو البحث في الجزر: (زَبَرَ). فمعاني هذا الجزر، هي: " (الزُبْرَة): الشعر المجتمع للفحل والأسد وغيرهما. ورجل (أزبر): عظيم الزُبْرَة. و(الزُبْرَة): كوكب من المنازل على التشبيه بزُبْرَة الأسد. قال ابن كِنَاسَة: من كواكب الأسد الخراتان وهما كوكبان نيران بينهما قدر سوط، وهما كتفا الأسد. وهي كلها ثمانية. و(زَبَرَ) الرجل: انتهره. و(الزَبِير): الشديد من الرجال، والداهية. أبو عمرو: (الزَبِير) من الرجال: الشديد القوي"^(٩٣).

خامساً: يشير صاحب اللسان إلى كلمة (زبار) معتبراً أن الهمزة أصلية فيها، ومن معاني هذه الكلمة: " (ازبار) الرجل: اقشعر. و(ازباراً) الوبر والنبات: طلع ونبت. و(ازباراً) الشعر: انتفش، ويوم (مزبئر): شديد مكروه"^(٩٤).

خامساً: يستنتج مما تقدم أن العلاقة واضحة بين: (زبر) و(ازباراً)، ومن النقطة الثالثة يمكن استنتاج أن الميم في: (ازمهر) مبدلة من الباء^(٩٥)، والهاء مبدلة من الهمزة.

سادساً: ومما تقدم تتضح العلاقة بين: (زبر) و(ازباراً) و(ازمهر).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

زَبَرَ < (ازباراً) < ازباراً < مُزْبِر < مزمهر و زمهرير.

ولقد توهم العلماء^(٩٦) أن الهاء أصلية في (ازمهر) فأعادوها لصيغة (افعل)، والصواب أن الميم مبدلة من الباء، وهذا الإبدال بينهما معروف في العربية والسامية. وأن الهاء مبدلة من الهمزة المقحمة في صيغة: (افعال > افعال)، وأن وزن الكلمة هو (افعل). و زمهرير من: (فعهليل).

سجهر:

مقاييس (١٦٢/٣): (المسجهر): الأبيض."

التعليق: عدّ ابن فارس هذا الوزن من الموضوع وضعاً. ولكن المعاني المشتركة بين (سَجَر) و(سجهر) واضحة، " (سَجَر) التَّنُّور: أوقده وأحماء، وعين سَجْرَاء: بيّنة السَّجَرِ إذا خالط بياضها حمرة، واختلفوا في السَّجَرِ في العين، فقال بعضهم: هي البياض الخفيف في سواد العين"^(٩٧). و(سَجَهَر): (المسجهر): الأبيض. و(اسجهرت) النار اتقدت والتهبت، اسجهرت: توقد حُسناً بألوان الزَّهر"^(٩٨).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَجَرَ < (اسجاراً) < (اسجأراً) < اسجَهَرَّ.

وتوهم بعض العلماء^(٩٩) أن الهاء في: (سَجَهَر) أصلية فأعادوا الكلمة إلى الوزن: (فعلل)، والصواب أن الهاء مبدلة من الهمزة المقحمة على صيغة: (افعال < أفعال) فيكون وزن الكلمة على ذلك، هو: (فعلل).

سَلَب:

مقاييس (١٥٩/٣): "المُسَلَّب) الطويل، والهاء فيه زائدة، والأصل السَلَب، وقد مضى".

التعليق: عدّ ابن فارس هذا الوزن من المزيد، وأشار بصواب إلى أن الهاء زائدة. وأجاز ابن جني زيادة الهاء^(١٠٠).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَلَب < (اسلاب) < اسلاب < اسلَّهَب) انظر أيضاً: ص ٤٤٥ من هذا البحث).

ومن هنا توهم بعض العلماء^(١٠١) أن الهاء أصلية في هذا الوزن فأعادوها للجزر (فعلل)، والصواب أن الهاء زائدة فيكون وزن هذه الكلمة هو (فعلل) وهي مشتقة من الجذر (فعل/سَلَب).

اسمهد (افعال):

مقاييس (١٥٩/٣): "اسمهد السنام، إذا حسن وامتلاً. وهذا منحوت من مهدت الشيء إذا وثرتة....، ومن قولهم سَهْد مَهْد".

التعليق: عدّ ابن فارس الكلمة منحوتة من: (سهد ومهد). ولم يشر اللسان إلى وجود علاقة بين (سمد، واسمهد). الكلمة مشتقة من الجذر: (سَمَد) ويبين هذا الاشتقاق العلاقة الوثيقة بين هذه الكلمة: (واسماد، واسماد، واسمعد، واسمعد،

واصمعدً، واصمغذً)(حول هذه الكلمات، انظر سابقاً: اصمعدً، واصمغذً). ويمثل ذلك صورة متكاملة للسياقات المختلفة للجذر: (سمد).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَمَد < اسْمَاد < اسْمَادُ < اسْمَهْد = اسمعْد = اسْمَغْد < اصمَعْد = اصمَغْد (انظر

سابقاً، ص ١٣٤ من هذا البحث).

ومن صيغة (اسمهْد) اعتقد العلماء^(١٠٢) أن الهاء أصلية في هذا الوزن فأعادوها للوزن (افعلل)، والصواب أن الهاء في هذا الوزن زائدة، فتوزن الكلمة على: (افعلل).

سمهر:

مقاييس (١٥٩/٣): "(السمهرية) الرماح الصلاب، والهاء فيها زائدة، وإنما هي من السُمرة". وفيه (١٦١/٣): "(اسمهْر) الشوك: يبس ويقال للظلام إذا اشتد: اسمهر". وفيه (١٦٢/٣): "(المُسْمَهْر): المعتدل". اللسان: (٣٧٩-٣٧٦/٤) أن وسمرته أيضاً. وفيه (٣٨١/٤).

التعليق: عدّ ابن فارس وبصواب الهاء زائدة في الكلمة الأولى، ولكنه عدّ الثانية موضوعة، وكذلك الثالثة. والتشابه في المعاني واضح بين: (سَمَر) و(السمهري): "(السُمرة): منزلة بين البياض والسواد، و(سَمَر) يَسْمُرُ سُموراً: لم ينم، و(السَمَر): الظلمة، و(السَمَر): الدهر. و(السَمَر): شدك الشيء بالمسمار، وسَمَرَه يَسْمُرُه سَمَراً وسَمَرَه، جميعاً: شدّه، و(المسمار): هو ما شد به الشيء". وامرأة (مَسْمورة): معصوبة الجسد ليست برخوة اللحم، وفي النواذر: رجل (مَسْمور): قليل اللحم شديد أسر العظام والعصب. و(سَمَر) سَهْمه: أرسله. و(المسمار): واحد مسامير الحديد^(١٠٣)، و: "(اسمهْر) الشوك: يبس وصلب. وشوك (مسمهر): يابس. و(اسمهْر) الظلام: تنكّر و(السمهرية): القناة الصلبة^(١٠٤)، و(السمهري): "(السمهري): الرمح الصلب العود. يقال:

وتَر (سَمَهْرِيٌّ) شديد كالسَمَهْرِي من الرماح. و(المُسْمَهْرِيُّ): المعتدل. و(اسْمَهْرًا) الحَبْلُ والأمر: اشتدَّ و(الاسْمَهْرَارُ): الصلابة والشدة^(١٠٥).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي للكلمة .

سَمَر < (اسْمَارًا) < (اسْمَاءً) < اسْمَهْرًا.

ومن صيغة: (اسْمَهْرًا) اعتقد العلماء أن الهاء أصلية في هذا الوزن، ووزنوا الكلمة على: (افعللًا). والصواب أن الهاء زائدة كما أشار ابن فارس والوزن الأصلي لهذه الكلمة هو: (افعللًا).

الصَّهْبُ:

مقاييس (٣/٣٥٢): "(الصَّهْبُ). الرجل الطويل. فهذا له معنيان: الإبدال والزيادة أما الإبدال فالصاد بدل السين وإذا كانت الهاء زائدة فهو من السَّهْبِ، وهو الطويل".

التعليق: عد ابن فارس هذه الكلمة وبصواب من الباب الثاني أي مما دخلته زيادة، وهي حرف الهاء. وأشار - وبصواب أيضاً - إلى أن الصاد مبدلة من السين.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

سَهْب < (اسلابًا) < (اسلابًا) < (اصلهبًا) < صَهْبًا = سَهْبًا.

ومن صيغة: (صَهْبًا) اعتقد العلماء أن الهاء أصلية في هذا الوزن فأعادوها للوزن (فعلل) والصواب كما أشار ابن فارس إلى أن الهاء زائدة، وأن الصاد مبدلة من السين وإبدال الصاد من السين أمر تعرفه العربية، واللغات السامية^(١٠٦).

العزاهيل:

مقاييس (٤/٣٥٧): "العزاهيل) الإبل المهملة، واحدة عزهول" وهذا أيضاً إذا كان صحيحاً، أيضاً فالهاء زائدة، وكأنها أهملت فاعتزلت ومرت حيث شاءت".

التعليق: عدّ ابن فارس وبصواب الهاء زائدة في هذا الوزن.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي له، هو:

عَزَل < (اعزال) < (اعزال) < (اعزهل).

ومن كلمة (عزهل) توهم العلماء^(١٠٧) أن الهاء أصلية في هذا الوزن فأعادوها للوزن (فعلل)، والصواب كما أشار ابن فارس هو أن الهاء زائدة في هذا الوزن، وأن الوزن الأصلي لها هو (فعهل).

العُلب:

مقاييس (٤/٣٥٩-٣٥٨): "العُلب) التيس الطويل القرنين ويوصف به الثور وهذا مما زيدت فيه الهاء وإنما هو من العُلب، والعُلب: النخل الطوال".

التعليق: عدّ ابن فارس هذه الكلمة من المزيد، وأشار بصواب إلى أن الهاء زائدة.

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

علب < (اعلاب) < (اعلاب) < (اعلهب) < علهب.

ومن الوزن: (علهب) اعتقد العلماء أن الهاء أصلية في هذا الجذر^(١٠٨) فأعادوها للجذر (فعلل)، والصواب كما أشار ابن فارس إلى أن الهاء زائدة في هذا الوزن وأن الكلمة تعود للجذر (فعهل).

المُعْهَج:

مقاييس (٤/٣٥٧): "المُعْهَج) الرجل اللئيم. وهذا وإن كان صحيحاً فالهاء فيه زائدة". وفيه (١٢٢/٤) (العلاج): الشديد من الرجال قتالاً وصراعاً".

التعليق: عدّ ابن فارس هذه الكلمة من باب المزيد، وأشار وبنوع من التردد إلى أن الهاء زائدة، ووافق الجوهري على أن الهاء زائدة^(١٠٩).

التحليل: التطور الصرفي التاريخي لهذه الكلمة، هو:

علاج < (اعلاج) < (اعلاج) < (اعلاج) < مُعْهَج.

ومن كلمة: (مُعْهَج) اعتقد العلماء أن الهاء أصلية في هذا الوزن^(١١٠) فأعادوها للوزن: (مفعلل) والصواب أن الهاء زائدة وتعود الكلمة للوزن: (مفعهل) > (فعل).

نتائج البحث

إن التطوع إلى ما أقيم في هذا البحث، واعتماداً على الفرضيات التي أقيم عليها، يمكن تلخيص نتائجه كما يأتي:

١- إن صيغة: (أفعال) متطورة عن صيغة (أفعال) القياسية، للتخلص من المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص)، وهذه الصيغة قياسية، ولا يجوز الحكم على الكثرة لإقرار قياسيةها، وأنها لم تستخدم للضرورة الشعرية فقط، كما أشار معظم القدماء، ووافقهم المحدثون بذلك، ولكنها كانت متسعة لتشتمل جوانب أخرى من اللغة، فهذا أبو حيان يقول في البحر المحيط: "وقرأ السخثياني (والضالين) بإبدال الألف همزة فراراً من النقاء الساكنين".

إضافة إلى ما تقدم (اسمعد=اسمغد)، ومما لم يُشر إليه: (اسمعد=اسمغد=اصمعد=اصمغد=اسمهد).

وردّ ابن فارس (زمهر) و(زمهير) إلى الجذر (زهر)، وتبين من خلال البحث أن الكلمتين: (زَمَهَرَ) و(زَمَهَّرِ) مشتقتان من الجذر (زبر) وأن الميم مبدلة من الباء. ومن ذلك أن كلمة (ادرعف= اذرعف) مشتقة من الجذر (زرف) وليس من (الاندراع) و(الذريع). ومن ذلك ردّ ابن فارس (صمعر) إلى (صمَر) و(مَعَرَ)، وبين البحث أن الميم مبدلة من الباء وأن جذر الكلمة هو (الصَبْر).

٧- فيما افترضه ابن فارس أنه منحوت، أصاب في أحد الجذرين، ومن ذلك: (جمعر) < (الجَمَر) و(الجَمْع)، وأضاف أيضاً (الجَمْع) و(المَعْر)، و(جمهر) من (جَمَرَ) و(جَهَرَ)، والصواب أنهما مشتقتان من الجذر: (جمر). كما تبين من خلال البحث أن بعض ما عدّه منحوتاً لا ينتمي بصلة إلى أي من الجذرين، ومثال ذلك: (جذأر) من (جذا) و(ذئر)، والصواب أنه من: (جذَر)؛ و(صقعب) من (صَقَب) و(صَعَب) والصواب أنه من: (سَقَب). و(صمعر) من (صَمَرَ) و(مَعَرَ) والصواب أنه من (صَبْر). و(اسمهد) من (سَهَد) و(مَهَد) والصواب أنه من (سَمَد).

٨- عدّ ابن فارس العديد من الأوزان مما دخلتها زيادة وقد أشار وبصواب إلى عدد منها: الهمزة في: (ازرأم) و(اصمأل) و(اطمأن)؛ والعين في: (جَلَعَد) و(صَقَعَل)؛ والهاء في: (سلهب) و(سمهر) و(صلهب=سلهب) و(العزاهيل) و(المعلهج). وهناك بعض الأوزان التي أشار إلى وجود زيادة في موضع وأشار في هذه الدراسة إلى موضع آخر، ومن ذلك: الميم في (اصمعد) و(ازمهر) والصواب هو العين.

٩- عدّ بعض الأوزان من الموضوعه وضعا: (اضفأدّ) و(المسمغد) (المسجهر)، وأشير في هذا الدراسة إلى أنها مشتقة.

١٠- التقسيم الشامل للأوزان كما وردت في معجم مقاييس اللغة، من لال موازنتها بنتائج البحث العامة يمكن تلخيصها بالجدول الآتي:

الدراسة	معجم مقاييس اللغة	
	المنحوت	
الهمزة زائدة > جذر	جذا/ذئر	جذأر
الهاء زائدة > جرد	جرّ/جهدّ	جرهدّ
العين زائدة = جمهر (الهاء زائدة > جمهر)	الجمع/الجمر	جمعر
الهاء زائدة = جمهر (العين زائدة > جمهر)	جمرّ/جهرّ	جمهر
اسمهدّ = المسمغد = المسمعد = اصمعد = اصمغد = سمّد	سهد/مهد	سمهد
العين زائدة > سقب	سقبّ/صعبّ	صقعبّ
الميم مبدلة من الباء، والعين زائدة > صبرّ	صمرّ/معرّ	صمعرّ
المزيد		
الهمزة	الهمزة	ازرأمّ
الهمزة	الهمزة	اصمألّ
الهمزة	الهمزة	اطمانّ
العين	العين	جلعد
الذال مبدلة من الزاي والعين زائدة > زرف	انفاء	ادرعف = اذرعف
العين	العين	صقعل
النين زائدة، المسمغد = المسمعد = اصمعد = اصمغد = اسمهد > سمّد	الميم	اصمعدّ

الميم زائدة	الميم مبدلة من الباء والهاء زائدة > زَبَرَ	زمهر
الهاء	الهاء > سمر	سمهر
الهاء زائدة	الهاء زائدة > سلب	سلهب = صلهب
الصاد بدل السين والهاء	الصاد بدل السين والهاء زائدة = سلهب	صلهب = سلهب
الباء زائدة	الباء مبدلة من الزاي والهاء زائدة = عزاهل > عزل	العباهل
الراء زائدة	عراهم = جراهم والهاء زائدة > عرم	عراهم
الهاء زائدة	العزاهل = العباهل > عزل	العزاهيل
الهاء زائدة	الهاء زائدة > علب	العلهب
الهاء زائدة	الهاء زائدة	المعلهب
الموضوع وضعاً		
الهمزة زائدة > ضفد	الهمزة زائدة > ضفد	اضفأد
المسمعد = المسمعد = اصمعد = اصمعد = اسمهد > سمد	المسمعد = المسمعد = اصمعد = اصمعد = اسمهد > سمد	المسمعد
الهاء زائدة > سجر	الهاء زائدة > سجر	المسجر

الهوامش

١. انظر في موضوع النحت، عبد الرحمن جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها. ط٢، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين. طبعة عيسى البابي الحلبي (١٩٥٨).
٢. انظر: عبد التواب، رمضان، فصول في فقه اللغة، ط٢، مكتبة الخانجي: القاهرة (١٩٨٢)، ص٣؛ الصالح، صبحي، دراسات في فقه الله، بيروت (١٩٧٠)، ص٢٤٥؛ ابن جني، أبو الفتح عثمان، التصريف الملوكي، تحقيق: البدر اوي زهران: الشركة العالمية للنشر: القاهرة (٢٠٠١)، ١٢٢ - ١٢٣.
٣. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، بغداد (١٩٦٧)، ج١، ص٦٩.
٤. ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، ط٢، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل: بيروت (١٣٨٩هـ-)، ج١، ص٢٧٠؛ الصاحبى في فقه اللغة، تحقيق: مصطفى الشويمي، القاهرة، (١٩٦٣)، ص٢٧١.
٥. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (انظر هامش ٤)، ج١، ص٣٢٩.
٦. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (انظر هامش ٤)، ج١، ص٥٠٥.
٧. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (انظر هامش ٤)، ج١، ص٣٣٣.
٨. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (انظر هامش ٤)، ج٢، ص٣٣٩.
٩. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (انظر هامش ٤)، ج٢، ص٣.

- ١٠ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (انظر هامش ٤)، ج ٢، ص ١٤٦ .
- ١١ . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (انظر هامش ٤)، ج ١، ص ٣٢٩ .
- ١٢ . الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة (انظر هامش ٢)، ٢٦٦-٢٦٧؛ وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، دار نهضة مصر: القاهرة (١٩٤٥)، ص ١٨٢؛ علي مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق، معهد الدراسات العربية: القاهرة (١٩٥٥)، ص ٨٥-٨٦؛ الزبيدي، كاصد ياسر، فقه اللغة العربية، وزارة التعليم العالي: الموصل (١٩٨٥)، ص ٢٣٦-٢٤٤ .
- ١٣ . عبد التواب، رمضان، فصول في فقه اللغة، (انظر هامش ٢)، ص ٣٠٥-٣٠٦؛ التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي: القاهرة، ص ٩٤-٩٥؛ لحن العامة والتطور اللغوي، دار المعارف: مصر، ص ٥٠-٥٣ .
- ١٤ . عميرة، إسماعيل، دراسات لغوية مقارنة، دار وائل للنشر: عمان (٢٠٠٣)، ص ٢٣٢ .
- ١٥ . السامرائي، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، ط ٣، دار الرسالة، بيروت (١٩٨٣)، ص ١٤٢ .
- ١٦ . السامرائي، إبراهيم، تاريخ العربية، جامعة الموصل: الموصل (١٩٧٧)، ص ١٠٠-١٠١ . وانظر رد عميرة على ذلك، دراسات لغوية مقارنة، (انظر هامش ١٤)، ص ٢٣١-٢٣٣ .
- ١٧ . انظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر: إسماعيل، خالد، فقه لغات العاربة المقارن، مسائل وآراء، مؤسسة روعة للخدمات الأكاديمية: إربد (٢٠٠٠)؛ كمال، ربحي، الإبدال في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة، جامعة بيروت، بيروت (١٩٨٠)؛ العميرة، دراسات لغوية مقارنة (انظر هامش ١٤)؛ اللغوي، أبو الطيب، الإبدال في كلام العرب، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق (١٩٦٠)؛ ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب، القلب والإبدال، تحقيق: حسين محمد شرف وعلي النجدي ناصف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة (١٩٧٨) .

- ١٨ . يصل هذا العدد إلى المئات في معجم مقاييس اللغة، وأكثر من ألفي كلمة في معجم لسان العرب.
- ١٩ . انظر في بعض هذه الطرق لدى: عميرة، دراسات لغوية مقارنة (انظر هامش ١٤)، ص ١٧٣-٢٥٣؛ عبد التواب، فصول في فقه اللغة (انظر هامش ٢)، ص ١٩٣-٢٢٦، ٣٠١-٣٠٧.
- ٢٠ . الأزهرى، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة (١٩٧٠)، ج ١٥، ص ٦٨٢؛ ابن جنى، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ط ٤، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية: العراق: (١٩٩٠)، ج ٣، ص ١٢٦، ١٤٧؛ ابن عصفور، أبو الحسن الإشبيلي، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية: حلب (١٩٧٠)، ج ١، ص ٣٢٠.
- ٢١ . ابن جنى، الخصائص (انظر هامش ٢٠)، ج ٣، ص ١٢٦.
- ٢٢ . ابن جنى، الخصائص (انظر هامش ٢٠)، ج ٢، ص ٥٠-٥١؛ سر صناعة الإعراب، ط ٢ تحقيق: حسن هنداي، دار القلم: شق (١٩٩٣)، ج ١، ص ٧٣؛ ابن عصفور، أبو الحسن الإشبيلي، الممتع في التصريف (انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٢٢.
- ٢٣ . حول البنية المقطعية للغة العربية، انظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية؛ ط ٦، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة (١٩٨٤) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، تونس (١٩٦٦)، ص ١٩١؛ عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي: القاهرة (١٩٨٠)، ص ١٠٣-١٠٤؛ عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة (١٩٧٦)، ص ٢٥٧؛ عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة: بيروت (١٩٨٠)، ص ٣٨-٤٢.
- ٢٤ . انظر إسماعيل عميرة، دراسات لغوية مقارنة (انظر هامش ١٤)، ص ٢٢٨-٢٣٠.
- ٢٥ . الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر: بيروت (١٩٨٣)، ج ١، ص ٣٠. وانظر أيضاً: ابن جنى، التصريف الملوكي (انظر هامش ٢)، ص ٩٢-٩٣، ١٢٠-١٢٢؛ سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج ١، ص ٧٢.

٢٦ . إسماعيل عميرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، ط٣، دار وائل للنشر: عمان (٢٠٠٢)، ص١٤٣؛ دراسات لغوية مقارنة، ص٢٢٦-٢٣٠؛ فلش، هنري، العربية الفصحى، ترجمة: عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية: بيروت (١٩٦٦)، ص٤٤، كانتينو، جان، دروس في أصوات العربية (انظر هامش ٢٣)، ص١٥٢؛

Fischer, W.D., Silbenstrukturen und Vokalismus im Arabischen. In: ZDMG 123:227:237; Noldeke, T. Grammatik des Klassischen Arabisch, Noldeke, T., Zur Grammatik des Klassischen Arabisch (Im Anhang: Die handschriftlichen Ergänzungen in dem handexemplar Theodor Noldeke, bearbeitet und mit Zusätzen versehen von Anton Soitler. Darmstadt, (1896), p.8.

٢٧ . ويقتضي الإنصاف الإشارة إلى أن القدماء قد أدركوا هذا وقالوا به، يقول ابن عصفور، في الممتع في التصريف (انظر هامش ٢٠)، ج١، ص٢٠٨: "الضمة بعض الواو، والكسرة بعض الياء، والفتحة بعض الألف". ولكنهم لم يستخدموا ذلك بشكل حاسم عند تناولهم للمسائل الصوتية والصرفية والنحوية. وما زالت العديد من الدراسات العربية في العصر الحديث لا تفرق بين الهمزة كحرف صامت، وبين الفتحة الطويلة كصوت صائت، ولا مجال هنا للتعرض إلى هذه الدراسات فهي كثيرة.

٢٨ . حول أسباب الإبدال، وعمله، وظواهره، انظر: المغربي، عبد القادر، الاشتقاق والتعريب، لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة (١٩٤٧)، ص١٢؛ ابن جني، الخصائص (انظر هامش ٢٠)، ج٢، ص٨٣-٨٧، أبو الطيب اللغوي، الإبدال (انظر هامش ١٧)؛ ابن السكيت، القلب والإبدال (انظر هامش ١٧).

٢٩ . يشير ابن جني، سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج١، ص١٠٧-١٠٨، أن الهمزة إن كانت وسطاً أو آخر فيجب القضاء أنها أصل حتى تقوم الدلالة على كونه زائدة، فالأصل أن يقال اطمأن، وأزباراً.

٣٠ . عبد التواب، فصول في فقه اللغة (انظر هامش ٢)، ص٢٠٩؛ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق، عبدالله الكبير وآخرين، دار المعارف: القاهرة (د.ت.) ج٤، ص٢٦٤، مادة: (ضَفَدَ).

- ٣١ . ابن منظور، اللسان، (انظر هامش ٣٠)، ج٣، ص٢٦٤.
- ٣٢ . الأزهرى، تهذيب اللغة، (انظر هامش ٢٠)، ج١٣، ص٣٧٧.
- ٣٣ . سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، ط٣، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب: بيروت (١٩٨٣)، ج٤، ص٣٨١، وانظر ابن جنى، الخصائص (انظر هامش ٢٠)، ج٢، ص٧٤.
- ٣٤ . M.H.Goshen-Gottstein, M.H., A Syriac-English Glossary, Wiesbaden: Otto Harrassowitz (1970), P.31.
- ٣٥ . فوجمان، ي، قاموس عبري-عربي، مكتبة المحتسب: عمان (١٩٧٠)، ص٢٩٤.
- ٣٦ . عبد التواب (انظر هامش ٢٠)، فصول في فقه اللغة، ص٢٠٩-٢١٠.
- ٣٧ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج١٣، ص٢٩٥، (٢٩٥/١٣) مادة: (عنن)، وانظر أيضاً: ابن السكيت، القلب والإبدال (انظر هامش ١٧) ص٢٤؛ السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الاقتراح، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد حمد قاسم، القاهرة (١٩٧٦)، ص٨٣، و المزهري، ج١، ص٢٢١؛ الخليل بن أحمد، العين (انظر هامش ٢)، ج١، ص١٤٠.
- ٣٨ . أنيس، الأصوات اللغوية (انظر هامش ٢٣)، ص٩٠، في اللهجات العربية، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة (١٩٩٢)، ص١٨٥؛ هلال، عبد الغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطور، مكتبة وهيب: القاهرة (١٩٩٣)، ص١٦٨-١٧١.
- ٣٩ . Tompack, R.S., A Comparative Semitic of the phonician and punic Languages, Scholars press: Mijonia, Montana (1978), p.217.
- ٤٠ . ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية (انظر هامش ١٧)، ص١١٦،
- ٤١ . ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية (انظر هامش ١٧)، ص١١٦؛ عميرة، دراسات لغوية مقارنة (انظر هامش ١٤)، ص٢٣٧.

٤٢. ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش ١٧)، ص ١١٦؛ وانظر كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض: السعودية(١٩٧٧)، ص ٤٨، ٧٥.

٤٣. عميرة، دراسات لغوية مقارنة(انظر هامش ١٤)، ص ٢٣٧.

٤٤. هذا رأي إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية(انظر هامش ٢٣)، ص ٩٠، وتابعه في ذلك كمال بشر، علم اللغة العام(الأصوات)، دار المعارف:مصر (١٩٨٦)، ص ١١٢، ولم يأخذ عبد الرحمن أيوب، في أصوات اللغة، ط ٢، مطبعة الكيلاني: القاهرة(١٩٦٨)، ص ١٨٣ بهذا الرأي وعدها صوتاً مهموساً؛ وانظر رأي سيبويه في الهمزة، الكتاب(انظر هامش ٣٣)، ج ٤، ص ٤٣٤، إذ عدها من الأصوات المجهورة. وانظر حول ذلك في عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة(انظر هامش ٢٣)، ص ٧٧-٧٨.

٤٥. أنيس، الأصوات اللغوية(انظر هامش ٢٣)، ص ٩٠؛ عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة(انظر هامش ٢٣)، ص ٧٧-٧٨؛ بشر، كمال، علم اللغة العام(انظر هامش ٤٤)، ص ١١٢؛ السعران، محمود، علم اللغة، دار المعارف: القاهرة: (١٩٦٢)، ص ١١٧؛

AL-Ani,S.,Arabic Phonology, Arabic Phonology, Acoustical and Physiological Investigation. Indiana (1979),p.31.

٤٦. بشير سيبويه، الكتاب(انظر هامش ٣٣)، ج ٤، ص ٤٣٥، إلى أن العين صوت متوسط بين الأصوات الرخوة والشديدة.

٤٧. سيبويه، الكتاب(انظر هامش ٣٣)، ج ٤، ص ٤٣٣-٤٣٦؛ كمال بشر، علم اللغة العام (انظر هامش ٤٤)، ص ١٢٢، ١٣١؛ الزبيدي، فقه اللغة العربية(انظر هامش ١٢)، ص ٤٤٩-٤٥٠. AL-Ani, Arabic Phonology, (see note 45), p. 62-63.

٤٨. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، شركة الكتاب اللبناني: بيروت(١٩٦٨)، ج ١ ص ٤٨.

٤٩. وازن ذلك بما ورد عند ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج ٣، ص ١٢٥، ١٢٨.

٥٠. إبراهيم السامرائي، الفعل وزمانه(انظر هامش ١٥)، ص ١٤١.

- ٥١ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج٤، ص١٤٤-١٤٦، ١٤٨، مادة: (جَمَرَ).
- ٥٢ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج٩، ص١٠٣؛ ابن السكيت، القلب والإبدال (انظر هامش ١٧)، ص١٤٠.
- ٥٣ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج٩، ص١٠٩، مادة: (ذَرَفَ).
- ٥٤ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج٩، ص١٠٣.
- ٥٥ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج٩، ص١٣٣، مادة: (زرف).
- ٥٦ . حول إبدال الدال والذال، ابن السكيت، القلب والإبدال (انظر هامش ١٧)، ص١٤٠.
- ٥٧ . حول إبدال الذال والزاي، ابن السكيت، القلب والإبدال (هامش ١٧)، ص١٤١ (ذرق، زرق)؛ ص١٤١ (ذبر، زبر)؛ وفي اللغات السامية، ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية (انظر هامش ١٧)، ص١٢٧.
- ٥٨ . صوت الصاد كما يشير العلماء هو النظير المفخم لصوت السين، والانتقال من الترفيق إلى التفخيم بتأثير تقدمي من صوت القاف. والإبدال بين السين والصاد أمر معروف في العربية. انظر: سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج١، ص٢١٢. وفي اللغات السامية، انظر: ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية (انظر هامش ١٧)، ص١٣٤.
- ٥٩ . وانظر أيضاً، ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج١١، ص٣٨٠-٣٨١، مادة (صَقَل).
- ٦٠ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج١١، ص٣٨٠.
- ٦١ . ابن منظور، اللسان، ج٢، ص٢٥٩-٢٦٠.
- ٦٢ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج٣، ص٢٢٠، مادة (صمعد).
- ٦٣ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج٣، ص٢٢٠، مادة (صمعد).
- ٦٤ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج٣، ص٢٢٠، مادة (صمد).

- ٦٥ . انظر: سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج ١، ص ٢١٢؛ ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ١١، ص ٣٨٠-٣٨١، مادة: (صَلَّ)؛ وفي اللغات السامية، انظر: ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية (انظر هامش ١٧)، ص ١٣٤.
- ٦٦ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٤٦٨.
- ٦٧ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٤٦٦.
- ٦٨ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٤٦٨.
- ٦٩ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٤٤١.
- ٧٠ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٤٦٦.
- ٧١ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٤٤٢، مادة: صَبْرَ: (الصمر): الصبر، أخذ الشيء بأصباره أي بأصباره حول ذلك انظر، ابن السكيت، القلب والإبدال (انظر هامش ١٧)، ٧٤، ٧٦؛ ابن عصفور، الممتع في التصريف (انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٣؛ ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية (انظر هامش ١٧)، ص ١١٩.
- ٧٢ . ابن السكيت، الإبدال (انظر هامش ١٧)، ص ١١-١١٢.
- ٧٣ . عباينة، يحيى، اللغة الكنعانية، دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية، دار مجدلاوي: عمان (٢٠٠٣)، ص ١٥٥-١٥٦.
- ٧٤ . سسيويه، الكتاب (انظر هامش ٣٣)، ج ٤، ص ٤٢٣-٤٢٤؛ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة (انظر هامش ٢٣)، ص ٧١.
- ٧٥ . الشايب، فوزي، محاضرات في الألسنية، وزارة الثقافة: عمان (١٩٩٩)، ص ١٩٢-١٩٣؛ كمال بشر، علم اللغة العام (انظر هامش ٤٤)، ص ١٢١.
- ٧٦ . ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٣، ص ٢٢٠.

٧٧. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية (انظر هامش ٣٨)، ص ١٨٤؛ أبو الطيب اللغوي، الإبدال (انظر هامش ١٧)، ج ٢، ص ٥٦٩؛ ابن السكيت، القلب والإبدال (انظر هامش ١٧)، ص ٢٥-٢٩؛ ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب: بيروت (د.ت) ج ١٠، ص ٥؛ ابن جنبي، التصريف الملوكي (انظر هامش ٢)، ١٥٦-١٥٧؛ وحول مواقع زيادة الهاء وإبدالها، انظر ابن جنبي، سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج ٢، ص ٥٥١-٥٥٤؛ ابن عصفور، الممتع في التصريف (انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٧-٤٠٠.

٧٨. عباينة، يحيى، اللغة المؤابية في نقش ميشع، جامعة مؤتة: الأردن (٢٠٠٠)، ص ٤٠.

٧٩. يحيى عباينة، اللغة المؤابية (انظر هامش ٧٨)، ص ٤٢؛ ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية (انظر هامش ١٧)، ١١٣.

٨٠. عميرة، دراسات لغوية مقارنة (انظر هامش ١٤)، ص ١٦٦؛ لمزيد من المعلومات حول صيغة: (هفعل-صيغة أفعال في العربية) في السبئية انظر: A.F. L.Beeston, A.F.L., Sabaic Grammer, Louvain: University of Manchester (1984) P.12-13.

٨١. Werner Caskel, Lihyan und Lihyanisch, (Arbeitsgemeinschaft für Forschung des Landes Nordrhein- Westfalen, (1957) nos.19,87.

٨٢. ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية (انظر هامش ١٧)، ص ١١٤.

٨٣. الخليل بن أحمد، العين (انظر هامش ٣)، ج ١، ص ٦١، سيبويه، الكتاب (انظر هامش ٣٣)، ج ٤، ص ٤٢٣-٤٢٤؛ الشايب، فوزي، محاضرات في الألسنية، (انظر هامش ٧٥)، ص ١٨٨-١٨٩؛ كمال بشر، علم اللغة العام (انظر هامش ٤٤) ص ١٢٢؛ محمود السعران علم اللغة (انظر هامش ٤٥)، ص ١٩٥.

٨٤. ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٣، ص ١١٥-١١٧، مادة جرد.

٨٥. أحمد بن فارس، مقاييس (انظر هامش ٤)، ج ١، ص ٤٥٢؛ ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٣، ص ١٢٠.

٨٦. ابن عصفور، الممتع (انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جنبي، سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج ٢، ص ٥٥١-٥٥٤.

٨٧. السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته (انظر هامش ١٥)، ص ١٤١.
٨٨. ابن منظور، اللسان، (مادة: جَمَرَ) (انظر هامش ٣٠) ج ٤، ص ١٤٤-١٤٦، ١٤٩.
٨٩. ابن عصفور، الممتع في التصريف (انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج ٢، ص ٥٥١-٥٥٤.
٩٠. ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٣٢٧، مادة: زَمَرَ.
٩١. ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٣٣٠.
٩٢. ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٣٢٩، مادة: زَمَرَ.
٩٣. ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٣١٦، مادة: زَبَرَ.
٩٤. ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٣١٦، مادة: زَبَرَ.
٩٥. ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٤٤٢، مادة: صَبَرَ: (الصمر): الصبر، أخذ الشيء بأصماره أي بأصباره؛ حول ذلك انظر، ابن السكيت، القلب والإبدال (انظر هامش ١٧)، ٧٤، ٧٦؛ ابن عصفور، الممتع في التصريف (انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٣؛ ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية (انظر هامش ١٧)، ص ١١٩.
٩٦. ابن عصفور، الممتع في التصريف (انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج ٢، ص ٥٥١-٥٥٤.
٩٧. ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٣٤٦-٣٤٧.
٩٨. ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٣٤٦-٣٤٧، مادة: سحر.
٩٩. ابن عصفور، الممتع في التصريف (انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج ٢، ص ٥٥١-٥٥٤.
١٠٠. ابن جني، سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج ٢، ص ٥٧٠.
١٠١. ابن عصفور، الممتع في التصريف (انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٧-٤٠٠؛ ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ١، ص ٤٥٥، مادة سلب؛ وج ١، ص ٤٧٤.

- ١٠٢ . ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جنى سر صناعة الإعراب(انظر هامش ٢٢)، ج ٢، ص ٥٥١-٥٥٤؛ ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج ٣، ص ٢١٩، مادة سمد؛ وج ٣، ص ٢٢٠، مادة سمهد.
- ١٠٣ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٣٧٦-٣٧٩.
- ١٠٤ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٣٨١.
- ١٠٥ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج ٤، ص ٣٨١.
- ١٠٦ . والإبدال بين السين والصاد أمر معروف في العربية. انظر: سر صناعة الإعراب(انظر هامش ٢٢)، ج ١، ص ٢١٢. وفي اللغات السامية، انظر: ربحي كمال، الإبدال في ضوء اللغات السامية(انظر هامش ١٧)، ص ١٣٤.
- ١٠٧ . ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جنى، سر صناعة الإعراب(انظر هامش ٢٢)، ج ٢، ص ٥٥١-٥٥٤.
- ١٠٨ . ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٧-٤٠٠؛ ابن جنى، سر صناعة الإعراب(انظر هامش ٢٢)، ج ٢، ص ٥٥١-٥٥٤؛ ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج ١، ص ٦٢٧-٦٣٠.
- ١٠٩ . ابن منظور، اللسان(انظر هامش ٣٠)، ج ٢، ص ٣٢٦.
- ١١٠ . ابن عصفور، الممتع في التصريف(انظر هامش ٢٠)، ج ١، ص ٣٩٧-٤٤٠؛ ابن جنى سر صناعة الإعراب (انظر هامش ٢٢)، ج ٢، ص ٥٥١-٥٥٤؛ ابن منظور، اللسان (انظر هامش ٣٠)، ج ٢، ص ٣٢٨، ملاحظة ٢ رأي الفيروز أبادي.



ثانياً: مع الكتب



قراءة دلالية في كتاب

"زكريا أوزون": "جناية سيبويه"

"الرفض التام لما في النحو من أوهام"

(القسم الأول)

د. ياسين أبو الهيجاء

كلية الآداب/ جامعة الإسراء

بين الفينة والفينة يخرج علينا دعاة يندرون بالويل والثبور وعظائم الأمور إن استمررنا في هذا النهج اللغوي الذي يتجاهل كل دعوة عاقلة منصفة إلى نبذ العقلية اللغوية القديمة المتخلفة، والسير في ركب الحضارة، والأخذ بأسبابها، كما ينادون بإعادة النظر في القواعد الأساسية للغتنا لتصبح أداة فعالة لتفجير طاقات العقل العربي المحتبسة في هيكل اللغة المقدس^(١). ويختلط ههنا الحابل بالنابل، فكل نهجه وأسلوبه ومقدرته على جذب الأنصار وإن توحدت الغاية.

وما من داع إلى هذا الإصلاح المزعوم أعلن عن هدفه دون موارد، وأن غايته نسف العربية من أساسها، وإحلال العامية أو شبهها محلها؛ لتنتب الأمة من دينها وتراثها، بل نجده يداور ويحاور ليقنعنا أن هدفه نبيل، وحاديه

١. على حد قول شريف الشوباشي في كتابه "لتحيا اللغة، يسقط سيبويه": ١٧.

إليه محبته لهذه اللغة وأهلها، وحرزته على ما آل إليه حالهم من التخلف من جرّاء تمسكهم بهذا السبب الواهن ألا وهو العربية الفصيحة، التي هي أصل لكلّ مظاهر التخلف. والعقدَةُ في منشار هؤلاء العلاقة الوثيقة بين اللغة والنصّ القرآني، لذلك نجدهم يعقدون الفصول لخلخلة تلك العلاقة، يوهمون القارئ أو السامع أنّ اللغة شيء والنصّ القرآني شيء آخر، فلا ضير على النصّ المقدس من نبذ اللغة الفصيحة.

وفي هذه السبيل نجد سبباً (١٨٨٣م) وويلمور وويلكوكس مروراً بقاسم أمين (ت ١٩٠٨م) وأحمد لطفي السيد (ت ١٩٦٣م) وسلامة موسى (١٩٥٨م) وأنيس فريحة (ت ١٩٩٣م) ولويس عوض (ت ١٩٩٠م) وسعيد عقل، والدرب بعد ذلك حافل. غير أننا هذه المرة مع داعٍ يختلف شيئاً ما عن هؤلاء، فكلهم أعلن صراحة أن الحلّ، أو جانباً كبيراً منه في التغلب على صعوبة العربية، ومداخلها العسيرة، وأنفاقها الملبسة، إنما هو العامية. أما الداعية موضوع البحث فهو من دعاة العامية ولكنه يراوغ، ويتناول الأبواب النحوية والصرفية ليدلل على فسادها، ووهن نظريتها، عند النحاة بالدرجة الأولى، ولو أنه دعا كغيره إلى العامية صراحة لأراح، ولكأن فيمن ردّ على هذه الدعوة ما يكفي مؤونة الردّ عليه، ولكنه أثر أن يلج الأمر من باب آخر، والرجل في داخله مرّجل يفور غضباً على العربية الفصيحة وتراثها، وعلى الرغم من أنه يحاول أن يخفي هذا الشعور إلا أنه يخور دونه، فيتجلى في صور الاستهزاء والسخرية والتسخيف التي لا يرمي بها اللغويين وحسب بل اللغة نفسها. ومع هذا فهو يظهر الاحترام للقرآن الكريم ولغته، تصنّع يتجمل به الوالجون من هذا الباب، البضاعة نفسها بالمذاق نفسه، في غلاف جديد براق.

أمّا هذا الداعية الجديد فهو كاتب يسمّى "زكريا أوزون"، وقد وسم باكورة أعماله -كما يشير في الإهداء- بسمّة، كثيراً ما نراها على وجه المجالات الأسبوعية المثيرة، حتى يسارع المارة إلى اقتنائها، فوسم كتابه بـ "جناية سيبويه" وهو مكتوب بخط أحمر قانٍ كبير، وأسفله عنوان صغير "الرفض التام لما في النحو من أوهام"، هكذا بكل بساطة، فهو يعلن الحرب على الأوهام التي تعلقت بالأذهان، ولم تجد مخلصاً، وقد ضل المتعلمون في بيئاتها، فهو ينذر نفسه لهذا الغرض السامي. وعلى ظهر الكتاب فقرة منمقة يقول فيها: "قواعد العربية شكل بلا مضمون، وتعلمها مضيعة للوقت وتشتت للفكر، وهي معطيات متخبطة خالية الدلالة، مليئة بالوهم والحشو، لذلك لم ولن يتعلمها معظم الشعب العربي لاستخدامها في الحياة اليومية والعملية...". يتهم ويصدر الأحكام، فهو الخصم والحكم، ومن عجب أنه ككلّ الدعاة أمثاله كتبوا ونظروا وعرفوا باللغة التي ينادون بوأدها!!.

ومن الجدير بالذكر ههنا، أنني وقعت بعد تمام البحث على كتابين آخرين لـ "أوزون" تناول فيهما إمامين جليلين، الأول وسمه بـ "جناية الشافعي" وتلاه بعنوان صغير "تخليص الأمة من فقه الأئمة"، والثاني "جناية البخاري" وتلاه بـ "إنقاذ الدين من إمام المحدثين"، وقد نهج فيهما منهجه في الكتاب الذي نتناوله ههنا، والرجل -كما يبدو- يؤدي رسالة سامية، فهو مخلص، لا يلقي على عاتقه تخليص الأمة من عريبتها الفصيحة، بل ومن فقهها أيضاً.

بادئاً هذه العنوانات لم تعد تسمن أو تغني من جوع^(٢)، لا لأننا متعبدون في محراب سيبويه، ولا لأننا نقدر كل قديم على علاقته؛ بل لأنها تفرغ محتواها قبل أن تبدأ. فلئن كان سيبويه أعجمي الأصل فليس بأعجمي اللسان، مثله في ذلك مثل البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والسيرافي وأبي عليّ الفارسي وابن جني والجرجاني ممن شادوا هذه الحضارة العظيمة وقدموا للعربية خدمة جليلة جلّ نظيرها، لا يمكن لأي منصف إلا أن يعترف لهم بالفضل، وخلص النية في خدمة هذه اللغة الجليلة، وسيبويه بعد ذلك يصيب ويخطئ، فلم يدّع لا هو ولا غيره من الذين اشتغلوا باللغة العصمة، ولا نسبها إليهم أحد. والكاتب يضعه في مقام الجاني، ومصطلح الجاني مفهوم وتبعاته معروفة. وهو يُنصّب من سيبويه رمزاً للغة العربية الفصيحة ودعاتها، فلم هذه الإساءة إليه، وما الغرض منها؟

مما لا شكّ فيه أنّ ما أتى به النحويون لا يخلو من التعقيد واللبس في كثير من المواضع، وينبغي أن يتناول بالإصلاح والتشذيب والتيسير، ولا ينكر هذا إلا مكابر. ولكن أيّ إصلاح؟ إنه الإصلاح الحقيقي القائم على النقد البناء، الذي يسعى إلى أن تكون اللغة مُخلّصة من الشوائب والهتات، والتمرينات العقلية، لا إصلاح من يرفع راية تخلفها وقصورها، ويتعقب سقطات النحويين واللغويين أو ما يُخيّل إلى القراء أنه سقطات، ليدفعهم إلى التخلي عنها ونبذها.

أمّا كتاب "أوزون" فيتألف من ست وسبعين ومئة صفحة، من القطع المتوسط، وعلى ما فيه من التجاوزات، وإلقاء الآراء بلا روية، وعرض

٢. وقد وقعت أثناء كتابة هذا البحث على كتاب "لتحيا اللغة العربية، يسقط سيبويه" لشريف الشوباشي.

للمشكلات دون طرح اللطول، فإنه لا يمكن أن يتجاهل بحجة سخافة الكثير من الآراء التي يحفل بها، وأن إهمال مثل هذه الكتب أجدى من الردّ عليها، فالكاتب يتبع منهجاً لا مندوحة من الردّ على طروحاته. ولعل الذي يقوي الدافع إلى هذا الردّ أن الكتاب صادر عن دار نشر من أكثر الدور شهرة وهي دار رياض الريس، وهي تبوء بجزء كبير من تبعات نشر مثل هذه الكتب.

ونحن لا ندعو إلى الحجز على حرية الرأي، ولا مصادرة حق الكاتب في إبداء رأيه، ولكن كان يحسن بدار مثل هذه الدار أن تعرض الكتاب على بعض المختصين لتقويم المادة العلمية التي يطرحها الكاتب، فهو لا يكتب رواية، ولا يستعرض مذكراته وخواطره، بل يتناول موضوعاً من أكثر الموضوعات حساسية، بمنهج ولغة بعيدين عن الموضوعية، إلا إن كانت تدعم مثل هذه الاتجاهات وتغذيها، وذلك شأن آخر.

غير أن الكتاب نُشر وخرج للناس في غلاف براق، ولا بد من مناقشته وتحليل ما فيه من طروحات وآراء، من وجهة نظر دلالية بالدرجة الأولى، وهي تهدف إلى التجلية الدلالية وراء الموضوعات والأبواب التي حاول "أوزون" نقدها، ورميها بالعيب؛ بتحريفها أو إيهام القارئ بمسلمات لا تمت إليها بصلة. وهذا المجال الدلالي ينبغي أن يستكثر منه الدارسون؛ لأنه آمن السبل للرد على مثل هذه الدعوات، بل المغامرات، التي تستغل هذا الفراغ، فتملؤه بهذه البضاعة الرديئة.

وتجدر الإشارة ههنا أنني وقعت قبيل فراغي من البحث على بحث في مجلة " التراث العربي " للدكتور نبيل أبو عمشة^(٣)، يتناول كتاب "زكريا أوزون" بالنقد، فوجدت كأن بيننا اتفاقاً على تناول هذا الكتاب، فمعالجة الدكتور نبيل في جلها موجهة إلى جوانب أخرى من طروحات الكاتب، تظهر قصوره، واضطراب مذهبه، سواء أتناول موضوعات أخرى لم يتناولها البحث أو تناول الموضوعات نفسها من جانب غير الجانب الذي عرضت له.

أما أوزون فيستهل كتابه بالإهداء، فهو يهدي باكورة أعماله إلى كل من يحترم العقل ويقدره ويحتكم إليه، وإلى كل من أضاء شمعة الإبداع في ظلام التقليد والتبعية، وشمعة الفكر في ظلام القياس والأبائية.... وعلى هذا فخطابه للعقلاء من أبناء هذه اللغة، الذين يتوقون إلى الخلاص من قيود الموروث اللغوي، الذي أن له أن يرحل، على يد السيد "أوزون".

والكتاب يقع في مقدمة وستة فصول وينتهي بخاتمة، وهو يستهل حديثه في المقدمة بالهجوم على العربية؛ إذ يقول^(٤): "اللغة هي أداة تفكير، وأهم أساليب التواصل بين الناس، وقد شهدت لغات العالم المتداولة اليوم تطوراً في ألفاظها وتراكيبها وقواعدها وتمكنت بعض اللغات -كالإنجليزية مثلاً- من غزو معظم الأرض لتصبح لغة بديلة لكثير من اللغات السائدة. أما لغتنا العربية المقعدة فبقيت جامدة لا بل تراجع عالمياً، ولم يعد يهتم بها حتى أهلها، والسبب في ذلك يعود - برأينا - إلى عنصرين أساسيين:

٣. مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٩٣-٩٤،

السنة الرابعة والعشرون، آذار وحزيران، ٢٠٠٤، المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤هـ.

٤. جنابة سيويه: ١١.

أولهما: علم النحو العربي.

وثانيهما: الاشتقاق اللغوي من جذور الكلمة العربية، لاستيعاب المفردات والمصطلحات الجديدة.

وفحوى كلام السيد "أوزون" واضح، فاللغة التي تسود وتغزو الأرض- كالإنجليزية - هي التي شهدت تطوراً في ألفاظها وتراكيبها وقواعدها، أما العربية فهي لغة جامدة، تراجعت عالمياً، وقد نبذها أهلها. وأقل ما يمكن أن يقال أن في هذا الكلام مغالطات وتجاوزاً للحقيقة، فنعت العربية بالجمود لا يمكن أن يتصف بالموضوعية، ولو كان الجمود من صفاتها لاندثرت منذ أن صدمتها العلوم الشرقية والغربية إبان ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، ولكنها طوعتها جميعاً واستوعبت مصطلحاتها ومفهوماتها. وتراجع العرب والمسلمين عن التأثير في الحضارة الحديثة، لاشك أنه ينعكس بشكل كبير على اللغة، بصفتها من أكبر المقومات لهذه الحضارة، أما أن نخلص من هذا إلى نعت العربية بالجمود وانتهاء الصلاحية، فلا يمكن أن يقول بذلك شخص ينتمي إلى هذه اللغة انتماء حقيقياً، فضلاً عن نعته بالبعد عن الإنصاف.

وأشدّ من ذلك ما انتهى إليه السيد "أوزون" من أن العربية نبذها أهلها لهذا الجمود الذي نسبه إليها، وهذا عسف منه بلا مراء، ووجود واستخفاف بمئات الملايين الذين تهفو أفئدتهم إليها. ولا ندري هل استند في ذلك إلى استبانة معروفة، أم طاف في البلاد العربية والإسلامية فلّقن هذه الحقيقة؟ فقد كان جبران خليل جبران - على سبيل المثال - يعيش في الولايات المتحدة قبل نحو قرن من الزمان، وكان يجيد الإنجليزية كأهلها، وكتب بها كتابه "النبى" الذي يعد من أفضل ما كتب في الإنجليزية، ومع هذا

لم يجفُّ لغته العربية، وكان شديد التعلُّق بها، وسَطَّرَ بها جَلَّ كتبه، ولو وجد منها قصوراً لما احتفل بها أدنى احتفال. أمَّا السببان اللذان يعيد إليهما هذا الجمود، وذلك الإهمال - على ما يكتنفهما من الغموض - فسُنرى فسادهما.

ويستأنف كلامه قائلاً: "وقد قمت بنقد علم النحو معتمداً على تصنيف النحاة نفسه، فبحثت في أنواع الكلمة: الاسم - الفعل - الحرف"، ويردِّف قائلاً: "وأظهرت غياب المحاكمة السليمة في قواعد النحو العربي بأسلوب يختلف عن أسلوب القدماء وتراكيبهم ومصطلحاتهم، بعد توخي الإيجاز والتبسيط". ويختم المقدمة بتأكيد الغاية من هذا العمل: "فإنَّ هذا الكتاب يمكن أن يكون كتاباً نقدياً وتعليمياً بأن واحد"^(٥).

بعد ذلك يشرع الكاتب في عرض فصول الكتاب، ويسمِّى الفصل الأول بـ"زبدة الكتاب في بدايته"، ومشكلة الأستاذ "أوزون" تتبدَّى في كلِّ فقرة من فقرات كتابه، فالرجل يطلق أحكاماً لا تستند إلى الواقع، وهو يرمي من وراء ذلك التمهيد إلقاء فكرته التي يلجَّ عليها في كلِّ الكتاب، وهي نبذ العربية الفصيحة، بل وتراثها، كما سنرى.

وهو يستهلُّ الفصل بذكر مشاعر الخوف التي تنتابه؛ لأنَّ السادة العلماء - هكذا - ومن بعدهم النحاة قد ربطوا النحو بالقرآن الكريم، فجعلوه كالقرآن لا يحقُّ لأحد نقده أو معارضته"^(٦). ولا ندري من أين يستقي هذه المسلمات، وكيف لم يطلع على مئات بل آلاف المجلدات التي يتخذها النحويون ميداناً، يسجِّل كلَّ منهم رأيه ومذهبه؟ ولو قال إنَّ بعض النحاة انتمى إلى القاعدة المطرَّدة أكثر من انتمائه إلى النصِّ لكان صحيحاً، حتَّى

٥. نفسه: ١٢.

٦. نفسه: ١٣.

وصل ببعضهم وهو المبرّد إلى أن يرفض قراءة سبعية لأنها تخالف تلك القاعدة، إذ يقول^(٧): "لو صلّيت خلف إمام يقرأ "ما أنتم بمصرخي"^(٨) و"اتقوا الله الذين تساءلون به والأرحام"^(٩) لأخذت نعليّ ومضيت". بل بلغ بنحوي مثل الرضي أن يقول^(١٠): "لا نسلم تواتر القراءات السبع". فهلاً اطلع "أوزون" على هذا وأمثاله؛ ليرى موقع رأيه من هذه القضية؟ ثم فلننظر إليه حين يقول: العلماء، والنحاة، ما هذه المصطلحات، وما الفرق بين العلماء والنحاة؟ أم يقصد بالعلماء علماء الفقه. والقارئ يطالع إضافة إلى ذلك مصطلحاً يكرره كثيراً وهو أهل اللغة، وهذا جانب هامّ من جوانب إخفاق الكاتب وركاكته، في بسط أفكاره المشوهة أصلاً.

وهو يطرح تسعة أسئلة على مائدة البحث قبل الشروع في عرض فصوله، ومن المهم ذكر هذه الأسئلة، وتحليل مضمونها ومناقشتها لسببين؛ الأول لمعرفة فكر الكاتب بصورة واضحة، والثاني لأنه سيبيني عليها كلّ آرائه اللاحقة^(١١):

الأول: هل قواعد اللغة العربية منطقية؟

الثاني: هل قواعد اللغة العربية عقلانية؟

الثالث: هل يتقن ناطقو اللغة العربية قواعد لغتهم؟

٧. تفسير القرطبي: ٢/٥.

٨. إبراهيم: ٢٢، (الشاهد فيها كسر ياء مصرخي).

٩. النساء: ١، (الشاهد فيها عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور).

١٠. شرح الكافية: ٣٢٠/١.

١١. جناية سيويه: ١٤.

الرابع: لماذا أخفق ويخفق الطلاب - على اختلاف مستوياتهم العلمية - بفهم وتطبيق قواعد النحو العربي؟ علماً أن منهم المتفوق في العلوم الرياضية والفيزياء الكيميائية.

الخامس: لماذا نشأت اللهجات العربية في مختلف أرجاء الوطن العربي، ولم تعتمد قواعد اللغة العربية؟

السادس: هل نجح سيويوه وأتباعه وكل أهل مدارس النحو في عقلنة قواعد اللغة العربية؟

السابع: هل مفردات أجدادنا العرب القدامى كافية؟ وهل استطاع نتائجهم الأدبي أن يعطي صوراً في الوصف تفوق صورنا اليوم؟ وهل يمكن لتلك المفردات أن تستوعب المسميات كافة في أيامنا المعاصرة؟

الثامن: هل أتبع القرآن الكريم قواعد اللغة العربية؟ وهو - هكذا - سؤال هام جداً وخطير جداً وحساس جداً؟

التاسع: لماذا لم تنتشر لغتنا العربية في أيامنا المعاصرة، وتقهقرت لتبقى محصورة في معظم أهلها فقط؟

وهذه الأسئلة لو طرحها مستشرق يتلمس طريقه في العربية لما كانت مقبولة منه، فكيف برجل يزعم معرفة شعابها؟ ولكن "أوزون" يبغي من ورائها أن يصل إلى إقرار بتخلف اللغة العربية، وأن العصر تجاوزها، وهي تتجاهل حقائق عن قصد، لا بد من ذكرها قبل بهر القراء بهذه الأسئلة.

فالسؤال عن منطقية اللغة لإقامة الحجة عليها لا يخلو من الإجحاف، فاللغة في كثير من وجوهها كالدين، تستند إلى شيء من المنطق، ولكنه لا

يقيدها، ولا يشترط لوجودها وتداولها واشتهارها، أو خمولها واندثارها، فمنطقية الإنجليزية ليست هي التي وراء انتشارها في العصر الحديث، ويُعد العربية عن هذا المنطق المزعوم ليس سبب خمولها وتقهرها، والعكس صحيح في انتشار العربية وازدهارها في القرون الوسطى، وتقهر غيرها من اللغات الغربية والشرقية. وللنظر إلى قول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) (١٢): "قلما ملك التتر والمغول بالمشرق ولم يكونوا على دين الإسلام...فسدت اللغة العربية على الإطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك... وربما بقيت اللغة العربية المضرية بمصر والشام والأندلس... وأما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق لها أثر ولا عين، حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي وكذا تدريسه في المجالس". فهل يرى "أوزون" أن هذا الذي يوثقه ابن خلدون من تقهر العربية آنذاك لعجزها وبعدها عن المنطق؟

ومسألة العقلانية هي المسألة نفسها، وربما كان من السخف أن يقول الكاتب: "إن سيبويه لم ينجح في عقلنة اللغة". وهذا السؤال على ما فيه من الغموض، فهو لا يخلو من الخلط والجهل بطبيعة اللغة، والذي يزيد المسألة بُعداً، إجابة "أوزون"؛ إذ يقول (١٣): "والسبب ببساطة يعود إلى أن سيبويه - كونه فارسي الأصل - قام بوضع قواعد لأمثاله في ذلك الوقت كي لا يلحنوا في لفظ كلمات اللغة العربية".

وعلى ركاكة هذا الأسلوب فإنه اجترأ لم تسمعه من غير "أوزون"، وهو يؤكد أن هذا الرجل لا يعرف سيبويه ولا كتابه. وهو يستخف بعقل القارئ حينما يدّعي بأن سيبويه صاغ قواعده على حين غفلة من أهلها، وأنه

١٢. مقدمة ابن خلدون: ٣٥١-٣٥٢.

١٣. نفسه: ١٨.

كان يعلم العربية للناطقين بغيرها. فلمن كانت عشرات الشواهد التي بين
دفتي الكتاب؟ ألم يقرأ تعليق عبد السلام هارون في فهارس الأعلام؟ أنه لم
يورد اسم الخليل بن أحمد، لكثرة وروده المفردة^(١٤)، وقد أحصاه غيره فكان
أكثر من ٥٠٠ مرة^(١٥). وهو من أكابر شيوخ العربية، فضلاً عن العلماء
الأخرين، الذي شادوا بناء العربية، وهم جميعاً الأساس الذي قام عليه
"الكتاب". فسيبويه ينقل ويحلّل الظواهر اللغوية، ولا يبتدع لغة من عند نفسه،
حتى يصوغها على قواعد العقل والمنطق. ولو اطّلع الكاتب على صراع
النحاة في قضية الشواهد النحوية واللغوية، ومحاولة تطويعها لتتناسب
والقاعدة، لعلم الإشكالية الكبيرة في تحديد طبيعة اللغة ووظيفة اللغوي.

إن الصراع الذي ترك الأثر الأبرز في المسار اللغوي هو صراع
مَنطِقَة اللغة، وقد قاومه كثير من اللغويين؛ لأنه ينقض طبيعة اللغة، ولعل
موقف أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) من منهج الرماني (ت ٣٨٤هـ) في هذا
الصدد أوضح مثال، وقد كان الرماني يمزج كلامه بالمنطق، حتى قال أبو
علي الفارسي^(١٦): إن كان النحو ما يقول الرماني فليس معنا منه شيء، وإن
كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء". وكذا المناظرة التي سجلها
التوحيدي (ت ٤٠٠هـ) في "الإمتاع والمؤانسة"، بين أبي سعيد السيرافي
(ت ٣٦٨هـ) ومتى (ت ٣٢٨هـ) الذي انتهت إليه رئاسة المنطقيين في زمنه،
وأنا هنا أسجل وجهاً مهماً منها، قال أبو سعيد السيرافي^(١٧): حدّثني عن
المنطق، ما تعني به؟.. قال متى: أعني به أنه آلة من آلات الكلام، يُعرف به

١٤. الكتاب: ١٧٦/٥.

١٥. علي النجدي ناصف في "سيبويه إمام النحاة": ٩٣.

١٦. ينظر: معجم الأبياء: ١٨٢٦/٤.

١٧. الإمتاع والمؤانسة: ١٠٩/١.

صحيح الكلام من سقيمه، وفساد المعنى من صالحه، كالميزان فإنني أعرف به الرجحان من النقصان، والشائل من الجانح. فقال أبو سعيد أخطأت؛ لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف؛ إذا كنا نتكلم بالعربية؛ وفساد المعنى من صالحه يُعرف بالعقل؛ إذا كنا نبحت بالعقل". وكلام السيرافي لم يتكَبَّ جادة الصواب. هذه هي الخلاصة، فلا يمكن أن يحكم المنطقُ اللغةَ كما مرّ، وإن كانت اللغة كالدين في موافقتها الكثير من وجوه المنطق.

أمّا إنقائان ناظقي العربية للغتهم فليس بحجة على من أراد نقضها والإزرءاء بها، وما من لغة في العالم يحسنها أهلها على المستوى نفسه. على أننا لا ننكر أن مشكلة العربية أعمق من غيرها، لظروف عقدية بالدرجة الأولى، وليس هناك محلّ للزجّ بالعلوم الرياضية وغيرها في هذا المجال، فضلاً عن أن من يتقن هذه العلوم قليل، فمشكلات اللغة تختلف اختلافاً جذرياً عنها.

أمّا لماذا نشأت اللهجات ولم تعتمد قواعد العربية؟ فضلاً عما ذكر فما أظن أن أحداً يتمتع بقدر من المعرفة اللغوية تقوته الإجابة. وهل يرى السيد "أوزون" أنه من الممكن أن يتوحد الناس على العربية الفصيحة، في ظلّ مجتمع ممتدّ من المحيط إلى الخليج؟ على ما فيه من الأعراف والانتماءات والصراعات، فضلاً عن نقشي الأمية والتخلف والفقر، وفوق ذلك كله غياب الإرادة الرسمية لتبني هذه القضية.

وسؤال أوزون عن كفاية المفردات اللغوية القديمة لمعطيات الحضارة الحديثة، أشدّ غرابة ولا وجه له، فأى لغة حية في هذا العالم يمكن أن تكتفي بمفرداتها وتجرها في كل عصر؟ وأي لغة في العالم لديها

مسكوكات لغوية جاهزة عند الحاجة؟ ومن ذا الذي أنبأه بأن العربية تجترّ ألفاظها وتراكيبها منذ العصر الجاهلي؟ ومن يطلع على مؤتمرات المجمع اللغوي في القاهرة، وما أفضت إليه من مناقشة مسائل كبرى في العربية وعلى رأسها القياس والتّضمين^(١٨)، وما أقرته تلك المؤتمرات من الأساليب والتراكيب والألفاظ يرى حيوية هذه القضية، وموقف العربية منها. وثمة بونّ شاسع بين التنويه بهذه الحقائق وبين الإقرار بأنّ العربية تفتقر إلى الكثير من الجهود في هذا الصدد.

ثم يطرح "أوزون" السؤال المهم والخطير والحساس وكلّ هذه النعوت متبوعة بـ"جداً"، "هل اتبع القرآن الكريم قواعد اللغة العربية؟" ويعقب قائلاً: ^(١٩) "ينبغي لفت النظر إلى أنّ القرآن الكريم معرب في علم النحو بشكل كامل في كثير من كتب اللغة، إلّا أنه غير مفسّر بشكل متطابق ومطلق عند أهل الفقه وعلماء الإسلام كافة"، وعلى ركاكة العبارة، وغموضها والعيّ الذي يتنبّه إليه من له أدنى حسّ لغوي، فقد تكفّل مثاله الآتي بتوضيح مقصوده؛ إذ يردف قائلاً ^(٢٠): "فمثلاً الآية التالية من الذكر الحكيم ^(٢١) "ولا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دَعُوا" يُعْرَبُ النِّحَاةَ "ما" بعد "إذا" زائدة... إذاً نحوياً يمكن إسقاط "ما" بعد "إذا"، ويستدرك مستغفراً: "ولكن حاشا لله أن يكون في كلامه زيادة أو حشو، فهو الحقّ وكلماته الحقّ".

١٨. ينظر: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً.

١٩. نفسه: ٢٢.

٢٠. نفسه: ٢٢.

٢١. البقرة: ٢٨٢.

وقد أفرد باباً للكلام على "ما" وزيادتها في الفصل الرابع^(٢٢)، ومما تناوله أيضاً قوله تعالى^(٢٣): "أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" وانتهى إلى قوله: "ألا يستحي أهل اللغة والنحاة من إعرابهم وتأويلهم عندما يعتبرون "ما" زائدة في كلام الله عزّ وجل"، وهو يعيد مصطلحي "النحاة وأهل اللغة" كثيراً، ولم يتحفا بالفرق بينهما، ونحن لا نعرف للغة أهلاً غير المتكلمين بها. ومن عجب أن "أوزون" الذي يسعى إلى هدم بنيان هذه اللغة الشريفة، ويهتبل كل فرصة للنيل منها، ينفطر قلبه حزناً على ما يزعم من سوء أدب النحاة مع النصوص القرآنية.

ويبدو أن انشغال السيد "أوزون" بالكتابة يحول بينه وبين المطالعة والتقصي، فهذه كتب النحو التي لا يستشهد بها استكباراً، تملأ رفوف المكتبات، فهلاً نظر في معنى الزيادة فيها. الزيادة ههنا لا تعني الهذر والعبث، والكوفيون ينعنونها بمصطلح "الصلة"^(٢٤)، ومن النحاة من ينعنها باللغو أيضاً، ولعل "أوزون" لم يقع على هذا المصطلح، وإلا لكان له عنده شأن. ويكفي أن نقل قول الهروي (ت ٤١٥ هـ) وهو من أوائل من صنف في الحروف والأدوات؛ إذ يقول في قوله تعالى: ^(٢٥) "إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة"^(٢٦): "ما" صلة في ذلك... ويسمي بعض النحويين "ما" الصلة زائدة ولغواً، وبعضهم يسميها توكيداً للكلام، ولا يسميها صلة ولا زائدة، لئلا

٢٢. جناية سيويه: ٩٩ وما بعدها.

٢٣. الإسراء: ١١٠.

٢٤. ينظر على سبيل المثال: معاني القرآن، للفراء: ٨/١، ٢١، ٢٢، ٤٦، ٥٧، ٥٨، ١٧٢، ١٧٦،

٢٠١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٧٦، ٣٥٠، ٣٧٤، ٤٠٩، ٤٧٤، ٤١٥. ومجالس ثعلب: ١/١٠٢،

١٥١، ١٩١، ٥٥١.

٢٥. البقرة: ٢٦.

٢٦. الأزهية في علم الحروف: ٧٨.

يظن ظاناً، أنها دخلت لغير معنى البتة، وإنما يُعرف أن الحرف صلة زائدة في الكلام بأن حذفه لا يخل بالمعنى".

هذا هو مفهوم الزيادة عند العرب قبل أن يكون لدى النحاة^(٢٧)، فهي زيادة من قبل أن البنية التركيبية لا تحتاجها، لا البنية الدلالية؛ لأن دخولها من هذا الوجه ليس كخروجها. وقد رصد الدكتور محمد عبد الخالق عضية رحمه الله (ت ١٩٨٤م) في سفره العظيم "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" كما كبيراً من مواضع زيادة "ما"^(٢٨) و "لا"^(٢٩). أمّا إن أراد إجابة أوسع مدى عن السؤال "هل اتبع القرآن الكريم قواعد اللغة العربية؟ فنقول له "نعم" ممتدة، فهناك فرق بين القواعد والقاعدة المطردة، وهل اختلاف بعض وجوه القراءات عن القاعدة العامة المطردة، طعن في هذه القواعد، وإجازة لـ "أوزون" وغيره للخروج عليها؟

ويجيب "أوزون" عن السؤال التاسع وهو تفهقر العربية وعدم انتشارها بسبب:

أولهما: التخلف العلمي والفكري والاقتصادي الذي يعيش فيه مجتمعنا العربي.

ثانيهما: تعقيد قواعد لغتنا وجهل القائمين عليها.

٢٧. وقد ذكر الفراء ذلك كثيراً، في "معاني القرآن"، ومنه على سبيل المثال: ٨/١، ٢١، ٢٢، ٤٦، ٥٧، ٥٨، ١٧٢، ١٧٦، ٢٠١، ٢٤٤.

٢٨. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم الأول، الجزء الثالث: ١٣٢ وما بعدها.

٢٩. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم الأول، الجزء الثاني، ٥٦٩ وما بعدها.

والأول حقّ، أمّا الثاني فباطل ولا يخلو من المبالغة، بل الجحود، فإذا كان التعقيد هو الذي يحول بين العربية وبين الانتشار، فكيف يفسر لنا "أوزون" أنها كانت لسان الحضارة في كل حواضر الأمة الإسلامية، ابتداءً بالمدينة المنورة، ومروراً بالحواضر العراقية، والشامية والمغربية والأندلسية، حتى أقاصي آسيا. وكيف ساغت لابن حيان، وابن سينا والفارابي، والخوارزمي، والإدريسي، وابن خلدون وآلاف أمثالهم، وقد أخذوا من كل علم. إن إعادة سبب تفهقر العربية وعدم انتشارها في العالم إلى تعقيدها، ومناقاتها للعقل فيه من الجهل والتعاضى عن أوضاع العرب والمسلمين في عصرنا الحاضر ما فيه، وهل - يا سيد أوزون - اللغة إلا انعكاس لحالة أهلها في مناحي حياتهم كافة؟ وهل رأيت كيف بعث الصهاينة العبرية من مرقدها، بعد أن علّو علواً كبيراً؟

ويريد "أوزون" من كلّ هذه الأسئلة إلى أن ينتهي إلى فكرة أقل ما يمكن أن يقال فيها أنها هجينة، فقواعد العربية - كما يقول - لا تستطيع أن تؤدي دورها المطلوب، بينما استطاعت لغتنا العريقة والجميلة أن تنتشر لتختلف اللهجات فيها انطلاقاً من مفرداتها الغنية والكثيرة، ويضرب مثلاً فهم الناس في الوطن لعربي الحوار في الأفلام والتمثيلات التي تتكلم اللهجة المصرية. وهو يستدرك قائلاً^(٣٠): "وقد يقول أحدهم هل تريدنا أن نتكلم باللهجة العامية، ونترك اللهجة الأم واللغة الأم لغة القرآن الكريم، فأقول له: مهلاً يا سيدي فأنت تركتها في الواقع، والدليل على هذا وجود اللهجات.. وإن حوارك مع أفراد أسرتك أو مع نفسك هو بالعامية.. وهل ألغى رسولنا الكريم (صلّى الله عليه وسلم) لهجات القبائل بعد البعثة؟.. لقد سمح الرسول الكريم (صلّى الله عليه وسلم) بقراءة القرآن الكريم بقراءات مختلفة... إن

٣٠. نفسه: ١٧ - ١٨.

القرآن الكريم نزل بلغة قريش حسب قول عثمان (رضي الله عنه).. ولا أظنكم تطلبون من كل مسلم أن يقوم بقراءة القرآن الكريم كاملاً، وبنفس لهجة قريش".

هذا ما ينطوي عليه فكر "أوزون"، ولو تركنا انحراف هذه الفكرة، واستخفاف صاحبها بالقارئ، وبعده عن الانتماء إلى الحضارة والتراث العربي الإسلامي لوجدناه يهرف بما لا يعرف، فكيف ساغ له أن يوازن بين اللهجات العربية التي هي لُحمة العربية الفصيحة وسداها، وهي بعدُ حجة، كما قال ابن جنّي^(٣١)، ليسوي بها خليطاً مبتدلاً من اللهجات التي تستقي من كل وجه، وهل هذه هي عقلنة اللغة التي يدعو إليها؟

و"أوزون" يسير على غير هدى، خبط عشواء، وكأنه معنيّ بالحطّ من العربية ومن ينتسب إليها، فهو لا يدع سبيلاً إلى ذلك إلا ركبها، يقول^(٣٢): "فنقول إن لغة أجدادنا القدامى في الجاهلية والإسلام لم تعط ذلك النتاج الرائع في الشعر أو النثر، وإنما كان نتاجاً لا يزيد بأي حال من الأحوال عن نتاجنا، إن لم نقل إنه أقل منه في جوانب كثيرة. هكذا كما يقال بجرّة قلم ألغى كل فضيلة إبداعية ولغوية للقدماء بشعرائهم وناثرهم.

وكلام أوزون هذا يضاف إلى ما جاء في سؤاله السابع، وهو يرمي إلى مسألة الوصف، والكلام على قضية الموازنة بين القدماء والمحدثين بهذه الصورة لا وجه له، ويتجاهل أبسط مبادئ النقد الأدبي، فكل أديب قدرته وملكوته، التي تبلغ به المنزلة التي يستحقها بما أوتي من الإمكانيات، وفي ضوء المعطيات المادية والمعنوية التي تكتنفه، قديماً كان أم حديثاً،

٣١. الخصائص: ١٠/٢-١٢.

٣٢. جنابة سيويه: ١٩.

ولكن "أوزون" يرمي من هذه الموازنة الحطّ من قيمة التراث العربي وما يمثله من رموز.

ولننظر كيف اختار شاعراً من أكابر شعراء العربية، عند أهل الفصاحة والبيان، قبل أن يكون لدينا؛ إذ يقول^(٣٣): فلنأخذ على سبيل المثال بيتاً لطالما تغنى به أساتذة اللغة العربية ولطالما عشقه هواة الشعر العربي القديم، أنه بيت للشاعر الكبير امرئ القيس من معلقته، وهو:

مِكرٌ مِفرٌ مُقبلٌ مُدبرٌ معاً كَجَلْمودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عِلِّ

يقول فيه: "قلو أننا رضينا معهم - مجاملةً - بقبول الشطر الأول من البيت سنجد بأن معنى الشطر الثاني قد فرّغ معنى الشطر الأول من محتواه تماماً، ففي الشطر الأول حركة تقدم وتأخر، أما صورة الشطر الثاني... فهي باتجاه واحد فقط، لأن الصخرة لا يمكنها أن تتحرك تحت تأثير وزنها الذاتي وبفعل السيل إلا باتجاه واحد من الأعلى إلى الأسفل، فأين منطقية هذا البيت؟ صورة لا أرى فيها جمالاً، وهي الأجل عند أهل اللغة.

ثم لنأخذ بيتاً تصويرياً آخر وهو:

له أَيْطَلَا ظَبِيٍّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْحَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْقَلٍ

فإذا نجح القارئ في فك رموز ومعاني تلك المفردات والكلمات وجد نفسه أمام صورة رائعة من صور أفلام الكرتون.. والتي يمكن للكمبيوتر أن يرسمها لنا لإمتاع أطفالنا بها. تخيل حصاناً له خاصرتا غزال وساقا نعامة

٣٣. نفسه: ٢٠.

وجري الذئب، ولعل في فلم "حرب النجوم" ما يوضح الفكرة التي نحاول شرحها".

ويبدو أن الرجل ماض في تسخيف كل ما في التراث من القيم، فإذا كانت قريحة رأس شعراء العربية تنتج كل هذه الهلوسات فكيف بمن هم دونه؟ وأقول لـ "أوزون": هل تنتظر منا أن نهنتك على اكتشافك هذا، بعد أن عفت القرون، وتبلدت الأحاسيس وخار البلغاء وعجز الفصحاء، عن فهم لغتهم، فأبصرتهم بمواضع السخف والسذاجة؟ وما على من أفقد نفسه حاسة الشم، ألا يميز بين حامل المسك ونافخ الكير؟

لا نقدر التراث، ولا ننزهه، ولكننا نحله حيث يستحق أن يحل، رأيت لو أن شاعراً كأمير القيس يبلغ حداً من هذا السخف الذي ترميه به، أيستحق المنزلة التي أحله بها النقاد والفصحاء ممن يبلغ منزلتك؟! وهل تظن بأن شاعراً يخصص من معلقته ثمانية عشر بيتاً؛ أي ما يوازي ربع المعلقة تقريباً لو صنف حصانه يبلغ هذا المدى من الجهل الذي تصفه به؟ أو تظن بأن هذه الحركة الدائبة في الشطر الأول من بيته "مكرّ مفرّ... يعمد إلى قتلها في الشطر الثاني، لأنه يجهل فيزياء الطاقة، وقوانين الحركة؟ ألا تظن أن امرأ القيس أراد أن ينعث حصانه بالصلابة والتماسك وسرعة وصوله إلى هدفه في كل صورة رسمها له في الشطر الأول؛ في كره وفي فرّه وفي إقباله وإدباره... كما ينقضّ الحجر الصاد الذي حطه السيل من عل. فالشاعر لا يقصد أن يركم تشبيهاته لحصانه في الشطر الأول، ويضعها في مقابل الصورة في الشطر الثاني، وامرؤ القيس يكرّر هذه الصورة لحصانه في الشطر الأول، في بيت آخر، قد يبدو أشد غرابية، وهو قوله^(٣٤):

٣٤. ديوانه: ١٦٦.

كَتَبَ طِبَاءُ الحَلْبِ العَدْوَانَ

مِخْشٌ مِجْشٌ مَقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَا

فكيف تستقيم هذه الصورة في ضوء فكر الأستاذ "أوزون"؟

أما بيته الثاني " له أبطلاً ظبي..."، فهو يشكّل صورة أسطورية لهذا الحصان رمز القوة والمنعة، وينعته بكل ما حسن، فهو مزيج بين التركيب والحركة، فيأخذ من الظبي دقة خصره ومن النعامة - وهي أسرع طائر في الركض على الإطلاق - صلابة ساقها وقصرهما، مع طول فخذها، وهي صفة محمودة في الخيل، ومن الذئب والثعلب الإرخاء والتقريب وهما صفتان مميزتان لأحسن الجري، وهذه بمجموعها لوحة بلاغية ناصعة، وليست صورة لمسوخ ولا دمية كرتونية، ثم لينظر الأستاذ أوزون إلى قوله تعالى: (طلعها كأنه رؤوس الشياطين)، فكيف يتخيل - على مذهبه - هذه الصورة؟

وهو في نهاية الفصل يطلب من القارئ أن يتهيأ للدخول إلى أبحاث الكتاب، وهو - كما يقول - لا يدعي العصمة ولكنه يبغض التقليد والنقل من دون إعمال العقل، وقد رأينا تجليات هذا العقل وثمرات هذا الإعمال!!

ويستهل الفصل الثاني "الكلمات والجمل"، بالكلام على أقسام الكلمة، إذ يقول^(٣٥): "تقسم الكلمة عند أهل اللغة إلى ثلاثة أنواع: اسم وفعل وحرف، وهنا علينا أن نصوّب قبل الدخول في التفاصيل بأن مصطلح الحرف يجب أن يستبدل بأداة حتماً، فمثلاً " عن " مؤلفة من حرفين وليست حرفاً واحداً، و" إلى " مؤنّفة من ثلاثة أحرف... وهكذا، وعليه يجب أن يصحح هذا النوع بالقول "أداة" عوضاً عن "الحرف"، وذلك كي يتم التطابق بين الدال والمدلول".

٣٥. جناية سيبويه: ٢٥.

وأقول ههنا كأن السيد أوزون يوحى بأن مصطلح "الأداة" من بنات أفكاره، وقد أطلقه الكوفيون قبله على ما شاع عند البصريين بحروف المعنى^(٣٦)، والفراء يستخدمه كثيراً في معانيه^(٣٧). والإشكالية أن النحاة لم يلتزموا هذا الاستخدام، ونجد الفراء يطلق "الأداة" على نوني المثني وجمع المذكر السالم^(٣٨)، وعلى اسم الفعل^(٣٩)، كما يطلق الحرف على القراءة القرآنية^(٤٠).

ومع هذا الخلط في استخدام النحاة، فإن مسألة اللبس لم تكن مطروحة؛ لأن استخدام الحروف والأدوات فيما بعد أصبح راسخاً ومفهوماً. وعلى الرغم من أن من النحاة من يعدّ حروف المعاني أدوات ربط^(٤١)، ومن المحدثين من أطلق على أحرف المعاني "أدوات"^(٤٢)، ومنهم من يطلق على ما يختلط فيه الحرف مع غيره "كلمات"^(٤٣)، إلا أنه غداً واضحاً في الكتب المدرسية بشكل خاص، وعند بعض المدرسين، أن مصطلح الأدوات يستخدم، عندما يضم الباب كلمات تنتسب إلى أقسام مختلفة، فنجدهم يقولون أدوات الشرط؛ لأن فيها حروفاً وأسماء، وأدوات الاستثناء، لأن فيها حروفاً وأفعالاً وأسماء، والاستفهام لأن فيها حروفاً وأسماء، وهو اتجاه تعليمي حسن. والسؤال ههنا، هل ثمة داع لينابط السيد "أوزون" هذه القضية المنتهية

٣٦. ينظر: الإنصاف: ٤٥، ٤٨، ٢٧٨، ٣٦١، ٣٦٢.

٣٧. ينظر المعاني: ١٠/١، ٥٢، ٥٨، ١٢٢/٢، ٢٠٧، ٢١٣، ٣٣٢، ٣٧١، ٨٤/٣.

٣٨. نفسه: ١٠/١، ٣٩٦/٢.

٣٩. نفسه: ٢٣٥/٢، ٢٣٦.

٤٠. نفسه، على سبيل المثال: ١٦/١، ١٩، ٢٦، ٢٨، ١٩٢، ٣٠٠، ٣١٥، ٣١٨.

٤١. ينظر النحو الوافي: ٦٢/١.

٤٢. ينظر كلام المخزومي على أقسام الكلمة في النحو العربي، قواعد وتطبيق.

٤٣. ينظر: التطبيق النحوي، الاستفهام، والاستثناء.

ضمناً، ويعدها من القضايا التي تؤكد تعقيد العربية، وما الغاية من وراء إثارتها؟

ويخوض في أنواع الجمل، ويقف على الجملة الاسمية، ويعرفها بأنها كلمات مؤلفة من أسماء تجتمع لتعطي معنى صحيحاً مفيداً^(٤٤)، وعلى ما في هذا التعريف من ركاكة، فإننا نتجاوزه لنرى انعكاس هذا المفهوم على فكر السيد "أوزون". فهو يَنْقُض ما تواطأ عليه اللغويون من تعريفها، ويضرب مثلاً "الطفل سعيد"، ويعقب قائلاً^(٤٥): "لكننا نلاحظ أن العبارة السابقة تفيد الديمومة والثبات، ويغيب فيها تأثير الزمن ودوره، بمعنى أن الطفل كان سعيداً وهو سعيد الآن وسيبقى سعيداً في المستقبل، وهذا لا ينطبق على صفات البشر، لذا فإن مصطلح الجملة الاسمية إن صح لا يصلح إلا في المعتقدات والحقائق العلمية الثابتة، كقولنا "الأرض كروية"...، و"الله عظيم". ويخلص إلى قوله: ^(٤٦) "وعليه، فمصطلح الجملة الاسمية من حيث الدلالة والمعنى يحتاج إلى إعادة نظر، كما أن تركيب ما يُسمّى "الجملة الاسمية" يحتاج إلى إعادة النظر فيه... وأعترف هنا بأنني بعد بحث طويل في قضايا المبتدأ والخبر أدركت معنى قول شاعرنا الكبير الراحل نزار قباني: سأهرب من لعنة المبتدأ والخبر".

والرجل يلقي رأيه بلا روية ولا تثبت، ولا نراه يشير إلى مرجع نحوي واحد في تنظيره ذلك، ومع هذا فهو يفترض مفهوماً جديداً للجملة

٤٤. جناية سيوييه: ٢٦.

٤٥. جناية سيوييه: ٢٦.

٤٦. نفسه: ٢٧.

الاسمية، متأثراً - كما يشير - باللغة الإنجليزية^(٤٧). وهذا فهم ساذج ينفرد به "أوزون"، والذي يتجاهل أهم عنصر من عناصر الكلام، ألا وهو الدلالة.

على أن ثمة خلافاً في تحديد الجملة الاسمية بين البصريين والكوفيين لا داعي الآن لسرد تفاصيله، ولكنه يتلخص عند الفئتين في مثل جملة "محمد قام"، وهي عند البصريين اسمية، وعند الكوفيين فعلية، تقدم فيها الفاعل، وقد أضاف ابن هشام جملة ثالثة هي الظرفية، وهي المصدرية بظرف أو جار ومجرور، نحو: أعندك زيد؟ أو "أفي الدار زيد؟" ويقدر ههنا "زيد" فاعلاً بالظرف والجار والمجرور.

وعرّف الدكتور مهدي المخزومي الجملة الاسمية تعريفاً جديداً إذ هي عنده^(٤٨) "التي يدلّ فيها المسند على الدوام والثبوت، أو التي يتّصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافاً ثابتاً غير متجدد، أو بعبارة أوضح، هي التي يكون فيها المسند اسماً". ويبدو أنّ "أوزون" اطّلع أيضاً على شيء من هذا الخلاف الدائر أيضاً، فظن أنّ مصطلح الجملة الاسمية يمكن أن يصلح في المعتقدات والحقائق العلمية الثابتة؛ لأنها تفيد الديمومة والثبات، وهذا فهم أبعد ما يكون عن الصحيح. ولننظر تعليل هذه المسألة عند الجرجاني، حينما يفرّق بين الخبر المفرد، والخبر الجملة الفعلية؛ إذ يقول^(٤٩): "... وبيانه أنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء، وأمّا الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء فإذا قلت: "زيد منطلق"، فقد أثبتّ الانطلاق فعلاً له، من

٤٧. ينظر كلامه في الحاشية رقم (٤): ٥٤.

٤٨. في النحو العربي نقد وتوجيه: ٤٢.

٤٩. دلائل الإعجاز: ١٧٤-١٧٥.

غير أن يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً... وإن سُئلت أن تحس الفرق بينهما من حيث يلفظ فتأمل هذا البيت:

لا يَألفُ الدرهمُ المضروبُ صُرَّتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلق

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى، ولو قلته بالفعل: "لكن يمر عليها وهو ينطلق"، لم يحسن". هذا قوام المسألة التي التبتت على السيد "أوزون"، ولا علاقة للجمله الاسمية بالحقائق الأزلية وغيرها. وهبنا جاريناه في ما ذهب إليه، فماذا نطلق على الجمل الاسمية نوات الحقائق غير الثابتة؟ إلا إن كان مستحدثاً جملة جديدة يسميها "الجمله الأوزونية".

ويتناول قضية ثانية من قضايا المبتدأ والخبر؛ إذ يحمل على تعدد الخبر، ويضرب مثلاً "خالدٌ قائدٌ بطلٌ لا يهاب الأعداء"، ويقول معلقاً^(٥٠): "فإننا نرى أن المبتدأ الواحد في تلك الجملة قد أخذ ثلاثة أخبار، وهنا نتساءل كيف يتعدد الخبر؟ فقد أخبرنا عن المبتدأ "خالد" بقائد، والاسم بعده فقد وظيفته، فلم يعد يخبر عن المبتدأ... وهكذا فإننا نرى أن قبول مبدأ تعدد الخبر يساهم مع غيره في خلق أم المشاكل في أدبنا العربي - وبالتالي عقلنا العربي - وهي مشكلة الترادف في المفردات والألفاظ".

الحق نقول أن السيد أوزون لا تنقضي عجائبه، فبداية مسألة تعدد الخبر مستقلة تماماً عن مسألة الترادف، الذي يخشاه على عقولنا، فأبي ترادف هذا الذي يتحدث عنه؟ وأين هذا من ذلك؟ فمسألة تعدد الخبر تتعلق بالدلالة التي يفضي إليها تعدد المسند (الخبر).

على أن أبا عليّ الفارسي ينكر تعدد الخبر مختلفاً؛ بالإفراد والجملة نحو قولهم: "زيد عالم يفعل الخير"، فالجملة عنده صفة للخبر^(٥١). واختار الصفاً منع تعدد الخبر إذا اقترن بعاطف، نحو^(٥٢): "هو فقيهٌ وشاعرٌ" وكاتب"، غير أن مناط المسألة الدلالة، وكان يمكن لـ"أوزون" أن يتناول هذه الآراء وغيرها لو أراد مناقشة ذات جدوى.

فالخبر يتعدد كما تتعدد الصفة، ولا يمكن أن يكون تعدد الخبر إلا لأن القائل متيقن أن السامع محتاج إلى ذلك. والتعدد قد يكون لفظياً ويقصد فيه معنى واحد، كما تقول: "هذا حصان أبيض أسود"، أي أبلق، وقد يكون لفظاً ومعنى، نحو: "نشاطنا سياسي فكري ثقافي"^(٥٣)، وهذه الأخبار المتعددة على الجملة تخلص إلى دلالة قائمة على تقديم خبر شامل يتمثل فيه المخبر عنه بهذه الأخبار جميعاً، وقد سجل الدكتور عضيمة الكثير من الآيات التي تعددت فيها الأخبار^(٥٤). و"أوزون" على فكرته هذه لا يقدم - كعادته - تعليلاً لوجود الأخبار المتعددة، وعلى أي وجه يمكن أن تحمل؟

ويطرح قضية ثالثة في هذا الصدد، ويستهلها بالمثال "المدينة شوارعها نظيفة"، ويعلق قائلاً^(٥٥): "وفي تلك الجملة نرى أن هناك مبتدئين، فالمدينة مبتدأ - آمناً وصدقنا - أما شوارعها فهي مبتدأ ثانٍ ... فكيف يكون الاسم بعده مبتدأ ثانياً، وكيف نسمح لأنفسنا أن نسميه مبتدأ ولم نبدأ به؟

٥١. ينظر: حاشية الصبان: ٣٢٥/١، وأوضح المسالك: ٢٢٢/١، والهمع: ٣٤٦/١.

٥٢. ينظر الهمع: ٣٤٦/١.

٥٣. ينظر: شرح المفصل: ٩٩/١، وشرح الكافية: ١٠٠/١، وحاشية الصبان على شرح

الأشمونى: ٣٢٥/١.

٥٤. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم الثالث، الجزء الأول: ٢٩٢.

٥٥. نفسه: ٢٩.

والأغرب من ذلك أن الجملة الاسمية (شوارعها نظيفة) في محل رفع خبر للمبتدأ الأول، فكيف يتم التأويل هنا؟! هل نؤول الأسماء بالأسماء والأشياء بالأشياء ونغرب المعاني عن حقيقتها، وما الغاية من ذلك؟ أمور لا يصح المنطق إلا برفضها من أساسها".

وثمة معنى دقّ عن فهم الأستاذ "أوزون"، فبادئ بدء، الجملة إذا نزلت منزلة الخبر لم تكن تسميتها جملة إلا من باب النظر إلى أصلها السابق، بل أكثر من ذلك فهي ليست كلاماً، ذلك أنها لا تملك كياناً مستقلاً، وهذا ينطبق على جملة صلة الموصول والنعته والحال. وهذه الجملة الإخبارية الكبرى لها وجه من الدلالة لا يتحملة الخبر المفرد. وأمّا اعتراضه على تأويل الجملة، فقد يكون له وجه، ولكن المسألة هي تعليمية بالدرجة الأولى، وهي مظهر من مظاهر الالتزام بتفسير النصّ، يقول ابن السراج^(٥٦): "لو وقع موقع الجملة اسم مفرد لكان مرفوعاً"، وهذا باختصار هو سرّ الحكم بتأويل كل الجمل، فليست القضية ببعيدة من المنهج التعليمي.

ثم يطرح مثلاً رابعاً وهو "الطفل في المنزل"، وينتقد مسألة التعلّق، فيقول: "لماذا لا يكون الجارّ والمجرور متعلقين بخبر محذوف تقديره مسجون مثلاً أو حزين أو سعيد.. أو غير ذلك من التأويلات التي تبقى احتمالاتها قائمة مثل كائن أو موجود.

ولا يسع القارئ الذي يلزم بمبادئ لغته ههنا إلا أن يقول للسيد أوزون: "ما أجهلك بلغة قومك؟ وفيم اعتراضك، على اللغة أم على النحاة؟ فثمة قضايا في الخبر شبه الجملة، يمكن أن تكون موضوع خلاف بين النحاة، إلا هذه المسألة، فهل يظن "أوزون" أن قائلاً يقول: محمد في المدينة"،

٥٦. الأصول: ٦٥/١.

وهو يعني أنه مسجون، أو مريض، أو فرح، أو غير ذلك من الأوصاف الخاصة؟ وهل يظن أن لغة كائناً ما كانت، تحمل مثل هذه المعطيات يمكن أن تكون لغة صالحة للتفاهم، والاتصال؟ فالخبر هنا عند جمهرة النحاة متعلق بكون عام، وسواء أَرْضِينَا بهذا التأويل أو رددناه، فالنصّ عربي فصيح مفهوم الدلالة، فـ"محمد في المدينة" يعني هو مستقرّ فيها، و"الطفل في المنزل"، لا يمكن أن تتصرف دلالاته إلاّ على وجود هذا الطفل في ذلك المكان، فإن أراد القائل أن يزيد على ذلك، وهو الذي يسميه النحاة الكون الخاص، وجب عليه إظهار هذا المتعلق، إلاّ أن يكون في سياق يجليه، كقوله تعالى^(٥٧) (الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد)؛ أي يُقْتَل، فالدلالة هي الفيصل، وليست اللغة ضرباً من المبهمات.

ويتناول الأفعال الناقصة، ويضرب فيها بلا وعي ودون مُسْكَة من علم، أو وقفة من فكر، فبعد أن يتناول تلك الأفعال يعرّج على حالة تمامها، ويذكر بعض الآيات التي جاءت فيها تامة نحو قوله تعالى^(٥٨) (سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون)، وي طرح سؤالاً ساذجاً "هل لنا أن نعرف الفرق بين الفعل التام والناقص؟ ويردّ قائلاً^(٥٩):"وهنا قد نجد من يقول: مهلاً فهذا شذوذ، ولكل قاعدة شذوذها، وأنا أقول له: هذا خروج صريح ياسيدي وليس شذوذاً... وإنه ليستوي عندي إذا قلت:"كان أحمدُ فائزاً، أو "كان أحمدُ فائزٌ"، أو "كان أحمدُ فائزٌ"، فالمطلوب والمدلول وصل إلى العقل ولا حاجة بي إلى رفع أو نصب أو جرّ".

٥٧. البقرة: ١٧٨.

٥٨. الروم: ١٧.

٥٩. جنّاية سيبويه: ٣١.

و غاية الرجل التي يدور ويدور ليصل إليها هي الدعوة إلى إلغاء الإعراب، ولكن المشكلة في سبيله إلى الوصول إليها. وها نحن نراه يفتعل مشكلة، ويرد القول بشذوذ مجيء الفعل الناقص تماماً، ومجيئه تماماً مجمع عليه، من قبل الدلالة أولاً، لا التنظير. وهذه المعركة الدونكيشوتية وهمية لا يجاوز غبارها رأسه.

ثم يتناول الجملة الفعلية، وَيَنْقَضَ ههنا على تسمية الأفعال، ويعلق قائلاً^(٦٠): "وهنا يتضح من تسمية هذه الأنواع أن مفهوم تأثير الزمن وهو أهم ما يميز الاسم عن الفعل غائب عند السادة النحاة، فالفعل المضارع هو حدث "فعل" يحدث في الزمن الحاضر، وقد سمّوه مضارعاً لأنه يضارع الاسم في حركاته، فهو مرفوع مرة ومنصوب مرة ومجزوم أخرى، وعليه فالتسمية تتجاهل الزمن".

أما تسمية "المضارع" فلننظر قول سيوبه في علة تسميته^(٦١): "وإنما ضارعت أسماء الفاعلين أنك تقول: إن عبد الله ليفعل، فيوافق قولك: لفاعل، حتى كأنك قلت إن زيدا لفاعل فيما تريد من المعنى". ولا ندري كيف يجهل باحث يزعم أنه أشبع قضاياها بحثاً أن المضارع فعل يمتاز بالحيوية، وأن النحاة لم يكونوا غافلين عن هذه الحقيقة، فالمضارع لا يحدث في الزمن الحاضر، وهذا ينبغي أن يكون فهم شدة النحو لا المصلحين أمثال السيد أوزون. على أننا لا ننكر أثر نظرية العامل في تسمية المضارع، كما نعترف بمشكلة نقصي دلالة الزمن في الأفعال العربية، وأنها حقل خصب يفتقر إلى الكثير من الدراسات، لا التهويش والصياح.

60. نفسه: ٣٥.

61. الكتاب: ١٤/١.

ويتناول الأفعال الجامدة، ويردف قائلاً^(٦٢): "وما دمنا نتحدث عن الأفعال الجامدة (لاحظ ذلك المصطلح البشع: فعل جامد) فإننا نتذكر أفعال التعجب... فلا يحق لنا عند أهل اللغة أن نتعجب إلا بإحدى الصيغتين: ما فعله! وأفعل بـ" فتأمل. إنك إذا شاهدت بيتاً جميلاً فإنه يتوجب عليك أن تقول: ما أجمل البيت، أو أجمل بالبيت! ما هذه الديكتاتورية اللغوية؟ ومتى كانت قواعد اللغة تدخل الأحاسيس البشرية، لتعلمنا كيف نتعجب وكيف نهوى، ألا يحق لي أن أقول: يا لجمال البيت مثلاً، أو "يا لطيف شو حلو هالبيت"؟

والرجل لا يزال يخلط الحق بالباطل، ومن ذا الذي يحجر على مشاعره وأحاسيسه؟ فهاتان الصيغتان ارتضى العرب الفصحاء أن تكونا الصيغتين القياسيتين للتعجب، وهم لم يصنعوا ذلك حجراً على المشاعر، ولا حبساً للعواطف، بل أرادوا أن يجعلوهما صيغتين واضحتين مشهورتين لا لبس فيهما، علماً على هذا الشعور لمن أراد أن يستخدمهما، ولننظر فقه هذا الباب عند سيبويه؛ إذ يقول في "ما أحسن عبد الله"^(٦٣): "وزعم الخليل أنه بمنزلة قولك: شيء أحسن عبد الله، ودخله معنى التعجب، وهذا تمثيل ولم يُتكلّم به. ولا يجوز أن تقدم "عبد الله" وتؤخر "ما" ولا تزيل شيئاً عن موضعه". وكسل هذا الحرص من سيبويه -رحمه الله- من أجل أن تخلص الصيغة للتعجب. على أنهم بعد ذلك استخدموا ما لا يحصى من الصيغ التي يعرف أنها للتعجب بالقرينة، ومقدرة المتكلم على استجلائها.

٦٢. نفسه: ٤٠-٤١.

٦٣. الكتاب: ١/٧٢-٧٣.

فهلّا حجرت هاتان الصيغتان على شاعر بليغ في عصر البلاغة
والفصاحة من أن يتعجب إلا بهما حين قال^(٦٤): "واها لسلمى ثم واها واها".
وسأضرب مثلاً آخر يقرب المسألة وإن كان يختلف شيئاً ما عن مسألة
التعجب، فصيغ اسم الآلة القياسية ثلاث مفعّل ومفعّل ومفعلة، وثمة عشرات
خارج هذه الصيغ، فهل سمعت ياسيد "أوزون" أن أحداً خطأً من يقول جرّافة
وأن صوابها مجراف، أو نحو ذلك. فعلام هذا الضجيج وإيهام القارئ أن
اللغة ليس فيها إلا ما تقول، حتى تصمها بالتخلف؟ أما "شو حلو هالبيت"
فمجاله الشارع، وليس اللغة الفصيحة.

ثم يعرّج على نائب الفاعل، في نحو: "كُسِرَ الزجاج"، ويردّف
قائلاً^(٦٥): "تأمّل ذلك الإعراب العتيد والذي يفيد بأنه عندما لم نجد الفاعل
(أحمد) جعلنا الزجاج ينوب عنه، فيكسر نفسه، فهو نائب فاعل، كيف يمكن
أن نقبل على مرّ أكثر من ألف عام على هذا الهراء؟ أن تتوب حركة آخر
الكلمة عن موقع الكلمة الحقيقي...". ويحمل على البناء للمجهول،
ويقول: "كيف نبني أمراً على المجهول، وهل يبني شيء على ما يسمّى
المجهول؟"

ولا بدّ ههنا أن نعترف أنه ليس من اليسير مخاطبة أوزون وهو
يحمل هذا الفكر، فبادئاً لم يعرف سيويوه المبني للمجهول، ولا نائب الفاعل،
وربّما أطلق عليه "فعل"^(٦٦). كما تقضي الأمانة العلمية أن يذكر أن ثمة
مصطلحاً آخر شائعاً للمبني للمجهول، وهو "ما لم يُسمَّ فاعله"، ونجده مبكراً

٦٤. البيت لرؤية في ملحق ديوانه: ١٦٨، وهو أيضاً في: شرح المفصل: ٧٢/٤، المغني:

٤٨٣، وأوضح المسالك: ٨١/٤.

٦٥. نفسه: ٤٣.

٦٦. ينظر الكتاب: ٣٤٢/١، و ٤١/٤-٤٢.

عند الكسائي^(٦٧) والفراء^(٦٨). ومما لا شك فيه أن إساعة المتأخرين لهذا المصطلح كـ "ابن جني، والعكبري، وابن عقيل وابن هشام"، إنما كانت لهدف تعليمي بالدرجة الأولى، فالنيابة شكلية لا معنوية، ولا أظن أن عاقلاً يقع في نفسه أن النيابة عن الفعل نيابة حقيقية، وهذه حقيقة لا تتطلب الكثير من البحث. أما سؤال السيد أوزون كيف نبني شيئاً للمجهول؟ - في إشارته إلى الفعل - فلا محل له؛ لأن الفعل المبني للمجهول من الناحية الدلالية - على الأغلب - يحمل قدراً من التعمية، حقيقياً كان أم بلاغياً، فهي تسمية لا تخالف دلالاته.

ويتناول الأفعال الخمسة، وإعرابها، ويقول^(٦٩): "عندما تعرب الفعل يكتبان" فإنك تقول فعل مضارع مرفوع، وتنتظر لترى الضمة أو الواو أو أية حركة تشير إلى الرفع، ولكنك تدهش عندما تجد أن علامة الرفع هي ثبوت النون".

وإننا لنعجب مرة أخرى، فمن ينتقد هذا الرجل اللغة أم النحاة؟ ولكن العجب سرعان ما ينقضي عندما يقول عما قليل: "أن أكثر من نصف ناطقي اللغة العربية المحكية (العامية) يقولون للفتاة عند مخاطبتها: "تلعبين" و"تكتبي"... شاء ذلك النحاة أم أبوا". والرجل يرى العيب في اللغة، لذلك لا يتورع عن الدعوة إلى العامية صراحة ههنا.

وآخر ما يخوض فيه الكاتب - في هذا الفصل - هو الفاعل، ويتناول المثال الآتي: "الرجل جاء إلى البيت" ويحمل على من يجعل الفاعل

٦٧. ينظر معاني الكسائي: ٦٣.

٦٨. ينظر معاني القرآن، على سبيل المثال: ١١٢/١، ١٤٦، ٣٠١، ٣٥٧.

٦٩. نفسه: ٤٥.

ههنا مستتراً، ويقول^(٧٠): "ما هذا التأويل الغريب؟ وما هذه القواعد الشاذة عن الفهم والإدراك؟ إن القائم بالفعل هو الرجل سواء جاء قبل الفعل أو بعده". والرجل لا يعرج على كوفيين ولا بصريين، فضلاً عن تجاهل المحدثين، ولو أنه عرض لآراء النحويين في هذا الصدد ثم أفضى إلى شيء لهان الأمر، فهذه من أكثر القضايا الخلافية شهرة عند النحاة، والكوفيون يجعلون هذه الجمل من باب الجمل الفعلية، وهو خلاف يمكن أن يقع عليه كل قارئ للنحو فضلاً عن الباحثين، وقد مرّ آنفاً في الكلام على الجملة الاسمية.

ولا بدّ من الإشارة ههنا إلى أن السيد أوزون قد يكون اطلع على تقرير لجنة المعارف المصرية، وقرارات مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٤٥م. وتقرير اللجنة، وقرارات المؤتمر من أكثر القرارات جرأة في النظر إلى الكثير من إعراب الصيغ والتراكيب العربية، وهي تشكل منظومة متكاملة، وإن لم يحالفها النجاح. وقد تأثر - على الأغلب - ببعض تلك الآراء وإن لم يُشر إلى ذلك.

ويعرض لقوله تعالى^(٧١) (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة)، ويعرب " أنت " هنا الفاعل، ويردّ استتار الضمير، والإشكال ههنا قد يحمل على رأي، ولكن سرعان ما تتقلب المسألة، ويظهر الرجل جهلاً مزرياً باللغة و فنونها، إذ يقول^(٧٢): " فهل يحتاج الخالق - عزّ وجلّ - أن يؤكد لآدم ما يتوجب عليه فعله، وأمره بين الكاف والنون". فهل يستحق مثل هذا الفكر أن ينصب من صاحبه مصلحاً للغة؟ وهل اطلع هذا الرجل على أساليب التوكيد في القرآن الكريم، وفقهها؟ وأي شيء يعرف عن سنن العربية وبلاغتها في

٧٠. نفسه: ٥٠.

٧١. البقرة: ٣٥.

٧٢. نفسه: ٥٣.

هذا الباب؟ فالقرآن الكريم حافلٌ بهذا النمط من التوكيد^(٧٣)، فقد نزل بلسان قوم من سنن بلاغتهم التوكيد والتكرار، فخطبهم بما يحسنون. وأطرح ههنا سؤالاً على "أوزون" ومذهبه في التفسير، على أي وجه يفسر البدء بالاستفهام في ست سور^(٧٤)، وأولها قوله تعالى^(٧٥) (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) وهو - جلّ وعلا - يعلم ما كان وما سيكون؟

ويتناول في مستهل الفصل الثالث الاسم، ويعرض منه للمعرفة والنكرة، ونتوقف عند بعض الآراء التي يطرحها؛ لنعرف مقدار فقهه لهذا الباب من العربية، وبيدأ بالمعرفة فيتوقف عند "العلم" فيقول^(٧٦): يتألف عند الأشخاص من اسم وكنية ولقب، وقد استبدل اللقب في بطاقتنا الشخصية بالنسبة، وحتى يومنا هذا فإنه يتم الخلط بين اللقب والكنية، فلا يروق الأمر لأهل اللغة، وتصدر الإشارة هنا إلى أن اسم الأشخاص لا يكون علماً (معرفة) بدون جزئين رئيسيين هما الاسم واللقب (النسبة).

وأين النصوص المسمارية من هذا الذي يلقيه علينا "أوزون"؟ وأي شيء يريد هذا الداعية؟ غير أن هذه الغمغمة تفصح في آخر كلامه عن شيء مفهوم، إذ يقول^(٧٧): "فإذا سرت في الشارع السوري في دمشق وناديت يا محمد" تجد عدداً من الأشخاص يلتفت إليك، بمعنى أن اسم محمد لم يعد معرفة بحد ذاته". والرجل يحسب بأنه ينبغي للناس أن تتقاذف بالحجارة حين

٧٣. ولو كلف الأستاذ أوزون نفسه واطلع على ما سطره الإمام "الزركشي" (٧٩٤هـ) في "الخير" و"التوكيد"، في كتابه "البرهان في علوم القرآن" تحت فصل "في أقسام معاني الكلام"، ٤٢٤/٢، وما بعدها، و٤٨٥/٢ وما بعدها، لرأى من هذه الأساليب الكثير.

٧٤. وهي إضافة إلى سورة الدهر: النبأ، الغاشية، الشرح، الفيل، الماعون.

٧٥. الإنسان: ١.

٧٦. نفسه: ٥٨.

٧٧. نفسه: ٥٨.

ينادي بعضها بعضاً، حتى لا يلتفت من في السوق، وأن الرجل في الماضي كان يقف في شوارع مكة ويرفع عقيرته وينادي يا عمرو فيسارع إليه المقصود.

إنّ العلم يا أستاذ "أوزون" لا يضيره أن يشترك فيه مئات الملايين، لأن الناطق لا يمكن أن يتحدث مع شخص عن علم لا يعرفه، فلو قلت لشخص ما: صادفت محمداً هذا الصباح، فدلالة هذا العلم تتعقد بين القائل والسامع، وإلا لغدت اللغة هراء، لا رابط لها، ولهذا ارتقت النكرة المقصودة بالنداء إلى مرتبة العلم، وبُنيت بناءه. ونراه يسير على هذا النهج الساذج، في سائر المعارف، من دون أن يستند إلى حقيقة أو رأي أو استخدام لغوي.

فهو يرى أن الضمائر المتصلة (النون، التاء، الواو، الألف، الياء) لا يمكن أن تكون معارف؛ لأنها أحرف، حتى ولو اعتبرناها في وهما - كما يقول - فاعلاً قام بالفعل^(٧٨). كما يرى أن الهاء في أسماء الإشارة من بنية تلك الأسماء، وليست للتبنيهِ، فلا يوجد من ناطقي لغة الضاد المحكية من يقول دان، و "تان" و "تي"، ويعقب قائلاً^(٧٩): "وأنا أرى أنّ أسماء الألفاظ هذه ليست أسماء أصلاً، فهي أدوات والأدوات ليست معارف، وهل قولنا للشيء "هذا" يعني معرفته؟"

وهو يخرج الأسماء الموصولة من المعارف، ويعدها أدوات أيضاً، والدليل أنه يمكننا القول: "جاء الذي لا يعرفه أحد"، فيتضح تماماً أن الذي جاء غير معروف من أي شخص^(٨٠). ويرد قائلاً: "وهناك قاعدة غريبة عند

٧٨. نفسه: ٥٩.

٧٩. نفسه: ٦٠.

٨٠. نفسه: ٦٠.

النحاة، فالاسم الموصول الواقع بعد الاسم المعرف بـ(أل) يعرب صفة له،...قبَلها العقل أو رفضها، فنحن نطبق قرآن النحاة...، عندما أقول الشاب الذي فهل أنا أصفه؟ وعليه فيجب إعادة النظر بشكل كامل في ما يسمّى بالأسماء الموصولة" وينهي كلامه على المعارف دون التعرض للمعرف بـ"أل" أو المضاف أو المنادى لأنها لا تقدم ولا تؤخر، على حدّ قوله"، فالرجل نفص يديه من محاولة الشرح والتعليل دونما فائدة.

إن الضمائر المتصلة ظاهرة من الظواهر المشتركة في اللغات السامية، ولا يملك أوزون ولا غيره ردّها. ولو سلمنا بهذا الذي يقوله فيها، فكيف سنفهم مقاصد اللغة؟ ولم يتحفنا السيد أوزون بماهية هذه الأحرف التي تخلف الضمائر. أمّا أسماء الإشارة، فلا يدري، ولا ندري على أي شيء يستند في نفي زيادة هاء التنبيه فيها؟ وكأنه لم يسمع بقوله تعالى^(٨١) (ها أنتم أولاء)، ولا بالنصوص والأشعار التي لا يداخلها الشك^(٨٢)، فضلاً عن آراء اللغويين الذي حلّوا هذه الأسماء، وزياداتها، ودلالاتها، وفصلوا القول فيها^(٨٣). ولا أريد أن أذكره بالبيت المشهور لأبي الطيب المتنبي:

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم

وأما فيما يتعلّق باللهجة المحكية فإذا أردنا أن نجاري "أوزون" فاللهجة العامية ليس فيها من العربية الفصيحة إلا اسم إشارة واحد هو "هذا"، وكل اللهجات تقريباً تنطقه بصورة تختلف عن العربية الفصيحة، فتتحول فيه

٨١. آل عمران: ١١٩.

٨٢. ينظر في زيادة هذه الهاء "العربية الفصحى" لهنري فليش: ١٦٥.

٨٣. ينظر على سبيل المثال: الكتاب، ١٩٧/٢، ٣٥٣. وأوضح المسالك، ١٣٩/١. والهمع:

٢٤٨/١ والنحو الوافي: ٣٠٠/١.

"الذال" مرة مفخمة، وأخرى زايًا وثالثة دالاً، بل إن في اللهجة المصرية - التي يحبّ السيد أوزون أن ينصّبها نموذجاً- ما ينقض كلامه، فهم ينطقونها بلا هاء.

أمّا إخراج اسم الإشارة واسم الموصول من المعارف؛ لأن قولنا للشيء: " هذا " لا يعني معرفته، وكذلك القول: "جاء الذي لا يعرفه أحد" فهو فهم ساذج. وثمة مسألة مشهورة من مسائل الخلاف، في ترتيب المعارف، وقد جعل البصريون الاسم العلم في مرتبة تسبق اسم الإشارة، وخالفهم الكوفيون، وجعلوا الإشارة أعرف، وقال ابن الأنباري^(٨٤): أمّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إن الاسم المبهم أعرف من الاسم العلم، وذلك لأن الاسم المبهم (اسم الإشارة) يعرف بشيئين: بالعين وبالقلب، أمّا اسم العلم فيعرف بالقلب وحده". ولعل هذه من المسائل المعدودة التي أيد فيها الكوفيون، بل يذكر أن أبا بكر بن السراج ذهب إلى أن أعرف المعارف هو اسم الإشارة^(٨٥).

أمّا الاسم الموصول، الذي أخرج من المعارف أيضاً، بحجة أنه يمكننا أن نقول: "جاء الذي لا يعرفه أحد" فمردود إن لم يكن في سياق محدد؛ لأنه يقتضي أن يكون مجهولاً جهلاً تاماً من الجميع، وهو من قبيل المغالطة، وهذا الذي يلقيه ليس كلاماً؛ لأنه لا يفيد، ولكنه يغدو صحيحاً حينما يكون في سياق مفهوم. وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة تسمّى المبهمات؛ لوقوعها على كل شيء عاقلاً كان أو غير عاقل، فكما يزول إبهام

٨٤. مسائل الخلاف: ٧٠٨/٢، وينظر: شرح الكافية: ٣١٢/١، وحاشية الصبان: ٢٠٢/١.

٨٥. نفسه: ٧٠٨/٢.

أسماء الإشارة بما يصاحبها من إشارة حسية، فإن الاسم الموصول يزول إبهامه بالصلة، التي تجلي المقصود به.

فبين العلم من جهة واسم الإشارة والاسم الموصول من جهة أخرى فرق يُبَيِّن، فالعلم معروف بطبيعة الوضع، وهو محدود من قَبَل الكلام عليه، وتعريفه مكتسب، أما أسماء الإشارة والأسماء الموصولة فتعريفهما يفتقر إلى عنصر خارج عنهما، وهذا العنصر هو المعنى بالتحديد في هذه المعرفة، فتعريفهما من قَبَله لأنهما يفتقران إليه، وهي أسماء لا تمثّل إشارة إلى كيان أو هيئة مستقلة منوطة بها، كما في العلم، على اختلاف في المعنى بين الموصولات والأسماء الإشارية، وغياب هذا المفهوم عن السيد أوزون يفضي إلى هذا الخلط.

أمّا عجب السيد أوزون من وقوع الاسم الموصول نعتاً، فأعجب منه هذا النهج الذي ينهجه. فلا أحد يقول: "الشاب الذي" كما يزعم، لأن الموصول بلا صلة - كما رأينا آنفاً - لا معنى له. وأمّا من حيث مفهوم النعت فالمعروف أنه ينقسم بشكل عام قسمين؛ الأول الأسماء المشتقة العاملة، والقسم الثاني ما في معناها، والمعنى به كل الأسماء الجامدة، التي تشبه المشتقات في الدلالة عليها، بعد تأويلها بما يناسبها، وعلى رأسها جَلّ أسماء الإشارة، وجَلّ الموصولات، وتؤكد هذه التبعية في حالتَي التنثية والجمع. ونجد ابن الحاجب يقول^(١٦): "إن معنى النعت أن يكون تابعاً يدلّ على معنى في متبوعه، فإذا كانت دلالاته كذلك صحّ وقوعه نعتاً، ولا فرق أن يكون مشتقاً أو غيره"، وهذا فقه دلالي للنعت.

(يتبع)

١٦. شرح الكافية: ٣٠٣/١.

ثالثاً: تعليقات ومناقشات

توقيعات البقاعي على نسخة من كتابه أسواق الأشواق

د. محمد حسان الطيان
الجامعة العربية المفتوحة بالكويت

تمهيد لغوي:

جاء في اللسان: " والتوقيع في الكتاب: إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه، وقيل هو مشتق من التوقيع الذي هو مخالفة الثاني للأول. قال الأزهرى: توقيع الكتاب المكتوب أن يحمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول، وهو مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير، فكان الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكد ويوجبه"^(١).

وضرب الزبيدي في تاجه بعض الأمثلة للتوقيع فقال: " كما إذا رفعت إلى السلطان أو الوالي شكاة فكتب تحت الكتاب أو على ظهره: ينظر في أمر هذا، ويستوفى لهذا حقه. ورفع إلى جعفر بن يحيى كتاب يشتكى فيه بعامل فكتب على ظهره: يا هذا، قد قل شاكروك، وكثر شاكوك، فإما عدلت، وإلا اعتزلت. ورفع إلى صاحب بن عباد كتاب فيه أن إنساناً هلك، وترك يتيماً، وأموراً جليلة لا تصلح لليتيم، وقصد الكاتب إغراء صاحب بأخذها، فوقع صاحب فيه: الهالك رحمه الله، واليتيم أصلحه الله، والمال أثمره الله، والساعي لعنه الله"^(٢).

(١) لسان العرب: (وقع)

(٢) تاج العروس: (وقع)

على أن من أطرف التوقيعات التي قرأتها توقيعا كتبه الخليفة العباسي
الناصر (٦٢٢ هـ) في ورقة كتبها إليه خادم له اسمه يُمن يتعنتب، نصه:
"بمن يمنُ يمن، ثمن يُمن ثمن ثمن" (٣)

ويقال إن الخادم أعاد الجواب وقد كتب فيه: "يمنُ يمنُ بمن ثمنُ يمن
ثمنُ ثمن" (٤).

وقد نظم بعضهم هذا في بيت جعله أرباب التعمية (الشفرة) من
الأبيات التي يُعمى بها للمعاينة أي للمعانة والإجهااد في طلب الحل:

بِمَنْ يَمْنُ يَمْنُ يَمْنُ بِمَنْ ثَمْنُ يَمْنُ ثَمْنُ ثَمْنُ (٥)

ومن هنا جاء مصطلح المخطوطات الموقعة، إذ هي المخطوطات التي وقّع
عليها مؤلفوها بإجازات أو معارضات أو إضافات أو سماعات. على أن
دلالة المصطلح توسعت لتشمل المخطوطات التي كتبها مؤلفوها بخطهم،
أو غير ذلك مما اشتملت عليه محاور مؤتمر المخطوطات الموقعة الذي
عقد في مكتبة الإسكندرية ٢٦-٢٨ إبريل ٢٠٠٥.

ويقدم هذا البحث واحدة من المخطوطات الموقعة بالمفهوم الأول
لمعنى التوقيع.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٠٠، والوافي بالوفيات ٦/٣١٥

(٤) الوافي بالوفيات ٦/٣١٥

(٥) علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب ٢/٢٢٥، ٢٨٧

١ - ترجمة البقاعي:

لابد لنا قبل الوقوف على توقيعات البقاعي على مخطوطه هذا من الإمام بترجمة الرجل حتى نتبين مكانته ومنزلته، فما أهمية توقيع لمن لا أهمية له؟! ومما مكانة توقيع لمن لا مكانة له!؟

والحق أن المنتبغ لذكر الرجل في كتب التواريخ والسير والتراجم يروعه ما تبوأ من منزلة، ويذهله ما احتلّ من مكانة. وحسبنا أن نقدم هنا نبذة عنه مشفوعة بأمثلة من الفنون التي برع فيها، وطائفة من أقوال العلماء فيه، لنقف على حقيقة ذلك كله:

هو إبراهيم بن عمر بن حسين الرُّباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب ومقرئ مفسر محدث، ولد في البقاع سنة ٨٠٩هـ = ١٤٠٦م، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، أخذ العلم عن طائفة من علماء عصره أشهرهم ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري، وتخرج به خلق كثير، ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٨٨٥هـ = ١٤٨٠م.

خلف البقاعي عشرات المؤلفات في فنون شتى تشهد بعلو كعبه ومكنته.

فله في التاريخ: "إظهار العصر لأسرار أهل العصر" و "عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأعيان" و "مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وثلاثة من الخلفاء الراشدين".

وله في التفسير: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" و "الفتح القدسي في آية الكرسي".

وفي القراءات و التجويد: "ضوابط الإشارة إلى أجزاء علم القراءة " و "القول المفيد في أصول التجويد لكتاب ربنا المجيد " .

وفي الحديث: "الإعلام بسن الهجرة إلى الشام " و "النكت الوفية بما في شرح الألفية " .

وفي الأدب: " أسواق الأشواق من مصارع العشاق " و "إشعار الواعي بأشعار البقاعي" .

وفي الحساب: " السباحة في علمي الحساب والمساحة " . وغيرها وغيرها كثير . فقد بلغت مؤلفاته خمسة وخمسين كتاباً وفق الإحصاء الذي صنعه الأستاذ خير الله الشريف في مقاله القيم " الإمام البقاعي ومؤلفاته " ثم أوصلها الأستاذ محمد مجير الخطيب إلى سبعة وخمسين في تقديمه لكتاب الإعلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام . ثم أوصلها أخيراً د. عبد الحكيم الأنيس إلى ستة وستين مؤلفاً، وذكر أنه طبع منها اثنا عشر كتاباً . ولعل من وراء ذلك كله كتباً أخرى لم يبلغنا علمها (١) .

٦ . انظر الإعلام للزركلي ٥٦/١ ، ومقال " الإمام البقاعي ومؤلفاته " للأستاذ خير الله الشريف في مجلة آفاق الثقافة والتراث العدد التاسع المحرم ١٤١٦ - يونيو (حزيران) ١٩٩٥ ص ٧٧-٨٨ ، وكتاب الإعلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام ٦٤-٧٠ ، والفتح القدسي في آية الكرسي ص ٤٤ .

ومن أمعن النظر في الكتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول والمنقول .

أما أقوال العلماء فيه:

فيقول عنه السيوطي (٩١١هـ) في نظم العقيان في أعيان الأعيان ص ٢٤: "العلامة المحدث الحافظ.....مهر وبرع في الفنون ودأب في الحديث ورحل.....وله تصانيف حسنة"

ويقول فيه داود الأنطاكي (١٠٠٨هـ) في تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ص ٩: "وحيد زمانه ورئيس أقرانه، وواحد عصره، ونادرة دهره...".

ويقول عنه ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) في شذرات الذهب: "المحدث المفسر الإمام العلامة المؤرخ .. برع وتميز وناظر.. وصنف تصانيف عديدة من أجلها المناسبات القرآنية.. وبالجملة فقد كان من أعاجيب الدهر وحسناته".

ويقول الشوكاني (١٢٥٠هـ) في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: "الإمام الكبير...برع في جميع العلوم وفاق الأقران" ثم يرد على معاصره السخاوي الذي أساء إليه فيقول: "بل تصانيفه شاهدة بخلاف ما قاله، وإنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف، ولكن هذا من كلام الأقران في بعضهم بعض بما يخالف الإنصاف، لما يجري بينهم من المنافسات تارة على العلم وتارة على الدنيا، وقد كان المترجم له منحرفاً عن السخاوي والسخاوي منحرفاً عنه، وجرى بينهما من المناقضة والمراسلة والمخالفة ما يوجب عدم قبول أحدهما على الآخر^(٧).

٧ . انظر الترجمة الضافية التي كتبها د. عبد الحكيم الأنيس للبقاعي في تحقيقه لكتابه "الفتح القدسي في آية الكرسي" ص ١٧-٤٦ وقد أحسن كل الإحسان حين تتبع حياة الرجل مراعيًا التسلسل الزمني لأبرز أحداثها، وختمها بمصادر ترجمته التي بلغت ٢٨ مصدرًا.

٢ - مخطوط أسواق الأشواق من مصارع العشاق:

هذا مخطوط نفيس من المخطوطات الموقعة، وهو إلى ذلك يندرج تحت قائمة ما له نسب عريق من مخطوطات تراثنا العربي الإسلامي، فناسخه تلميذ المؤلف علي بن حسين بن علي بن أحمد السروي، نسخه من نسخة الأصل في حياة شيخه، ثم عارضه على هذا الأصل بقراءة صاحبه وهو المؤلف نفسه، لم يكتف بذلك وإنما وثقه بأن يوقع المؤلف بخطه في آخر كل مجلس من مجالس تلك المعارضة بعبارة:

"بلغ معارضة على أصله بقراءتي. كتبه مؤلفه إبراهيم البقاعي".

ثم ختم هذه المجالس. بتوقيع جاء فيه:

"بلغ معارضة على أصله بقراءتي في مجالس آخرها حادي عشر شوال سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة. وكتبه مؤلفه إبراهيم البقاعي".

فإذا علمنا أن أول هذه المجالس قد أرخ في رمضان سنة ٨٧٣ وآخرها قد أرخ في الحادي عشر من شوال سنة ٨٧٣ تبين لنا على وجه اليقين أن هذه المعارضة وقعت في نحو شهر من عام ٨٧٣ وهو العام نفسه الذي وقع فيه الفراغ من نسخ المخطوط فقد جاء في قيد الفراغ:

"وافق الفراغ من كتابته في سابع عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة على يد الفقير إلى الله تعالى علي بن حسين بن علي بن أحمد السروي الأزهرى الشافعي غفر الله له ولوالديه ولكل المسلمين أجمعين أمين أمين أمين"

أما النسب العريق فأعني به عناية مؤلفه بذكر سنده في روايته لأصل كتابه، وهو كتاب مصارع العشاق لأبي محمد السراج جعفر بن أحمد القارئ

(٥٠٠ هـ) ذلك أن كتابه هذا - أسواق الأشواق - مبني على ذلك الكتاب ومستخلص منه ومن ثم كان المؤلف حريصاً على ذكر سنده إليه وفيما يأتي نصه:

".. وسميته أسواق الأشواق من مصارع العشاق. وقبل الشروع في شيء من الأبواب أذكر سندي بهذا الكتاب فأقول مستعيناً بالله الجليل ضارعاً إليه في التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل:

أخبرني بجميع مصارع العشاق لأبي محمد السراج قاضي القضاة شيخ الإسلام حافظ العصر علامة الدهر أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن الإمام نور الدين بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر الكناني العسقلاني الأصل المصري الشافعي، والشيخة الصالحة الكاتبة الأصيلة عائشة بنت قاضي القضاة علاء الدين علي بن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانية العسقلانية الأصل المصرية الحنبلية إجازة منهما.

قال الأول: أنبأنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزي عن أبي النور بن يونس بن إبراهيم بن عبد القوي الديابيشي، عن العلامة أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة المعروف بابن بنت الجميزي.

وقالت الثانية: أخبرنا جدي لأمي أبو الحزم فتح الدين محمد بن محمد ابن محمد ابن أبي الحزم القلانسي الحنبلي إجازة عن الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المعروف بابن البخاري عن شيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي، بإجازتهما من الجهة العالمية الكاتبة فخر النساء شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الإبري قالت: حدثنا المصنف أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج من لفظه وكتابه سنة ثلاث وتسعين وأربعمئة فذكره.

بقي أن أشير إلى أن هذا المخطوط يتألف من ٢٨٥ ورقة من الحجم المتوسط وهو من محفوظات مكتبة بشير آغا رقم ٥٥٢، وقد صوره معهد المخطوطات تحت رقم ٢٧ أدب كما ذكر المرحوم فؤاد السيد في فهرس المخطوطات المصورة^(٨).

وقد حصلت على مصورة عنه من الأخوين الكريمين والباحثين الفاضلين المهندس محمد الزمامي والأستاذ وائل الرومي، فلهما شكري وتقديري.

وسأورد فيما يأتي ثلاثة نماذج من هذا المخطوط، يبدو في الأول عنوانه واسم مؤلفه، وفي الثاني بدايته (أو الورقة الأولى منه) وفي الثالث سند المؤلف في روايته لأصله وهو مصارع العشاق:

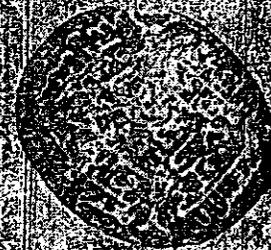
٨ . فهرس المخطوطات المصورة ١ / ٤٢٢ - ٤٢٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات استوائ

من مصارع المشايخ
 ، تاليف سيدنا مولانا الشيخ الامام
 ، العالم العالم العلامة برهان الدين
 ، ابو الحسن ابراهيم بن محمد
 ، حسن الزيات النعاني
 ، الشافعي بفضائله

و بركة
 الملك سيدنا محمد بن عبد الله
 الحاجي بن عبد الله
 كاشغري بن محمد
 ابن الحسين بن محمد



بسم الله الرحمن الرحيم
 حضرت امام دارالعبادة الحاج ميرزا محمد
 بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد
 محمد بن الحسين بن محمد بن محمد
 بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد

٥٥٤



بسم الله الرحمن الرحيم اللهم بسمنا اكرمنا الاكرمين
 قاله الشيخ الامام العالم العادل العلامة المحقق ابو القاسم ابو الحسن ابراهيم بن محمد بن محمد بن
 الرباط البغدادي الشافعي رضي الله تعالى عنه والاسطرلابي وهو من بركات
 الهدى الهمة الخلاقه الذي جعل مصارع العشاق من الحب المعتره وحقها من حجاب
 القلوب الرقيقة والافئدة الشفيفة عبره الدمع المنعمه و اشهد ان لا اله الا الله المتصرف
 في كلوب عباده خفي الاطرافه واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالود والحنان
 صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اجمعين اول الصفاة وعلى انصاره واحبابه التاب عليهم في اللذات
 جميل الوفا ما حرق آلف الى بالونه وقتل مشغوف بسهام الفسق وسبونه اما بعد
 فان كتاب مصارع العشاق لابي محمد جعفر بن احمد السراج تزلزل من اسرار القلوب المتريحة
 سرله الغنى من المحتاج فكان له بسبب ذلك القبول التام والرواج الاعلى كنف الطبع
 مضطرا الى العلاج جعله المصنف في اثنين وعشرين جزءا وكتب اياتا من نظمه على ظهر كل جزء
 تحت اسمه فكتبه على الجزا الاول

هذا كتاب مصارع العشاق
 تصنيف من لزم الفراق فوان
 فاذا تصفحه الليب رثي لهم
 انسرى هوى ايسوا من الاطلاق

وكتب على الثاني

مصارع العاشقين صرعهم
 هوى الظباء الفوا تر الحدق
 تصنيف من صله تصونه
 عن كشف ما في الفواد من خرق
 هو ديسر الهوى ويكتمه
 والقلب قد ناه منه في طرب

وكتب على الثالث

مصارع العشاق مجموعته
 فيها من بقاؤها عسير
 جمع عفيف للبطوى الهوى
 لولم تكن تنفس العبير
 عرايه تا ومقيم وان
 اعده يوم التوى صير

وكتب على الرابع

كتاب مصارع اهل الهوى
 ومن فكت فيه ادى النوى
 تكلف تصنيفه عاشق
 اعفب الفنا برحمة الجوى
 اهل رطل الدوى قلبه
 قبل ناسد قلبه بالهوى

وكتب على الخامس

مصارع قتل من العاشقين
 هذا كتابهم طالع النوى
 تكلف جمع احاد منهم عفيف
 هوى وحده عال النوى
 نسناه الهوى صرف
 صبا يده فاصبح سكرانا الشارب

احضر من جميع مصارع العشائر لاني في السراج كافي القضاة في الاسلام حافظ القصور
علامه الدهر ابو الفضل بن هب الدين احمد بن الامام نوبال بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن محمد بن علي
المصطفى الاصل المهدي الشافعي والشيخ الصالح الكاتب الايه جله عايشه بنت قاضي
القضاة علا الدين بن محمد بن عبد الله بن علي بن ابي الفتح بن هاشم بن اسمعيل بن ابراهيم الكناشي المصطفى
الاصلي المصه المنجيه اجازة منها قاله الاول اسانا ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن المبارك
الغزي عن ابي النون يوسف بن ابراهيم بن عبد القوي الدبايشي عن العلامة ابي الحسن بن محمد بن محمد
بن سنان المعروف بابن بنت الجدي وقالت الثانية اخبرنا جدي ابي ابراهيم بن محمد بن محمد بن محمد
بن محمد بن ابي الحرم الفلاس الحسيني اجازة عن الفخر بن احمد بن عبد الواحد المقدسي الحسيني المصطفى
ابن البخاري عن شيخ الاسلام موفق الدين ابي محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن قدامة المقدسي
الحسيني اجازة من ائمة العالمه الكاتبة خيرة النساء شهيد بنسب احمد بن الفرج بن عمر الجدي
قال حدثنا المصنف ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج من لفظه وخطه سنة
ثلاث وتسعين واربعمائة فذكر المقدمة في رسم العشق وخرقة وما يتعلق به من
هزلك القول وخرقة قال بعض الحكماء لا تظنوا احد من صبيوه الا ان يكون حاسي لظفده او شقير
البيضة او على خلاف تركيب الاعتدال وعمره مطلقا لما ابن ابي طاهر عن علي بن عبد
اتر وقال المصنف رحمه الله اخبرنا ابو طاهر احمد بن علي السواق رحمه الله اخبرني ابو الفتح
محمد بن احمد بن فارس بن ابو الحسين بن عبد الله بن ابراهيم بن بيان بن محمد بن خلف بن ابي بكر بن ابي الكوفي
بن محمد بن حريش السبائي عن ابيه عن ابي سعيد القاسم بن علي بن محمد بن عباس بن ابي عبد الله
قال من عشق ففقت فانت دخل الجنة اخبرنا ابو بكر احمد بن علي الحافظ يعني الغيب رحمه الله ابو
الحسن بن ابي يونس القمي بن محمد بن عمران بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن علي الاشعري
واحمد بن محمد بن مسروق قال لانا سويد بن سعيد نا علي بن مسهر عن ابي يحيى القصاب بن محمد
عن ابي عباس عن ابي عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق لظفده
ففقت فانت مات شهيدا اخبرنا احمد بن علي بن محمد بن عمران بن محمد بن داود بن محمد بن الهادي
واحمد بن محمد بن الجوهري قال لانا احمد بن محمد بن مسروق بن سويد بن سعيد نا علي بن مسهر عن ابي يحيى
القصاب بن محمد عن ابي عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق لظفده
ففقت فانت مات شهيدا قلت قال الحافظ بن علي هذا حديثنا
صحيح وان كان جامع من العلماء العلوي ما ليس بمصلحة يريد بها منهم الحافظ ابو احمد الجرجاني يعني
ابن عدي فانه لما ذكره في الكتاب الكامل قال هذا الحديث احمد ما اكره على سويد وكره ذكر
الحافظ ابو بكر السهوي ابو الفصاح بن طاهر لا كتابه الذي ذكره الحافظ وقال ابو عبد
الحاكم بن تاريخ بنيسابور انما هذا الحديث فانه لم يحدثه غير سويد وهو داود
وانه محمد يعني المذكور في الطريق المذكور في باب الزهاد من عتبات الحافظ بن علي بن داود
الظاهر في كتابه مطلقا وذكر الحافظ ابو محمد بن الحسين القاري حديث ابي عبد الله

٣ - مواضع توقيعات المؤلف على النسخة:

تتبع مواضع التوقيعات التي وقعها المؤلف على نسخة المخطوط هذه بغية إحصائها فوجدتها قد بلغت ستة عشر توقيعاً بعدد المجالس التي تمت فيها معارضة المخطوط بأصله، وفيما يأتي جدول يبين أرقام الورقات التي حملت هذه التوقيعات مرتبة وفق ورودها في المخطوط وإلى جانبها رقم المجلس الذي يفترض أن التوقيع قد تم فيه:

رقم الورقة في المتسلسل	رقم المجلس	رقم الورقة في المتسلسل	رقم المجلس
ب/١٣٤	٩	ب/٩	١
ب/١٧٠	١٠	ب/٤٠	٢
ب/١٨٩	١١	أ/٦٤	٣
ب/٢٢٠	١٢	أ/٦٦	٤
ب/٢٢٤	١٣	أ/٧٥	٥
ب/٢٤٥	١٤	أ/٨٩	٦
أ/٢٦٢	١٥	أ/١١٠	٧
ب/٢٨٥	١٦	ب/١١٣	٨

وسأورد فيما يأتي ثلاثة نماذج من هذه التوقيعات:

يسبدو في الأول التوقيع الأول في الورقة (ب/٩) وهو يشتمل على تاريخ أول مجلس تمت فيه معارضة المخطوط (رمضان سنة ٨٧٣).

ويبدو في الثاني توقيع آخر وقع في المجلس التاسع على الورقة (ب/١٣٤).

في كتاب
الشيخ محمد بن
السندي
رضي الله عنه

ان كنت زوجا او مائنا سب ذلك من الامور التي كان في حقها ولا يكفر الصبر عليها وما احسن ما لا
ويؤمن من بعض تكاثرها . اذا طلقت يوما وان كان لي عذر
مخافة اني قد علت لغيري . الى المصير منها ما على غيرها صبر
وانى لا ادري ان النفس الحرة . على هجرها ما يطلعني الى الهلاك انتهى
وقال السراج وجدته بخط احمد بن محمد بن علي الانبوسي في نقله من خطه ما على يزيد بن عبد الله
ابن الخيزع ابو محمد الجوهري نا ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ثنا عبد الرحمن نا عمي عز الدين سمعت
احمدا بن يحيى بن اسد خرا الرازي عنده الهوى واقطوا النفوس عند الصبا ولقد تصدعت
كدي للناشقين من يوم الصادقين وروعت لبيران على انبادهم من ذموع عيا الفواني
كفروب السواني احبها ابو تغلب عبد الوهاب بن قزاة عليه نا ابو الفرج المعاني
بن زكريا الجوري املا ما رايتهم بن محمد بن عمر نا الازدي نا استشهد بن اوس بن داود نا
الاصمالي يعقب قصيده اشده مدحه فيها وسالته الجيوس نا جاني وقال لي يا سيها
لو بدت مكانه فتكث له فذا كلام العرب فقال احسن الشعر ما دخل القلب بلا اول
هذا بعد ان قلت الكله فقال لي انسان يخبره ما اشده ولعله ذكر الفراق اشرك
فقال اوس بن داود في بعض من الفراق من حلى بن محمد بن جيب من غان بن عميل بن مالك
بن جبرير انه قيل له ما كان ابو جاك صانعا حيث تقول

لو كنت اعلم ان احمره دكر يوم الفراق قلت ما لم افعل

قال كان يتلع عينه ولا يرى ظفر اجابه انبا نا ابو بكر احمد بن علي اللطيف نا الشام نا علي بن ابي
هو ابو الحسن القمي الكاتب نا ابو عبد الله محمد بن عثمان نا خبرني محمد بن يحيى قال قال الشاعر
نوب الزمان كسوم واشدها مثل حكم فيه يوم فراق
يا قلب لم عرضت نفسك للوك او ما رايت مصارع العشاق

وسه الى ابن عثمان اخبرني المظفر بن يحيى قال قال بعض الفلاسفة لمرار حقا اشبهت
ولا ما ظلا اشبه بحق المشفق هزله جد وجده هزل اوله لعب واحسن عطف احب
ابو بكر احمد بن علي اللطيف نا الشام نا رضوان بن عمر الدينوري سمعت معاوية بن محمد بن
الصوفي بالري يقول سمعت ابا بكر الصفي يقول سمعت ابراهيم بن الفضل يقول سمعت يحيى
بن مهدي يقول لو كان الحزن الامر شي ما عذبت العشاق لان ذنوبهم ذنوب اضطرار لا ذنوب
اختيار وقال وجدت في مجموع سماه جامع زهر الدير قال اشهدت عبدا من العباد

مسكين اهل المشوق حتى في يوم . عليها تراب الذل بين المنابر
فقال الحسن بنه صاحب هذا الشعر لا والله ما اذله الله تراب فهو على شوق فظل اجاب
وشرفه ونصره وحسنه فقال له ابن المنزولي نا هذا المعنى اهل حق قول هذا الباريد
نا اشهد في نفسه حمر رتبه بقر مشرق ووسط رومنه عليه من الانوار مثل الشهاب
فخطت طر هذا فقال لي المشرك توتم عليه انه قبر ما شوق

بين الروايات انه لما باع زوجها الراضة وعشر غيره شكي امره الى ابن عيسى ففعل ما معنى من
 تطليقها ونقلها الى العدة وسوال امرها في العدة لم يشك في حصول نكاحها انما
 المتابع بحدود ذلك ولذا كثر من حزم باعادته لها طنا فان حين اشرف على تمام الامر
 اعلم رعا لسر صاحب الفصاح قال قلت محمد بن المززيار وثقلته من خط ابن حنبل في
 بعض اصحاب المدائني انا المدائني انا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال فقلت في ذلك
 في كتاب الدياب قال كان بالهيد رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف وكان يبيع عراوات
 عنده اربعة اعم وكان لما عاينته وبما سمعته من افعال ما يدها اضا فنه شديدا واد السير
 الى هشام بن محمد الملك على الرضا فنه من ذلك لان محبها وكره فراها فقلت له بها
 وقد بلغ منها الصبر يا بن عم الانبياء الخليفة لعل الله تعالى ان ينسب لك منه رزقا فيكشف به بعض
 فيه فلا سمع ذلك منها يشبه الخروج فلما تجوز وعنى حتى اذا كان من الرضا فنه على ابي جعفر فكمها
 بقلبه ونبئت له فلبث ساعد شبيها بالعمى عليهم ثم افاق فقال لجمال اخبرني من اهل
 يقول
 بينها نحن من ملائكة بالقاع سوراغا والعيس يهوى هو بنا
 فخطرت خطره على القلب من ذكراك وهنالكما استطعت معيا
 قلت ليبيك اد دعاني لك الشوق والحادي من ردا الطيبا
 ففكر رنا صدور عينا فمفرا من طوي السير طيبا
 دالك ما لغير من دج السير وتول الهداة بالليل هيبا

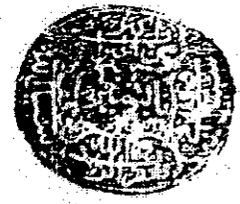
ثم قال لجمال اصح بنا فقال له سبحان الله قد بلغت وهذه آيات الرضا فنه فقال لانه
 لا يخطوا خطوه الا راجعه فرجع حتى اذا كان من المدينة على ندر سيل لقيه بعض بني فاحس
 از ارابه قد توفيت فنه من شهيمه وسقط عن ظهر البعير ميتا قلت انشد الشاهج
 حرد لبعضهم في العنى ان تلحن عن حبيدك عورتكي عليه فادعك الى الدبران
 لانيك لو نذرت طعنا ليين ففعلتم انه من الدبران والمشرق الشمس
 ومن هذري لا اسئل الركن ثم اعللاق وحدى باقيات لها
 ومن سئل الركن ان عرقا غاب فلا بد ان يلقى سيرا واعيا الى النهي
 واحببنا ابو محمد الحسن بن علي ابا ابو محمد بن العباس بن محمد بن الحسن بن محمد بن الرضا بن
 الاصم قال مررت انا وصاحب لي بخاربه عند قبر ابراهيم راحس ولا اجمل منها وعلها شيا
 نطينه وحلى كبره وهي تكي على القبر فلم تزل تبكي من حالها وزجرها وجزها فقلت لاهل
 بلام هذا الحزن الشديد فكنت امر انشأت تقول

قال تسلاي فم حزني فاشي رهينه هذا القبر بافتان
 وان لا سمحه والبره شيئا كاكنت اسحقه حين يراني
 فحينما من طرزا وجمالها واستمعنا منها فقد ما قليلا شو حينا سمعنا تقول
 ولا تقلم يا فسيما هاهنا قول يا صاحب القبر يا من كان يونس وكان كبري الدنيا موانا في

ثم قال لجمال
 انشد الشاهج
 حرد لبعضهم

نرفع ليل بالمشيخ فالحى ونسأظن بطن الصيق السواقيا
 ذكرتك العور التماى لاصعدت تجوز العور من الغز الكرافيا
 فما زلت ارضى العيس حتى كانا ترى بالحصرا اضا بنا الحصر حاميا
 بتدري لا تحت المزليل وصحبتى برفع القضا تراجى الفلاح المزايا
 عنما اردت اجابته قد يستع الله وله المرد ونسلة سيجانه حسن الخا محمود
 الحمد بالحصنه بنه وكرمه انه هو البر الرحيم المهداه رب العالمين وصلوا على سيدنا محمد
 وعلى اله وصحبه وسلم حينما التوتهم الوكيل
 وانق المبلغ من كتابه في سبع عشر مره جادى الاخر
 سنة ثلاث وسبعين ومائى مائة
 على يد العسرا لاصه تال على بن حزن بن علي لله السرك
 الارضى لمن تقي غمرا الله واولديه ونكل للسر
 لعين امير اسر
 امين

المخطوط رقم ١١٠٠
 رقم ١١٠٠
 تاريخ ١١٠٠
 رقم ١١٠٠
 رقم ١١٠٠



ويبدو في الثالث التوقيع الأخير الذي وقَّع في آخر هذه المجالس على
 الورقة الأخيرة من المخطوط إلى جانب قيد الفراغ، وهو يشتمل على تاريخ هذا
 المجلس (١١ شوال سنة ٨٧٣).

٤ - خط البقاعي:

تسنى لي الوقوف على ثلاثة نماذج من خط البقاعي يمكن موازنتها بتوقيعاته التي عرض لها هذا البحث.

أما أولها فهو في نسخة من مخطوط تاريخ البقاعي المسمى "إظهار العصر لأسرار أهل العصر" الذي أراده ذليلاً على كتاب شيخه ابن حجر "إنباء الغمر بأبناء العمر".

وقد أشار العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني في مذكراته إلى أن في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة مسودة "تاريخ البقاعي" بخطه سنة ٨٥٥ - ٨٧٠^(٩)، وقد وقفت على مصورة عن هذه النسخة في مكتبة الأخ الحبيب الباحث المحقق الأديب الشيخ محمد بن ناصر العجمي جزاه الله عني خير الجزاء، بلغ عدد أوراقها ٣٠٠ ورقة تقريباً وفق ما جاء في بطاقتها التي عنونت بمعهد إحياء المخطوطات العربية، وهو الذي يحتفظ بأصلها. وسأثبت فيما يأتي نموذجين منها:

يمثل الأول الورقة الأولى من المخطوط ويبدو العنوان فيها مستدركا على الهامش .

ويمثل الثاني الورقة الأخيرة، ويبدو فيها قيد الفراغ وهذا نصه:

"وافق الفراغ من هذا الديوان سلخ سنة سبعين وثمانين مئة على يد منشئه إبراهيم بن عمر البقاعي..."

٩. الأعلام ١/ ٥٦ .

في سائر الله الرقيب الوهاب
 يحسد الله الذي يتبعه ويحبذ ويتبعه
 الخوارق وافق حواسهم صغارا وكفورا
 انفقوا العزير الجبار واستبدوا بالامم الا الله ذو الجلال والاکمال
 بلا زوال الامم عظيمة وجبروتها من ابديتها وعلى ما كان من ازل لا زال واستبد
 ان سبها ما كره الله الذي قام بحق اليهوديين لا في الاله ولا في الخلق ورسوله الذي بعث
 باعاب الرسل له فليعلم كل عالم بينو محاد وللعمال على الله عليه وعلى اله واوليائه من محمد
 والرسول والائمة وشرفه وكرمه على الامم وكره الخلق او جسد جفانا وحقن دماء
 بهما في شجاعة الاسلام في الفضل في جسد جفانا اعماد الله خير ركائبه على ان كانت
 من ابد الله الانسان المطلق في حليته العنان فلا ان اكبر التبع للوفاء به والحق به
 شغيب عن الغرائب والذوايح كافي كبر لا يجاع عن الناس الا من لا يظن الا بعد
 لا كاست ظاهرا من لا يخبر الا ما شاع حتى ملا لا تظن غير اني اعلمت في كثير مما لم يفتح
 من النقل فوم العقل فما شغبت الخلل يدركه لا شغيب والخلل واشرب
 ان كالحا دنة العجائب من عاستق الجوارب في سفيد الناطر ليدركه كالحا جوارب عفتنا
 الزمان يدعوا وذا فان زاستدوا في جوارب عفتنا واستند عليه ديار القصور
 كمن قال ان كنت مقبلا غايه كالبال على اهل بيته وبعينهم من كالحا جعل لك كبرية
 لا يدعوا وذكرا ما اتاه الله في وانا منه على من بيان ما لم استبق اليه من استرار
 الفنون ومن نظر كالحا نظم الدرر من ثنائيه كالحا في السطور ذلك على ذلك وما
 حصل كعبه واكبره من رفيع المشاك ويطيل المطالب والمدارك بعد ان
 كان يعرف كالحا بحق الميزان والامر الواجب اليقين وان كان انما يعرف كالحا
 بل كالحا فليظن ما كتبه عليه كالحا ايمان اهل العصر واهل الكمال فبما كالحا فليظن
 المشه مشنون وليعلم العالمون ويعلم كالحا العالمون وانه المستحق
 في البلاغ السؤل في كلام الله والوقوف كالحا على الصواب والبراد عن غير الله
 الرمز فضل ومن فضل الله في كالحا من جاد اللهم وفضلنا بفضلك عن غيرك
 والقيل فانك انت خستنا ونعم الرقيب

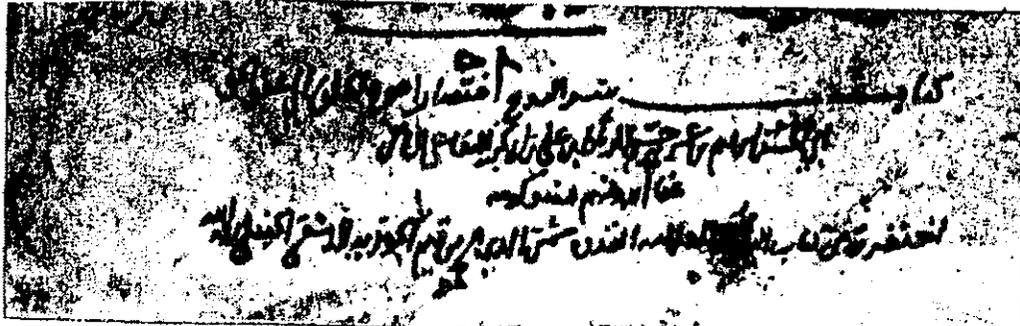
وخالق
 وخالق
 وخالق



و يوم الثلث النلتين من ذي الحجة بعدى عشر فينر عليه من توفيقه الذراع السادسة
 عشر اصبعان او فاما واخره فاراد اللطائف نصوم الله صوم ان
 يقع الشذوذ ذلك اليوم فليمنه الواب الى ان ارضه اليك يوم الاربعاء مستهل
 العام من غدة من غارة اجام عليه نظير ان لا تم نواصيتهم على ان جعل الله
 الخبير ووقفه لما برضبه عنه ويشير له بطائس اكيروا بعد عنه الطائس
 السوء واصل به البلاذ والعبادة على كل شئ تذكير ابن
 ورافق الفروع من هذا الذي ان سلمه سنة ست وثمان مائة على
 اكد الله بها العالم وشار الله على سدا مريد وعلى الله وحده في علم كل شئ



وأما ثانيها - أي نماذج خط البقاعي - فهو في قطعة من مخطوط كتابه "سر الروح" تحتفظ بأصلها الكامل دار الكتب المصرية برقم ٨٥ غيبيات، تيمور. وقد أثبتتها الزركلي في ترجمته لمؤلفها في الأعلام. وفيما يأتي صورة عنها:



وأما ثالثها فهو في قطعة أخرى أثبتتها صاحب الأعلام أيضاً ونسبها إلى مخطوطة في مكتبة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي بتونس وفيما يأتي صورة عنها:

بسم الله الرحمن الرحيم بقولهم افقرنا بخلنا في العفو كما قال
 ابو الحسن ابراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط بن علي بن ابي بكر البقاعي ان الله انما نزل الله
 شامداً بنسب بخط العلامة شمس الله بن محمد بن ابراهيم بن ابي القاسم الشافعي

٥ - موضوع المخطوط ونماذج من طرائفه:

موضوع المخطوط هو أخبار المحبين والعشاق وأشعارهم، وقد توخى البقاعي من تأليفه أن يهذب كتاب مصارع العشاق لأبي بكر السراج (٥٠٠هـ) من جهة، وأن يجمع إلى ذلك ما تضمنه كتاب مغطاي المسمى "الواضح المبين لمن استشهد من المحبين". وكتاب "منازل الأحباب ومنازه الألباب" للشيخ شهاب الدين محمود الحلبي. من جهة

أخرى. وقد بناه على مقدمة وعشرة أبواب^(١٠)، وفيما يأتي نص كلامه الذي يوضح ذلك كله في مقدمته:

"... غير أن المصنف [يعني السراج صاحب المصارع] لم يتعب في ترتيبه ولم يبالغ في تهذيبه، فيذكر في الباب غير محبوب عليه ويثبت من الحكايات ما يمج أو لا ينتشون إليه. وأتى في غضون كثير من الأبيات الخالية من النوادر والحكايات. على أن فيها ما ليس برائق وما يشكل إلا على الأفكار والدقائق، وفرق بعض الحكايات في موضعين إلى غير ذلك مما سواه... فأردت أن أضع كل شيء منه في مكانه وأحذف الغث من خلال سمانه وزدته من نوادر الأخبار ولطائف الأشعار ما تطوبه الأسمار وتتبسط بيهجته الأعمار. وأدخل فيه جميع كتاب الحافظ مغلطاي "الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين" وذكر جميع حكايات "منازل الأحباب ومنازه الألباب" لشيخه الشهاب وكتب أخرى غيرها، فجاء في مقدمة وعشرة أبواب"^(١١).

هذا وقد تخيرت فيما يأتي نصوصا من هذا الكتاب تشتمل على طريف الأخبار وبديع الأشعار لتكون منبهة على ما وراءها:

١٠. تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، بحث للأستاذين محمد الزمامي ووائل الرومي.

١١. انظر الباب الأول من المصدر السابق، وهو بعنوان: منهج البقاعي في أسواق الأشواق ومصادره. وانظر المخطوط الورقة ٢/ب.

• جاء في الورقة ٥٧/أ:

وقال الشهاب محمود : وقيل لأعرابي خلا بامرأة يحبها: ما كان بينكما قال: أدنى ما حرم الله وأقصى ما أحل الله، وما زال القمر يربنيها فلما غاب القمر أرنتيه، ولئن كانت الأيام طالت بعدها لقد كانت قصيرة بها، ولا وجع أشد من الذنوب.

وقيل لبعض حكماء حمير: من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من تحلى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف.

• وجاء في الورقة ١٠٦/ب:

أنشدنا أبو عكرمة الضبي:

قلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو أنني أستغفر الله كلما نكرتك لم تكتب علي ذنوب
ولو أن أنفاسي أصابت بحرّها حديداً إذا ظل الحديد يذوب

وجاء في الورقة ١٠٦/ب:

ومن شعره الجيد (أي العباس بن الأحنف):

نزف البكاء دموع عينك فاستعير عينا لغيرك دمغها مدرار
من ذا يعيرك عينه تبكي بها رأيت عينا للبكاء تعار

وقال الأصمعي: دخلت عليه وهو على فراشه ملقى وهو يقول:

يا بعيد الدار عن وطنه مفرداً يبكي على شجنة
كلما جد الحنين به زادت الأسقام في بدنة

ثم أغمى عليه فأفاق بتغريد طائر على شجرة وهو يقول:

ولقد زاد الفؤاد شجى هاتف يبكي على فنة

ثم أغمي عليه فظننتها مثل الأولى فحركته فإذا هو قد مات.

ومن جيد شعره:

إذا ما شئت أن تبصروا رشيداً يعجب الناس
فصورها هنا فوزاً وصور ثم عباسا
وقس بيئتهما شبرا وإن زاد فلا تأس
فإن لم يدنوا حتى ترى رأسيهما راسا
فكذبهما بما قالت وكذبه بما قاسا

• وجاء في الورقة ١٢٣/أ :

وعن الزبير بن بكار عن ظبية أن حبابة غنت يزيد يوماً فطرب ثم قال لها: هل رأيت قط أطرب مني. قالت: نعم مولاي الذي باعني. فغاضه. ذلك فكتب في حمله مقيداً فلما عرف خبره أمر بإدخاله فأدخل يرسف في قيوده، وأمرها فغنت بغناء:

تسطّ غداً دار جيراننا وللدار بعد غد أبعد

فوئب حتى ألقى نفسه على الشمعة فأحرق لحيته وجعل يصيح: الحريق الحريق يا أولاد الزنا، فضحك يزيد وقال لعمرى إن هذا لأطرب الناس، وأمر بحل قيوده، ووصله بألف دينار، قال ووصلته حبابة ورده إلى المدينة.

• وجاء في الورقة ٢٠٤/ب :

قال أبو السائب المدني كانت بالمدينة قينة وكانت من أجود الناس غناء، فاشتراها رجل من بني هاشم، وكانت تهوى غلاماً أسود من أهل الم ، فقال لها مولاها يوماً: غشيتي، فأنشأت تقول:
إذا شاب الغراب نسيت ليلي وهيأت المشيب من الغراب
أحبُّ لحبِّها السودان حتى أحبُّ لحبِّها سود الكلاب
فقال المولى: والله ما أنا بأسود فمن عنيت؟ قالت: فلانا، قال: أتحبينه؟
قالت: إي والله، قال: فلا عذر لي في حبسك عنه، فهينت بأحسن هيئة ثم
بعثها إليه.

الخاتمة:

حاول هذا المبحث أن يميظ اللثام عن مخطوط غميس من مخطوطاتنا العربية، عورض على أصله بقراءة مؤلفه، وحظي بتوقيع المؤلف في كل مجلس تمت فيه المعارضة، حتى بلغت توقيعاته ستة عشر توقيعاً، مع تأريخ أولها ومنتهاها، ثم عرض المبحث لثلاثة نماذج من خط المؤلف كيما تسهل الموازنة بينها وبين تلك التوقيعات، وختم بتخيير أمثلة من طريف الأخبار وبديع الأشعار التي اشتمل عليها هذا المخطوط ليشير إلى مضمونه ويدلل على أهميته.

مراجع البحث

١. أسواق الأشواق من مصارع العشاق (مخطوط) لإبراهيم البقاعي، نسخة مصورة عن معهد المخطوطات، رقم ٢٧ أدب.
٢. إظهار العصر لأسرار أهل العصر (مخطوط) لإبراهيم البقاعي نسخة مصورة عن معهد المخطوطات، رقم ٢٠.
٣. الإعلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام لإبراهيم البقاعي، تحقيق محمد مجير الخطيب، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧ م.
٤. الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط. (١٤) - ١٩٩٩ م
٥. الإمام البقاعي ومؤلفاته (مقال) للأستاذ خير الله الشريف في مجلة آفاق الثقافة والتراث العدد التاسع المحرم ١٤١٦ - يونيو (حزيران) ١٩٩٥ م.
٦. تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، بحث للأستاذين محمد الزمامي ووائل الرومي، قدم في ندوة داود الأنطاكي التي أقامها معهد التراث العلمي بحلب ٢٠٠٤ م
٧. سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة، بيروت ط. (١) ١٩٨٨ .
٨. تاج العروس للزبيدي، ط. المجلس الوطني للثقافة والعلوم بالكويت، ٢٠٠٠ م.
٩. الفتح القدسي في أية الكرسي لإبراهيم البقاعي، تحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، ٢٠٠١ م.

١٠. فهرس المخطوطات المصورة لفؤاد السيد، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٤ م.
١١. علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب د. محمد مراياتي د. محمد حسان الطيان د. يحيى مير علم. ط. مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الثاني، ١٩٩٧ م.
١٢. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط. (٢) ٢٠٠٣ م.
١٣. الوافي بالوفيات للصفدي، دار فرانز شتاينر بفيسباده، ألمانية ١٩٨٠ م.



استدراك

جاءنا من الأستاذ صبحي البصام الاستدراك الآتي على مقالته "إصلاح كتاب الحيوان للجاحظ" الجزء الأول، المنشورة في العدد الحادي والسبعين، ص ١٣١.

١- سقط في أثناء تبييض لمقالتي (إصلاح كتاب الحيوان - الجزء الأول) المنشورة في العدد السابق من هذه المجلة سطرٌ وهو يلي الكلمة الأخيرة من المادة ٧١ (ص ١٧٤) وهذا نصه: ولو كانت (ما) للسؤال وبعدها لغز في شيء لنبه الجاحظ على ذلك.

٢- جاء في المادة ٧٨ (ص ١٧٨) بيت شعر لعلاج بن شحمة في ابنته مية، وهو:

إن تكُ قد بانَت بمِية غربة فقد كان مما لا يُملُّ مزارُها

وأنا تاركٌ ما كنت علّقت به عليه، ومثبت غيره وهو: وقول علاج (فقد كان) - والقول قبله في مية - مع تأخير اسم كان قد يسبب عثرة في مسار فكر القارئ أو توهمًا، ولذلك هو مغموز بلاغة. ويجوز أن يكون الأصل في عجز البيت (العمرى كانت لا يُملُّ مزارُها) ثم وقع عليه في أثناء روايته ما جعله مغموزاً.

شفيلد:

صبحي البصام



رابعاً: أخبار جمعية

إصدارات

مجمع اللغة العربية الأردني يصدر أول معجم عربي من نوعه "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن"

بعد جهد استمر سبع سنوات، صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن" الذي يشكل نواة وقاعدة يبنى عليها المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة. وقامت "مكتبة لبنان ناشرون" بطباعته وتوزيعه.

وقد جاء هذا المعجم ليسد نقصاً في المعاجم العربية، فالمعجميون التراثيون في معجماتهم الرائدة منذ معجم العين للخليل بن أحمد (المتوفى سنة ١٧٠ هـ)، مروراً بمعجم لسان العرب لابن منظور (المتوفى سنة ٧١٠)، اتجهوا إلى العزوف عن إدراج ألفاظ الحياة العامة، لما تفرضه ظروف العيش من تغيرات وتطورات حضارية.

واقترنت المعجمات التراثية على مفردات العربية عند فصحاء الأعراب، وعند من يوثق في فصاحتهم من القرن الرابع الهجري، مع توشيحها، على حد تعبير كثير من المصنفين، بجليل الأخبار، وجميل الآثار، مضافاً إلى ما فيها من آيات الذكر الحكيم. فيكون الاستشهاد بالآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار. ومن الواضح أن هؤلاء المعجميين قصدوا حفظ أصول اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية. ولم يكن من أهدافهم تسجيل ألفاظ الحياة العامة في الحواضر والأرياف والبادية. وإذا وجدت في المعجمات القديمة مفردات في هذا

المجال فهي قاصرة عن الشمول والاستقصاء، وقد تأتي، على قلتها، غامضة وغير دقيقة التعريف، ولا سيما عندما تتناول النبات والحيوان والأشياء المادية. وإن عدم تدوين المعجمات لمفردات الحياة العامة، لم يمنع استعمالها في كتب الأدوية والصيدلة والطب وكتب الرحلات وكتب الأدب، كما نجد في بخلاء الجاحظ وكتب الحسبة والفقه.. والنوازل.. إلخ.

فاختلاط الشعوب واللغات المختلفة وانصهارها في بوتقة الحضارة الإسلامية، قد أوجد ألفاظاً مختلفة لمدلولات الحياة العامة، فيما نطلق عليه أدب الحواس، في مختلف الأقطار والبيئات. ونحن ننبه، منذ البداية، إلى أن حديثنا عن ألفاظ الحياة العامة في الحواضر والأرياف والبادية، لا يعني الحديث عن العاميات الدارجة أو اللهجات المختلفة، وإنما يعني كل ما يتعلق بأدب الحواس، من مطعومات ومشروبات وملبوسات ومسموعات ومبصرات.. إلخ من ألفاظ حية ومستعملة، وهذا يترجم لنا الحاجة الماسة إلى وضع معجم عربي موحد، يضم بين دفتيه ألفاظ الحياة العامة التي يستعملها المواطن العربي في حياته اليومية، في مختلف أقطاره، وفي جميع بيئاته البدوية والريفية والحضرية بشرائحها الاجتماعية والثقافية، وبين أصحاب مختلف المهن والحرف والأعمال.

إن لغة الحياة العامة في جميع الأقطار والبيئات العربية، على الامتداد الجغرافي، وبالعمق التاريخي، هي لغة حية ونامية ومتميزة ومستمرة استمرار الحياة ذاتها، وهي في الوقت نفسه، سريعة التأثير بالأحداث والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وربما كان لتمازج مفهوم "ألفاظ الحضارة" و "ألفاظ الحياة العامة"، باللغة المحكية في كل قطر عربي، وبالتالي باللهجات المختلفة، تأثير كبير في

الإحجام حتى الوقت الحاضر، عن وضع " المعجم الموحد لألفاظ الحياة العامة".

إن ما تقتضيه أمانى الأمة العربية في نهضتها العلمية ووحدها، وضع معجم شامل وموحد لألفاظ الحياة العامة، ينشر على أوسع نطاق، لكي يمكن الدارسين والباحثين، والأدباء والكتاب والروائيين وكتاب القصة، وواضعي الكتب المدرسية، من التعبير عن أفكارهم بدقة ووضوح وسهولة، ويعينهم على استعمال هذه الألفاظ الموحدة، بمدلولاتها المحددة الموجهة للأدباء والمتعلمين والدارسين والقراء من أبناء قطرهم، وأن يكون " المعجم الموحد لألفاظ الحياة العامة " سائراً بين جماهير الأمة، سائغ الاستعمال في جميع المؤسسات العلمية والتربوية، وفي الصحافة والإعلام المقروء والمرئي والمسموع، وعند أصحاب المهن وغيرهم من شرائح المجتمع في مختلف البيئات العربية.

وقد رأينا، منذ البداية، أن هذا المشروع لا يعنى بالتعابير والتراكيب العامية ولا باللهجات المحلية، وإنما يقتصر على وضع معجم لألفاظ الأشياء والأدوات والأجهزة المحسوسة، من حيث المبدأ، وهي التي يستعملها عامة الناس وخاصتهم في حياتهم العملية واليومية في الوقت الحاضر في مختلف مناحي الحياة، في البيت والشارع والمهن والمؤسسات...، وتفصيح ما يمكن تفصيحه، ولا سيما الألفاظ الدارجة التي تعود إلى أصول لغوية فصيحة.

وبعد سنوات من المبادرات الشخصية والمحاولات المحدودة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي دمشق وبغداد، وعمان، طرح موضوع " المعجم الموحد لألفاظ الحياة العامة" على مجلس اتحاد

المجامع اللغوية العلمية العربية في جلسته المنعقدة في ٣٠/٣/١٩٩٧م، فوجد الترحاب من جميع أعضاء المجلس. واتخذ مجلس الاتحاد القرار رقم (٦) الآتي نصه: "تكلف المجامع ، أن يهيئ كل منها مشروع معجم لألفاظ الحضارة المتداولة في بلده، مع تعريف واضح لكل لفظ، وأن يعنى بضبط الألفاظ، مع ترتيبها ترتيباً هجائياً، ويقدم مشروع المعجم إلى إدارة الاتحاد في القاهرة".

وقد اتفق أن تكون التسمية "المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة" كي يصبح أكثر شمولاً، وأن يكون على مستوى الوطن العربي. فتقرر، أن يقوم كل مجمع عضو في الاتحاد، بوضع مشروع معجم لألفاظ الحياة العامة في قطره، على أن يرسل هذا المشروع إلى مركز الاتحاد بالقاهرة، حيث يخزن في الحاسوب. فتأتي هذه المشاريع من مصر والعراق وسورية والأردن والسودان والمغرب وليبيا، على أن تستكمل فيما بعد المشاريع من بقية الأقطار العربية، التي لمّا ينشأ فيها مجامع للغة العربية . وتبدأ المرحلة الأولى، على وفق خطة الاتحاد، بوضع "المشاريع" وتخزينها في الحاسوب في مركز الاتحاد، يعقبها تشكيل لجان على مستوى الوطن العربي من العلماء واللغويين، لدراسة هذه المشاريع وتمحيصها وتبويبها والخلاص إلى وضع "المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة"، وأن يكتفى بوضع لفظة واحدة أو لفظتين ، للمدلول الواحد، وفق مبادئ وقواعد يتفق عليها، وأن ينشر هذا المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة، على نطاق واسع وشامل في جميع أقطار الوطن العربي، كي يكون مصدراً سهلاً وسائغاً أمام المهتمين والباحثين والدارسين والكتاب وواضعي الكتب المدرسية باللغة العربية.

وقد رأى مجمع اللغة العربية الأردني في هذا العمل مشروعاً قومياً ولغوياً مهماً، يغني اللغة العربية ويرسي لبنات مهمة وأساسية في قواعد إنشاء الوحدة بين الشعوب العربية في مختلف أقطارها ويعزز التفاهم بين مواطنيها. فقرر اتخاذ الآليات الكفيلة بإنجاز هذا المشروع في الأردن، وقام بتشكيل هيئة تحرير من عدد من الأساتذة المتخصصين، تكون مهمتها دراسة الألفاظ وجمعها، وتصنيفها وتبويبها والتأكد من ضبطها وصحة التعريف ودقته علمياً ولغوياً. وتختار الهيئة للمدلول الواحد لفظة واحدة أو لفظتين، على وفق معايير ومبادئ يتفق عليها، مثل: الفصاحة والشيوع والسهولة... ويكون حصيلة ذلك مشروعاً أردنياً، يطبع ويرسل إلى مركز اتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية في القاهرة، لإدخاله في الحاسوب، مع المشاريع التي من المفروض أن تقدمها الجامعات الأخرى. وسيكلف الاتحاد خبراء متخصصين من مختلف الأقطار العربية لدراسة هذه المشروعات، وتمحيصها وتدقيقها وتبويبها، وإخراج "معجم عربي موحد لألفاظ الحياة العامة"، حتى يكون للمدلول الواحد لفظة واحدة أو لفظتان. وسيتم اختيار الألفاظ أو وضعها عند الضرورة، على وفق معايير ومبادئ يتفق عليها، ومنها الشيوع والفصاحة والسهولة، والإفادة من التراث الموروث ومن جميع الجهود السابقة في هذا المجال. وفي جميع المراحل، ستكون وحدة الحاسوب، وحدة أساسية وفاعلة، تختصر الجهد والوقت.

آلية التحرير والمراجعة

وضعت هيئة تحرير المعجم نصب أعينها الأسس الآتية في اختيار ألفاظ المعجم:

١. الكلمة الواحدة في الدلالة الكافية خير من الكلمتين.
٢. الكلمة التي تحمل مدلولاً محدداً أولى من تلك التي تحمل مدلولات متعددة، واستعمالات لا تقتصر على مجال بعينه، وعلى هذا فكلمة "منفضة" مثلاً أفضل من كلمة "صحن سيجارة".. وهي كذلك أفضل من كلمة "طفاية".
٣. الكلمة العربية أولى من الكلمة الأجنبية، إذا كانت الكلمة الأجنبية يمكن الاستغناء عنها بالكلمة العربية. وعلى هذا فإن الكلمات السابقة تفضل كلمات "سندريّة" و"أش تري" و"سبرسه"..
٤. الكلمة التي تأخذ سمناً فصيحاً وسهلاً، أولى من الكلمة التي قد تكون مغرقة في العامية، وعلى هذا فكلمة "منفضة" مثلاً أفضل من كلمة "متكة" أو مقلوبها "مكتة". فالكلمة العامية قد تشيع في عامية ولا تشيع في أخرى. والمراد في هذا المشروع، على وفق قرار مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، أن نصل إلى "معجم عربي موحد لألفاظ الحياة العامة"، في جميع الأقطار العربي.
٥. الكلمة الأجنبية المكونة من كلمة واحدة أولى من الكلمة المكونة من كلمتين فأكثر. والمصطلح الأجنبي المتمشي مع قواعد الصوت العربي والوزن الصرفي العربي، أولى بالأخذ من ذلك المصطلح الذي يختلف مع نواميس العربية في أصواتها وأوزانها.

٦. الدقة في اختيار المقابلات العربية لنظائرها الأجنبية.
٧. اتباع أولويات في المقاييس العربية نفسها. فالمشتقة أولى من الكلمة المنحوتة أو المركبة ، والكلمة الأوسع اشتقاقاً أولى من الكلمة الأضيق اشتقاقاً. والكلمة التي تخص مدلولها وحده، أولى من الكلمة التي قد تدل على مدلولات متعددة.
- وجملة القول: إن "معجم ألفاظ الحياة العامة، يعتمد الألفاظ التي يستعملها الناس جميعاً في حياتهم اليومية، على وفق فهمهم وتعريفهم إياها، ومن هذا المنطلق فهو معجم وصفي في تعريفه للمفردات، وفي اختيار المصطلحات المتداولة على ألسنة الناس. وهو معجم معياري حين التدخل لإجراء تعديلات جزئية أو كلية على بعض المفردات، بما يتفق وقواعد الفصحى في أصواتها ومقاطعها، وأوزانها الصرفية، أو طرائق تركيبها التعبيرية.

تقسيم المعجم

تم تقسيم المعجم على وفق الحقول الدلالية، ما يؤدي إلى سهولة وصول مستخدم المعجم، إلى اللفظ، إذا كان يجله، وأن يحصل أيضاً على أكثر من معنى للفظ الواحد، باختلاف الحقل، فمثلاً " قلم " في موضوع "القرطاسية " ، يحمل تعريفاً مختلفاً عما يحمله إذا وجد تحت موضوع "الزراعة" ... وأن تُرتَّب الألفاظ داخل كل "موضوع" ترتيباً ألفبائياً. وفي الوقت ذاته، رأت الهيئة أن تضع "كشافاً " ألفبائياً للألفاظ (بدون المعنى)، ويشار إلى الموضوع برقمه، إزاء كل لفظ.

وقد صنفت الموضوعات في ٤٤ باباً بدءاً من الأحوال المدنية والجنسية، وانتهاءً بالموصلات: البرية، البحرية، الجوية.

الألفاظ الأجنبية

قامت هيئة التحرير بتعريب الألفاظ الأجنبية إلى الحروف العربية، وكتابتها كما تلفظ بالعربية. فقد تحدث تراثنا مثلاً عن اللغة "اللاتينية"، وعن "أرسطو" و"أفلاطون" و"فيثاغورس" و"البطالسة". وقالوا: باريز ولندن ولندره، واستعملوا: "أرثماطيقا"، و"فيزيقا" .. الخ.

إن اختيار هذه الطريقة في كتابة الألفاظ الأجنبية، تتسجم والهدف الرئيسي لوضع معجم عربي موحد، على مستوى الوطن العربي، والسعي إلى تفصيل ما هو عامي، في إطار خصائص العربية وتراثها الضخم، عبر التاريخ، وكذلك في إطار تجربتها الغنية، مع المولد والدخيل والمعرب والمستقرض، وتأثرها باللغات الأجنبية، وتأثيرها فيها.

وفي قضية اختلاف اللهجات في نطق بعض حروف الكلمات، مثل حروف القاف والكاف والظاء والجيم.. الخ، فإن النطق يختلف بصورة متعددة في المدينة وفي الريف وفي البادية واتفق على كتابة المصطلح على وفق النطق العربي الفصيح، وينسحب هذا على نطق الألفاظ التي تبدأ بهزمة الوصل، وينطقها المستعمل بالسكان ابتداءً.

هذا المعجم

- يشكل "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن" نواة وقاعدة يبني عليها المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة.
- وتجدر الإشارة إلى أن الحديث عن ألفاظ الحياة العامة في الحواضر والأرياف والبادية، لا يعني الحديث عن العاميات الدارجة أو اللهجات المختلفة، وإنما يعني كل ما يتعلق بأدب الحواس من: مطعومات، ومشمومات، وملموسات، ومسموعات،

ومبصرات.. ولذلك اقتصر هذا المعجم على ألفاظ الأشياء والأدوات والأجهزة المحسوسة.. التي يستعملها عامة الناس وخاصتهم في حياتهم العملية واليومية، في مختلف مناحي الحياة، في البيت والشارع والمهن والمؤسسات .. وتفصيح ما يمكن تفصيحه، ولا سيما الألفاظ الدارجة التي تعود إلى أصول لغوية فصيحة.

• وقد تناولت ألفاظ المعجم الأحوال المدنية والجنسية، والإدارة، والأدب واللغة، والأراضي والعقارات، والإعلام.. والتجارة والاقتصاد والمعاملات، والتنمية الاجتماعية، والثقافة والتعليم.. والحاسوب، والديانات والزراعة والصناعة والعلاقات الدولية.. والفنون والقضاء والمواصفات والموازين والمقاييس.. والمواصلات البرية والبحرية والجوية.

أهداف المعجم:

يهدف هذا المعجم إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. إغناء اللغة العربية بألفاظ حضارية جديدة في مختلف جوانب الحياة اليومية.
٢. المحافظة على اللغة العربية وتوظيفها توظيفاً سليماً في الحياة اليومية والعمل على تفصيح الألفاظ العامية التي تعود إلى أصول فصيحة.
٣. توحيد مسميات ألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي.

٤. إفادة الباحثين والدارسين والكتاب والصحافيين وعلماء الاجتماع في دراسة الظواهر الاجتماعية والحضارية في الأقطار العربية.
 ٥. توحيد لغة وسائل الإعلام والصحافة على مستوى الوطن العربي.
 ٦. التقليل من الخلافات واللهجات المحلية المحكية بين أبناء الأمة العربية في مجال مسميات ألفاظ الحياة العامة.
 ٧. إصدار معجم موحد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي أسوة بما تقوم به الأمم الأخرى في هذا المجال.
- إن مجمع اللغة العربية الأردني وهو يقدم إلى محبي العربية وعشاقها هذا العمل الرائد ليامل أن تنهض المجمع اللغوية العربية في الأقطار الشقيقة بإنجاز معاجمها في ألفاظ الحياة العامة في أقطارها ليصار إلى إصدار المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة، ليكون إضافة نوعية إلى المعاجم العربية.

المؤتمرات والندوات والمحاضرات

ندوة (مشروع قاعدة بيانات حاسوبية للقرآن الكريم)

استهل مجمع اللغة العربية الأردني (عام اللغة العربية) بندوة عقدها يوم الثلاثاء ٢٠٠٧/١/٩م، عنوانها "مشروع قاعدة بيانات حاسوبية للقرآن الكريم" قدم فيها الأستاذ الدكتور محمد زكي خضر من كلية الهندسة/ الجامعة الأردنية والفريق المتعاون معه ما أنجزوه من قواعد بيانات للقرآن الكريم باعتباره أساساً للمعجم الآلي للغة العربية.

افتتحت الندوة بكلمة رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفة أشار فيها إلى أن افتتاح هذه الندوة يأتي في مستهل عام ٢٠٠٧م، العام الذي جعله المجمع عاماً للغة العربية بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على تأسيسه.

دعا الدكتور خليفة إلى العمل على تطوير الأجهزة التقنية والحاسوبية والمعلوماتية لخدمة اللغة العربية لبناء أجهزة تقنية وحاسوبية ومعلوماتية على وفق خصائص اللغة العربية وذلك في إطار سياسة لغوية عربية أصيلة واستراتيجية لغوية شاملة وموحدة. ومن هذا المنطلق نرى ضرورة تعريب أجهزة الحاسوب وشبكة المعلومات (الإنترنت)، بل تعريب المعلومات ونحن على أعتاب ثورة معلوماتية ستغير كثيراً من المفاهيم في حياة الإنسان الثقافية والاجتماعية في القرن الحادي والعشرين.

ثم قدم الدكتور محمد زكي خضر وفريقه مشروعاً لتكوين قاعدة بيانات حاسوبية لغوية للقرآن الكريم، موسعة إلى أكبر حد ممكن، تصف بدقة كل دقائقه ابتداءً من أصغر المفردات وهي مقاطع الكلمة من ملصقات الكلمة فالتركيب فالجمل فالآيات فالسور بحيث تشمل الرسم واللفظ والنطق والصرف

والنحو والدلالة. وذلك خدمة للقرآن الكريم تحليلاً ودراسة وقيماً وتفسيراً الذي يؤدي من دون شك إلى خدمة اللغة العربية لكي يستفيد منها أكبر عدد ممكن من الباحثين.

وقد توصل الدكتور خضر بعد سنوات من العمل والبحث والدراسة لوضع أساس لقاعدة البيانات هذه اشتملت على كلمات القرآن الكريم مشكولة بالرسم الإملائي الشائع الآن والرسم العثماني، وبعض التغييرات التي طرأت على الكلمات نتيجة عمليات الإلصاق وضرورات الوقف والابتداء، وتحديد بدايات الجمل القرآنية ونهاياتها بشكل مبسط. كما تضمنت أبحاث الندوة خطوات لاحقة لكي يضاف النحو والصرف والنطق والدلالة لقواعد البيانات.

وفي ختام المحاضرة عقدت جلسة ناقش فيها الحضور من أساتذة اللغة العربية في مختلف الجامعات الأردنية الدكتور خضر في مشروعه للوصول إلى مقترحات لعمل قاعدة بيانات حاسوبية متكاملة للقرآن الكريم، وتساعد أيضاً العاملين في المجالات اللغوية العربية كافة.

رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية:

- في اللغة العربية:

- رسالة مقدمة من الطالبة أسمهان العقيل بعنوان "تطور مفهوم الرواي في الرواية الأردنية بين جيلين"، بإشراف الدكتور إبراهيم خليل، وذلك يوم ٢٠٠٧/٣/٥ م.
- رسالة مقدمة من الطالب غالب شريم، بعنوان: "حركة الشعر (دراسة موضوعية وفنية) في قبيلتي الأوس والخزرج في الجاهلية وصدر الإسلام"، بإشراف الدكتور ياسين عايش والدكتور حمدي منصور، وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/٣ م.
- رسالة مقدمة من الطالب أحمد الرحاطة، بعنوان: "توظيف الموروث الجاهلي في الشعر العربي المعاصر، مصر والشام نموذجاً"، بإشراف الدكتور حمدي منصور، وذلك يوم ٢٠٠٦/٤/٢٢ م.
- رسالة مقدمة من الطالبة كفاح إبراهيم، بعنوان: "اتجاهات الرسائل الفنية في العصر الأيوبي"، بإشراف الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/٢٣ م.
- رسالة مقدمة من الطالب أيمن علي العتوم، بعنوان: "تناوب معاني أبنية الصرف في لغة القرآن الكريم"، بإشراف الدكتور محمد حسن عواد، وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/٧ م.

- رسالة مقدمة من الطالب بشير عقاب الحجاجبة، بعنوان "محمود سيف الإيراني، دراسة في آثاره الأدبية" بإشراف الدكتور محمد القضاة، وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/٣م.
- رسالة مقدمة من الطالب عائد فايز، بعنوان " المركب الإضافي في العربية، دراسة تقابلية في ضوء اللسانيات التطبيقية" بإشراف الدكتورة فوز نزال، وذلك يوم ٢٠٠٦/٥/٩م.
- رسالة مقدمة من الطالب عمار إلياس بوالصة، بعنوان "المنصوبات في ضوء كتاب إحياء النحو لإبراهيم مصطفى" بإشراف محمد حسن عواد، وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٠م.
- رسالة مقدمة من الطالب سيف المحروقي، بعنوان "المظاهر الحضارية في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري" بإشراف الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٦م.
- رسالة مقدمة من الطالبة عريب عيد وعنوانها: "لغة الحركة: أصولها، وشواهدا في الحديث النبوي الشريف"، بإشراف الدكتور جاسر أبو صافية، وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٣م.

- كلية الشريعة:

- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب علاء الدين محمد مصلح وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/٢م.

- كلية الشريعة:

- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب علاء الدين محمد مصلح وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/٢ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب أنس الجابر وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/١ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب علي الشرفات وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/١٨ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالبة حنان أبو مخ وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/٢٥ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب هيف المطيري وذلك يوم ٢٠٠٧/٤/١٧ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب أيمن درادكة وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/٣ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالبة أم كلثوم يحيى وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٣ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب منصور العمرو وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/٦ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب أحمد جبر وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/٧ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب حمزة حماد وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٠ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب عبدالرحيم دراغمة وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٥ م.
- رسالة دكتوراة مقدمة من الطالب جمال مفلح وذلك يوم ٢٠٠٧/٥/١٦ م.

مجمعيون في ذمة الله

• انتقل إلى رحمة الله تعالى صباح الخامس عشر من آذار (مارس) ٢٠٠٧م، الأستاذ الدكتور سعدون حمادي العضو المؤازر في مجمع اللغة العربية الأردني.

ولد الفقيد في كربلاء، وأتم دراسته الثانوية والجامعية الأولى في العراق، ثم سافر في بعثة حكومية إلى لبنان عام ١٩٥٢م، وحصل على درجة الماجستير في الاقتصاد من الجامعة الأميركية في بيروت ثم أكمل دراسته العليا وحصل على الدكتوراة في الاقتصاد الزراعي من جامعة وسكونس في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٥٦م، وعاد إلى الوطن وعمل أستاذاً في كلية الزراعة بجامعة بغداد.

تنقل المرحوم في عدة مناصب حكومية في العراق، فعمل رئيساً لتحرير جريدة (الجمهورية) عام ١٩٥٢، ورئيساً لشركة النفط الوطنية العراقية عام ١٩٦٨م، ثم وزيراً للنفط، ثم تولى وزارة الخارجية في منتصف السبعينيات وحتى عام ١٩٨٢م، وفي عام ١٩٩٦م، انتخب رئيساً للمجلس الوطني العراقي وبقي كذلك لدورتين حتى الاحتلال الأميركي الاستعماري. وبعد الاحتلال أسرته القوات الأميركية. وأطلق سراحه بعد تسعة أشهر حين تردت حالته الصحية، وبدأ في مراجعة المشافي في الأردن ولبنان وألمانيا وقطر حتى توفي في ألمانيا في الخامس عشر من آذار (مارس) ٢٠٠٧م.

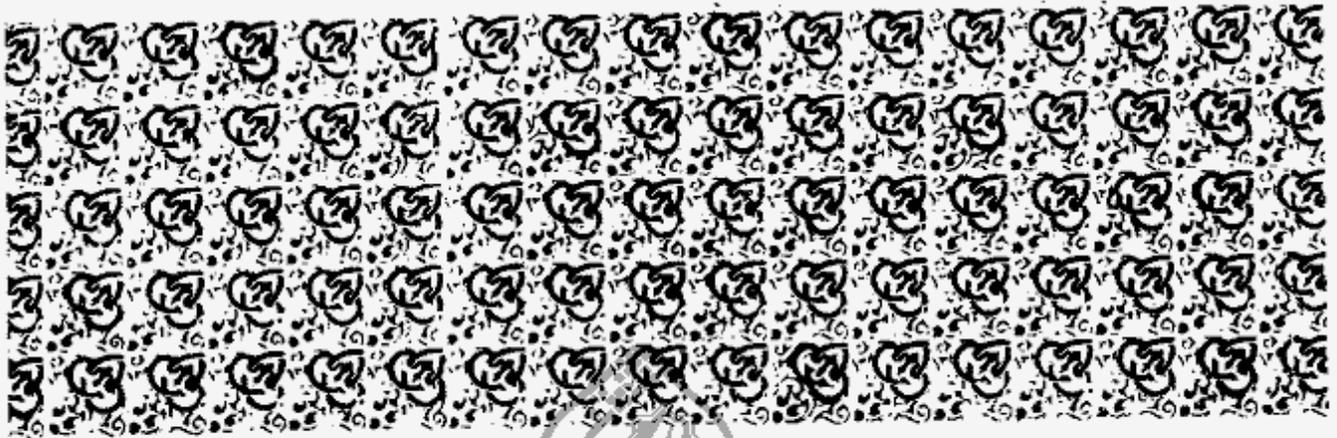
رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

• انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم السادس من أيار (مايو) الأستاذ حسن سعيد الكرمي، عضو الشرف في مجمع اللغة العربية الأردني.

ولد المرحوم في طولكرم، فلسطين عام ١٩٠٨م، وتلقى تعليمه فيها، ثم في دمشق فالقدس ثم في لندن.

عمل المرحوم معلماً للغة الإنجليزية، في مدارس حكومة فلسطين وفي الكلية العربية، ومساعداً للمفتش العام في إدارة المعارف الفلسطينية حتى عام ١٩٤٥، ثم مراقباً للغة العربية في الإذاعة البريطانية في لندن منذ عام ١٩٤٨م. ترك المرحوم عدداً كبيراً من المؤلفات من أشهرها سلسلة "قول على قول"، والمنار قاموس إنجليزي-عربي، والمعاجم: المغني، والمغني الكبير والمغني الأكبر.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامي

*Journal
Of The Jordan Academy Of Arabic*



No. 72

Thu -ALhija 1427-Jumada 11 1428H

Vol XXXI

January - June 2007